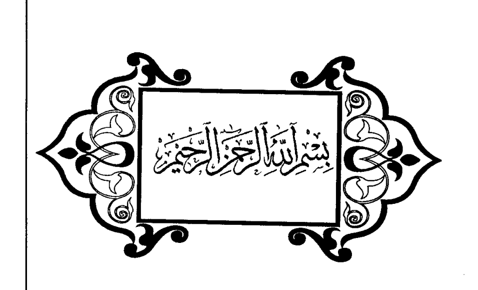
فقه

تربية الأبناء

وطائفة من نصائح الأطباء

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي



رقم الإيداع
٢٠٠٢/١١٢٣٤
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977-5932-32-7

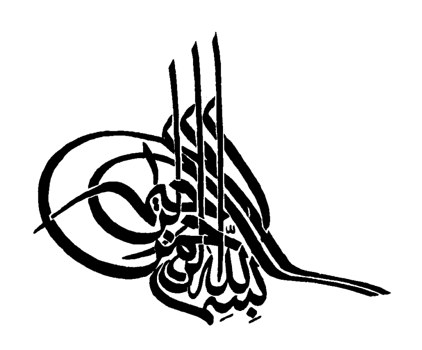


الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار ابن رجب
للنشر والتوزيع

فارسكور - ت: ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠
المنصورة - ت : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

فقه
تربية الأبناء
وطائفة من نصائح الأطباء



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران/ ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء/ ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٧٠ـ٧١]

وبعد . .

فإن اللَّه سبحانه وتعالى خلق بني آدم وكرمهم وحملهم في البر والبحر

ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً !

خلقهم سبحانه ولم يخلقهم عبثاً ، فتعالى اللّه عن العبث ، ولم يتركهم سدىً بل خلقهم وكلفهم بتكاليف أمرهم ونهاهم ووصاهم بوصايا وابتلاهم بابتلاءات وامتحنهم بمحنٍ .

ثم هو سبحانه يوم القيامة جامعهم وسائلهم عما كلفهم به وعما أمرهم وعما نهاهم وهل هم قد قاموا بما كلفوا به وامتثلوا ما أمروا به ، وانتهوا عما نهاهم عنه وقاموا بما أوصاهم به أم لا ؟!

ثم هل هم صبروا على الإبتلاءات واجتازوا المحن أم لا ؟!

وكان مما كلف اللّه به بني آدم حسن رعاية الذرية وإصلاح النسل والسعي لاستنقاذ النفس مع الأهل والأولاد من النار .

قال اللّه سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم : ٦].

وقال سبحانه ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾ [النساء : ١١].

وقال رسول اللّه ﷺ : « **كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَن رَعِيَّتِه، فَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي بَيْتِه وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا** » [١] .

وقال النبي ﷺ : « **وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا** » [٢] .

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٥٤) ومسلم (١٨٢٩) وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٢) أخرجه مسلم وسيأتي .

فالأبناء الذين يُرزق بهم العبد فتنة وابتلاء يبتلي اللَّه سبحانه بهم عباده فهل سيقوموا مع الأولاد بما أوجبه اللَّه عليهم من شكر نعمة اللَّه على رزقه إياهم بهم ؟

وهل سيقومون مع الأولاد بإقامة حدود اللَّه فيهم ؟

وهل سيسلكون مع الأولاد ما أمرهم به ربهم وأرشدهم إليه نبيهم ؟

وهل سيفتنون بالأولاد أم سيثبتوا على أمر اللَّه ؟

فهذه وغيرها أمور لابد ـ لمن أراد السلامة في دينه ودنياه ـ أن يجتازها بنجاح ويتعداها بتفوق ويقم بما أمره اللَّه فيها خير قيام .

هذا وقد وفقني اللَّه سبحانه وهداني إلى تناول شيء مما يتعلق بتربية الأبناء من فقه وآداب وأخلاق وتعاملات معهم وسميت ما جمعته بـ « **فقه تربية الأبناء** » وذلك من خلال ما ورد في كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ ، وهديه وهدي أصحابه ﷺ ، فقمت بجمع مادة طيبة من كتاب اللَّه ومن هدي رسول اللَّه ﷺ في ذلك وآلفت بينها ونسقتها كي ينتفع المسلمون بكتاب ربهم وهدي نبيهم ﷺ ، ثم أقوال أئمتهم من الصحابة والتابعين فمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

فجمعت أبواباً بحمد اللَّه في هذا الكتاب تحت مسمى «**فقه تربية الأبناء**» على نمط السلسلة التي أسير فيها وأقدمها لعامة المسلمين ، كفقه الأخلاق وفقه التعامل بين الزوجين و . . .

ولم أعمد في هذا الكتاب إلى التوسع الزائد المُمل ولا إلى الإختصار المخل .

ولم أسترسل في تخـريجات الأحاديث ، بل أعطي الحديث ما يسـتحقه من حكم (بالصحة أو بالضعف أو الحسن) مع القدر الكافي المؤدي للغرض من التخريج .

وليس مقـصودي أيضا بيان أحكام المولـود وما يتعلق بها إنما مـررت بها مروراً سريعاً آخذا منها القدر الذي يحـتاج إليه موضوع الكتاب ، إذ الكتاب في «**فقه تربية الأبناء**» .

ثم إنني ألفت النظر إلى أمور قـد يرى شخصٌ أنها تحتاج إلى اسـترسال وإسهابٍ في الحديث عنها ولكني أكتفي بما أورده تاركاً لأخي القاريء الكريم المزيد من الاسترسال ، وفاتحاً أمامه الطريق فقط وباللَّه التوفيق ومنه السداد .

وبحمد اللَّه فـقد قمت بجمع مادة عـلمية صحيـحة في هذا الكتاب مع توثيق المعلومـة وعزوها إلى مـصـدرها ، والابتعـاد عن اللوث والغثـاء من الأحاديث الموضوعة والمكذوبة على رسول اللَّه ﷺ .

هذا وإتماماً للنفع فقـد تفضَّل عددٌ من إخواننا الأسـاتذة الأطباء بكليات الطب وغيرهم من مهرة الأطباء بتقـديم جملة من النصائح للأمهات في شأن تربية الأبناء ورعـايتهم من الناحيـة الصحية ، فـأسأل اللَّه أن يجازيهم خـيراً على ماقدموه ، وأن يجعل الشفاء على أيديهم وأن يبارك فيهم وفيما كتبوه .

وصلى اللَّه وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

الهادي هو الله، والمهتدي من هداه الله

اعلم أيها الأب وأنت أيتها الأم تمام العلم ، وأيقنا تمام اليقين أن الهادي هو اللَّه سبحانه وتعالى ، والذي تفعلانه لصلاح الولد إنما هو فقط الأخذ بأسباب الهداية والقيام بما أوجبه اللَّه عليكما تجاه الأبناء وما وراء ذلك فهو إلى اللَّه سبحانه وتعالى فهو سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء .

قال اللَّه عزَّ وجل : ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [الأعراف ١٧٨].

وقال سبحانه : ﴿ **فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾ [فاطر : ٨].

وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا** ﴾ [السجدة : ١٣].

وقال سبحانه : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا** ﴾ .

[يونس: ٩٩]

وقال سبحانه : ﴿ **يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾ . [النور : ٣٥]

وقال سبحانه : ﴿ **وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ . [النور: ٤٦]

وقال سبحانه ﴿ **قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ .

[الأنعام : ١٤٩]

وقال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه ﴿ **وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ . [هود: ٣٤]

وانظر إلى هذه الكلمات التي تكلَّم بها عيسى عليه السلام في المهد إذ قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ .

{ مريم : ٣٠ ـ ٣٢ }

فانظر إلى قوله: «آتاني ـ وجعلني ـ وجعلني ـ ولم يجعلني» !!!

وكذلك فانظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ .

{ المؤمنون : ٥٠ }

فمن الذي آتاه ؟! ، ومن الذي جعله ؟! ، ومن الذي لم يجعله ؟! إنه اللَّه سبحانه وتعالى! فليس للعبد من أمره شيء ، فرضينا باللَّه رباً وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا .

وهذا الابن العاق الذي ذكره اللَّه سبحانه في كتابه ، وقد أزاغه اللَّه وهو يقول لوالديه: ﴿أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ . { الأحقاف : ١٧ ـ ١٨ }

فمن ذا الذي أزاغه ؟! ، ومن ذا الذي أضله ؟

فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ويا مصرف القلوب صرِّف قلوبنا إلى طاعتك ، وأصلح اللهم لنا في ذرياتنا ، وهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما .

وحتى الأنبياء لا يملكون هداية التوفيق لأحد

قال اللَّه سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ وهو يناشد عمه أبا طالب أن يقول لا إله إلا اللَّه وعمه يأبى ويمتنع ـ فقال اللَّه سبحانه : ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ . [القصص: ٥٦]

وها هو الحديث بذلك: أخرج البخاري ومسلم [1] من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل ، وعبد اللَّه بن أبي أمية بن المغيرة . فقال رسول اللَّه ﷺ : «**يَا عَمِّ ! قُلْ : لا إِلَه إِلا اللَّهُ. كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّه** » **فقال أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية : يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول اللَّه ﷺ يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول : لا إله إلا اللَّه . فقال رسول الله ﷺ** : « **أَمَا وَاللَّه ! لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَم أُنْهَ عَنْكَ** » فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ [التوبة :١١٣] . وأنزل اللَّه تعالى في أبي طالب ، فقال لرسول اللَّه ﷺ : ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين** ﴾ . [القصص : ٥٦]

ها هو نبي اللَّه نوح ﷺ يُلح على ولده ويقول له : ﴿ **يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [هود : ٤٢] ولكن اللَّه سبحانه وتعالى ما أراد

---

(١) البخاري (٤٧٧٢) ومسلم (حديث ٢٤) .

لهذا الولد الهداية فيقول الولد : ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ .
[هود : ٤٣]

فـقـال له أبوه ﴿ قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ . [هود : ٤٣]

وحينئذ تأخذ نوحاً عليه السلام الشفقةُ فيقول منادياً ربَّه : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾ . [هود : ٤٥]

فيـعاتب بقـوله تعالى ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ . [هود : ٤٦]

فيعتذر نوحُ عليه السلام قائلا : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . [هود : ٤٧]

وها هو الخليل إبراهيم يناشد أباه فيقول له : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا . يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ .

[مريم: ٤٢_٤٥]

فبماذا أجاب هذا الأب على إلحاح الخليل عليه السلام وهو يدعوه ويناديه ياأبت ، يا أبت ، يا أبت ، يا أبت ؟!!

امتنع غاية الامتناع ، وأبى أشد الإباء ، بل وهدد ولده بقوله: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ . [مريم : ٤٦]

فسبحان الله ، فحقاً إن الهادي هو اللَّه !!

وانظر إلى هذا الأب ، وقارن بينه وبين إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام!! إسماعيل صادق الوعد عليه السلام يقول له أبوه : ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ ؟!! { الصافات : ١٠٢ }

فسبحان اللَّه الهادي ، وسبحان من أنزل السكينة على القلوب !!!

يقول إسماعيل عليه السلام : ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ { الصافات : ١٠٢ } فحقاً إنه لن يكون من الصابرين إلا إذا شاء اللَّه سبحانه وتعالى .

وسبحان اللَّه الذي ﴿ **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ** ﴾[1] .
{ الروم : ١٩ }

سبحان مَنْ أخرج إمام التوحيد إبراهيم عليه الصلاة والسلام من صلب رجل كافر فلله الخلق والأمر ، وإلى ربنا المنتهى في كل شيء ﴿ **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ** ﴾ . { النجم : ٤٢ }

فمهما كنت أيها الأب وأنت أيتها الأم ومها بلغتما فلن تملكا من أمر هداية أولادكما شيئا إنما هي فقط أسباب يؤخذ بها ، وطرقٌ تُسلك ، ومسالكُ تلتمس ، وإن كنت نبياً رسولاً ، وإن كنت صِّديقاً نبياً ، وإن كنت ملكاً من الملوك ، وسيداً من السادات وعظيماً من العظماء اقرأ قول اللَّهَ تعالى في شأن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام حيث قال تعالى: ﴿**ومن**

(١) أحد الأقوال في تفسير الآية الكريمة يُخرج الكافر من صلب المؤمن ، ويُخرج المؤمن من صلب الكافر .

ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ . [الصافات : ١٣]

وانظر جيداً وفكِّر بعقلك وقلبك في يوسف ﷺ إنه وضيءٌ ، ووسيمٌ وجميلٌ في غاية الجمال ، بل أجمل خلق اللَّه من البشر ، أوتي شطر الحسن كما قال النبي ﷺ [١] ، يُلقى في غيابات الجب ، يلتقطه بعض السيارة ، يُباع في أسواق الرقيق والعبيد ، يؤخذ إلى قصور الملوك حيث الفتنة ، امرأة العزيز تراوده عن نفسها ، فيأبى ويمتنع ، ثم إلى السجن بضع سنين في أوساط الخمَّارين واللصوص وأهل الإجرام ، هكذا تكون السجون في الغالب، سجون الجنائيين !

قُذف يوسف ﷺ في هذه الأوساط ، فترى من حفظه ؟!

ترى من الذي دفع عنه شر الأشرار وكيد الفجار ؟!

ترى من كساه بالعلم والحلم مع الجمال والبهاء ، وهو وحيدٌ غريبٌ طريدٌ لا أبَ معه ، ولا أم ، ولا أخ معه ولا أخت ، لا عمَّ معه ولا خال ، ولا أقارب له ولا أجداد! من الذي علَّمه ؟! من الذي زكَّاه ؟! من الذي رباه؟!، ومن ذا الذي رعاه ؟! إنه اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف : ٦٤]

وها هو موسى عليه السلام ، طفلٌ رضيعٌ ، تفارقه أمه تلك الأم الحانية المشفقة ، تلك الأم الرحيمة الكريمة تفارقه وتقذفه في التابوت ، ثم يُقذف في اليم مع التابوت ! ثم يلتقطه أهل الظلم والبغي والقتل والعدوان ! يلتقطه

---

(١) في صحيح مسلم (حديث ١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ .. فإذا أنا بيوسف إذا هو قد أُعطي شطر الحسن .

آل فرعون ! فيا لها من فجيعة ، ويا لها من مصيبة ! ولكن من ذا الذي ردَّه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ؟!!

ومن الذي حفظه من السوء والمكروه في بيت الظلم والطغيان ؟!!

من الذي عصمه أن يتعلم في هذه البيوت سفك الدماء واستحياء النساء وذبح الصبيان ؟!!

إن الذي عصمه وحفظه ورعاه هو اللَّه سبحانه وتعالى ، فله الحمد !!!

وها هو غلام آخر ، أبواه مؤمنان ، لكنه طُبع كافراً كما قال النبي ﷺ[1]. فماذا عساهما أن يصنعا مع هذا الغلام الذي طبع كافرا ؟!

قتله الخضر ، واستنكر موسى عليه السلام ذلك فعاتبه الخضر في ذلك وبيَّن له حكمة اللَّه في ذلك .

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿ **فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا . قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا** ﴾ [الكهف : ٧٤ ـ ٧٥] إلى قول الخضر : ﴿ **وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا . فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا** ﴾ . [الكهف : ٨٠ ـ ٨١]

ولا نذهب بعيداً فنبينا وحبيبنا محمد ﷺ سيد ولد آدم نشأ يتيماً ، يتيم الأبوين ﷺ ، ونشأ فقيرا كذلك فمن ذا الذي حفظه ، وقذف في قلبه الإيمان وأوحى إليه القرآن ؟! إنه اللَّه سبحانه وتعالى فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن .

---

(١) انظر صحيح مسلم (ص ١٨٥٢) ففيه . . . وأما الغلام فطُبع يوم طبع كافراً .

دعاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ بصلاح الذُّرية

فـإذا علمت هذا ، وأيقنت بأن المهـتـدي من هداه اللَّه وأن المحـفـوظ من حفظه اللَّه ، فعليك إذن أن تتوجه بالدعـاء سائلاً اللَّه سبحانه وتعالى أن يُصلح لك في ذريتك وأن يبارك لك فـيهم ويحفظهم من المكروه والسوء ،ويعـصـمهم من شياطين الإنس والجن ، وهكذا كان أهل الفضل والصلاح يفعلون .

فعباد الرحمن يقولون : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ . [الفرقان : ٧٤]

وزكريا عليه الصـلاة والسلام يقول : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم ٥ ، ٦]

ويقول : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ .

[آل عمران : ٣٨]

وإبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل يقولان : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ . [البقرة : ١٢٨]

ويقول الخليل كذلك: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات : ١٠٠]

ويقول أيـضا : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ .

[إبراهيم : ٤٠]

ويقول كذلك : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ . [إبراهيم : ٣٥]

والذي بلغ أشـده وبلغ أربعين سنة يقـول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ .

[الأحقاف : ١٥]

فـأكثـر يا عبـد الله من طلب الذرية الصـالحـة ، ومن الدعاء بإصـلاح الذُّرية .

دعاء النبيِّ ﷺ لأبنائه ولغيرهم

وقد كان النبي ﷺ يدعـو لأبنائه ولأبناء المسلمين قال النبيُّ ﷺ في شأن الحسن بن علي رضي الله عنهما : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ**» (١) .

وأخرج البخاري من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**» (٢) .

وأخرج الإمام أحـمد بإسناد صحيح لشـواهده أن أم سلمة رضي الله عنها حين جاء نعي الحسين بن علي لعنت أهل العراق فقالت : « قتلوه قتلهم اللَّه غروه وذلوه لعنهم اللَّه فإني رأيت رسول اللَّه ﷺ جاءته فاطمـة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحمله في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها : «**أَيْنَ ابْنُ عَـمِّكِ؟**» قالت : هو في البـيت قال: «**فَاذْهَبِي فَادْعِـيهِ وَائْتِنِي بِابْنَيْهِ**» قـالت: فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد ، وعلي يمشي في إثرهما حتى دخلوا على رسول اللَّه ﷺ فأجلسهـما في حِجْرِه وجلس عليٌّ عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره. قالت أم سلمة فاجتبذ من تحتى كساءاً خيبرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة، فَلَفَّهُ النَّبِـيُّ ﷺ عليهم جميعاً فأخـذ بشماله طرفي

(١) البخاري (حديث ٣٧٤٩) ومسلم (٢٤٢٢) .

(٢) البخاري (حديث ٣٧٤٧) و (حديث ٣٧٣٥) .

الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل قال: «**اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**» قلت: يا رسول اللَّه ألست من أهلك؟ قال : «**بلى فادخلي في الكساء**» قالت : فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة رضي الله عنهم»[١].

ودعا الرسول ﷺ لأسامة بن زيد رضي الله عنهما أيضا

أخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : « **لما ثقل رسول اللَّه ﷺ هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة فدخلت على رسول اللَّه ﷺ وقد أصمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصبها عليَّ أعرف أنه يدعو لي** »[٢] .

ودعا الرسول ﷺ لعبد الله ابن جعفر وإخوانه بعد مقتل جعفر

فقال عليه الصلاة والسلام « **اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا في أَهْله وَبَارِكْ لعَبْد اللَّه في صَفْقَة يَمينه** » قالها ثلاث مرار . وذلك فيما أخرجه أحمد بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن جعفر قال :« بعث رسول اللَّه ﷺ جيشاً استعمل عليهم زيد بن حارثة، وإن قُتل زيد أو استشهد فأميركم جعفر، فإن قُتلَ أو استشهد فأميركم عبد اللَّه بن رواحة. فلقوا العدو فأخذ الراية زيد فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد اللَّه بن رواحة

---

(١) أحمد في المسند (٦/٢٩٨) وله شواهد .

(٢) أحمد (٥ / ٢٠١) .

فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ففتح اللَّه عليه. وأتى خبرهم النبي ﷺ فخرج إلى الناس فحمد اللَّه وأثنى عليه وقال: «إِخْوَانكُم لَقُوا العَدُوَّ وإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوْ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بنُ طَالِبَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أو اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللَّه بن رَوَاحَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِل أو اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أخَذَ الرَّايَةَ سَيفٌ من سُيُوف اللَّه خَالدُ بنُ الوَلِيد فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْه » فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ثم أتاهم فقالَ: « لا تَبْكُوا عَلَى أَخي بَعْدَ اليَوم أو غَد ، إِليَّ ابْنَي أَخي . قال : فجيء بنا كأنا أفراخ فقال: «ادْعُوا ليَ الحَلاقَ » فجيء بالحلاق فحلق رؤوسنا ثم قال: «أمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبي طَالِب ، وأَمَّا عَبْدُ اللَّه فَشَبِيهُ خَلْقي وخُلُقي» ثم أخذ بيدي فاشالها فقال: «اللَّهُمَّ اخْلُف جَعْفَرًا في أَهْلِه وبَارِكْ لعَبْد اللَّه في صَفْقَة يَمينه» قالها ثلاث مرار . قال : فجاءت أمنا فذكرت له يتمنا ، وجعلت تُفْرِحُ له فقال : « العَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وأَنَا وَلِيُّهُمْ في الدُّنْيَا والآخرَة؟!»[1].

وها هي جارية يدعو لها رسول الله ﷺ

أخرج البخاري[2] من حديث أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميص أصفر ، قال رسول الله ﷺ : «سَنَهْ سَنَهْ»[3]، قالت : فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي ، قال رسول اللَّه ﷺ «دعها» ، ثم قال رسول اللَّه ﷺ : «أَبْلِي وأَخْلِقي، ثُمَّ أَبْلِي

(١) أحمد (١ / ٢٠٤) .

(٢) البخاري (حديث ٥٩٩٣) .

(٣) سَنَه بلغة الحبشة ، ومعناها حسن .

وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِقِي» (١).

ويدعو الرسول ﷺ لأنس بن مالك بدعوات طيبة تجمع خيري الدنيا والآخرة .

أخرج البخاري في صحيحه(٢) من حديث أنس ﷺ قال: دخل النبي ﷺ على أم سليم فأتته بتمرٍ وسمنٍ، قال: «**أعيدُوا سَمْنَكُم في سِقَائِه وتَمْرَكُم في وِعَائه فَإِنِّي صَائمٌ**»، ثم قام إلى ناحية من البيت فصلى غير المكتوبة فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم . يارسول اللَّه إن لي خويصة قال: «**مَا هِيَ؟**» قالت خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به: «**اللَّهُمَّ ارْزُقْهُ مَالاً وَوَلَداً وبَارِكْ لَهُ**» فإني لمن أكثر الأنصار مالاً وحدثتني ابنتي أمينة أنه دُفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة .

وفي رواية لمسلم(٣) من حديث أنس كذلك قال أنس: دخل النبي ﷺ علينا . وما هو إلا أنا وأمي وأم حرام خالتي . فقال: « **قُومُوا فَلأُصَلِّي بكُمْ**» (في غير وقت صلاة) فصلى بنا فقال رجل لثابت: أين جعل أنسا منه؟ قال: جعله على يمينه . ثم دعا لنا أهل البيت بكل خير من خير الدنيا والآخرة . فقالت أمي: يارسول اللَّه! خُوَيْدِمُك . ادع اللَّه له . قال فدعا لي بكل خير . وكان في آخر ما دعا لي به أن قال: «**اللَّهُمَّ! أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَبَارِك له فيه**» .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٠/ ٢٨٠) : والعرب تطلق ذلك وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك ، أي أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق .

(٢) البخاري (حديث ١٩٨٢) .

(٣) مسلم (حديث ٦٦٠) .

وفي الحديث التماس الرجل من أهل الفضل والصلاح الدعاء لأبنائه .

النهي عن الدعاء على الأبناء

واحذر أشد الحذر أن تدعوا على أبنائك فقد توافق دعوتك وقتاً يستجاب فيه الدعاء فتستجاب دعوتك على ولدك فتجني أنت عاقبتها [١] .

وفي **صحيح مسلم** من حديث جابر الطويل أن رجلاً قال لبعيره : شَأْ لعنك اللَّه ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**مَنْ هَذَا اللاعنُ بَعيرَهُ؟**» قال أنا يا رسول اللَّه قال: «**انزِلْ عَنْهُ فَلا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ! لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُم ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُم ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**» [٢] .

أثرُ صلاحِ الوالدين وأعمالِهما الصالحة على تربية الأبناء

لصلاح الوالدين وأعمالهما الصالحة عظيم الأثر في صلاح الأبناء ، ونفعهم في الدنيا ، بل وفي الآخرة كذلك .

وكذلك فللأعمال السيئة والموبقات التي يقوم بها الآباء والأمهات أثر سيءٌ على تربية الأبناء .

وهذه الآثار على تربية الأبناء تتأتى من وجوهٍ ، منها :

بركة هذه الأعمال الصالحة ومجازاة الله سبحانه وتعالى بها ، وكذلك شؤم الأعمال السيئة وانتقام الله سبحانه وتعالى من فاعلها وعقوبته عليها .

(١) ولهذه المسألة فقهٌ متسع ليس المحل محله .

(٢) مسلم حديث (٣٠٠٩) ص ٢٣٠٤ .

فقد تكون صــور المجازاة والإثابة ، أو الانتقام والعقوبة مـتمثلة في الأبناء ، إما بإصلاحهم وحفظهم وتوليهم وسعة رزقهم وعافيتهم ، وإما بحيودهم عن طريق الحق وانحــرافــهم وكذلك نزول البـلايا عليــهم والأســقام والأمــراض وحلول المشاكل بهم .

إذن فليكثر الوالدان من الأعمال الصالحة فأثر ذلك ينعكس على الأبناء .

قال الله تبــارك وتعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾ . [الكهف : ٨٢]

فقد مر موسى مع الخضر عليــهما السلام على أهل قرية فطلبا من أهلها الطعام وسألوا أهلها حق الضيف ، فأبوا أن يضيفوهما فوجدا في هذه القرية جداراً مائلاً يريد أن يسقط فأقامه الخضر فقال له موسى ﴿ **لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾ [الكهف : ٧٧] فكان من جواب الخضر لموسى ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا** ﴾ .

[الكهف : ٨٢]

فانظر كيف حـفظ الله سبحانه وتعالى أموال الأيتــام وكنز الأيتام بصلاح الآباء ؟!!

وهل تظن أو تعـتقـد أن هذا الكنز وهذا المال الذي حفظه الله جُـمع من الحرام ؟ كـلا فمن مـقتـضيـات صلاح الأب أنه لا يجـمع هذا المال إلا من الحلال، وأيضا فحفظ الله له لكونه من الحلال كذلك !!

وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴾ [النساء : ٩] يوضح الصلة بين القول السديد في شأن الأيتام وانعكاس أثر ذلك على ذرية الرجل .

فعليك أيها الأب وأنت أيتها الأم بتقوى الله وبالقول السديد، وخاصة في شأن الأيتام ، فإذا رأيت من يأكل أموالهم أو يحث على ظلمهم أو يبخسهم حقوقهم وأشياءهم ، فقم وقل كلمتك السديدة مبتغياً بها وجه الله فهذه الكلمة السديدة منك يرفع الله بها الظلم ويحق الله بها الحق وتبقى لأحفادك من بعدك ، ثم هي مسجلةٌ مسطرةٌ في صحائفك يوم القيامة .

فاحرص غاية الحرص على إكرام اليتيم واحذر الاقتراب من أمواله فإن ذلك له غاية التأثير على أولادك كما قدمنا .

طيِّب أيها الأب مطعمك ومشربك وملبسك حتى ترفع يديك بالدعاء إلى الله بأيد طاهرة ونفس زكية فيتقبل منك لأولادك ويصلحهم الله ويبارك لك فيهم ، قال الله عز وجل ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ . [المائدة : ٢٧]

وذكر النبيُّ ﷺ : « **الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيه إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ** » (١) .

فكيف يليق بك أيها الأب أن ترفع يديك وهي ملوثة بدماء الأبرياء ،

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ١٠١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **أَيُّها النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلا طَيِّبًا . وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِه الْمُرْسَلِينَ .** فَقَالَ: ﴿**يا أيها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [المؤمنون :٥١]، =

وملوثة بضرب الأبرياء وظلم الأبرياء والبطش بهم وغشهم ، تدعو ربك بصلاح الذرية رافعاً هذه اليد ؟!! كيف يليق بك أن تدعوا ربك بتلك الأفواه الملوثة بأكل الحرام ، والملوثة بالكذب وبالنميمة والاغتياب والطعن في الأعراض والسباب والشتائم ، بل والشرك وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات؟!

هل ترى أن دعاءك يستجاب وملبسك من الحرام وغذاؤك من الحرام ؟!! فعليكما أيها الأبوان بتقوى الله وبالعمل الصالح حتى يتقبل دعاؤكما لأبنائكما!

وقد ورد عن بعض السلف أنه قال لابنه: (يا بني لأزيدن في صلاتي من أجلك).

قال بعض العلماء: معناه أصلي كثيراً وأدعوا الله لك كثيرا في صلاتي.

والوالدان إذا قاما بتلاوة كتاب الله وقراءة سورة البقرة والمعوذات ونحو ذلك فإن الملائكة تتنزل للقرآن[1]، والشياطين تفرُّ [2]، ولاشك أن نزول الملائكة يصحبه نزول السكينة والرحمة ، وهذا قطعاً له أثر على الأولاد

= وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة : ١٧٢] » ثم ذكر الرجل يُطيلُ السَّفَرَ . أشعث أغبر . يمد يديه إلى السماء . يارب ! يارب ! ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ؟ » .

(١) أخرج مسلم في صحيحه (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ . . فذكر الحديث وفيه: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

(٢) وفي صحيح مسلم أيضاً (٧٩٦) أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده (*). =

(*) المربد هو الموضع الذي يُيبَّس فيه التمر .

وسلامتهم .

أما إذا تُركت تلاوة القرآن وغفل الآباء عن الذكر فحينئذ تتنزل الشياطين وتغزو تلك البيوت التي تُرك فيها ذكر الله عز وجل ، وتغزو تلك البيوت المليئة بالموسيقى الصاخبة ، والمعازف الماجنة والتصاوير المحرمة ولاشك أن مثل هذا يؤثر على الأبناء أيما تأثير، ويؤزهم إلى المعاصي أزاً، ويدفعهم إلي الفساد دفعاً .

= **إذ جالت فرسه (*) . فقرأ . ثم جالت أخرى . فقرأ . ثم جالت أيضاً . قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى(**) . فقمت إليها . فإذا مثل الظلة فوق رأسي . فيها أمثال السرج . عرجت في الجو حتى ما أراها . قال فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ! بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي . إذ جالت فرسي . فقال رسول الله ﷺ « اقرإ ابن حضير » قال : فقرأت . ثم جالت أيضاً . فقال رسول الله ﷺ : «اقرإ ابن حضير » قال : فقرأت . ثم جالت أيضاً . فقال رسول الله ﷺ « اقرإ ابن حضير ! » قال: فانصرفت . وكان يحيى قريباً منها . خشيت أن تطأه . فرأيت مثل الظلة . فيها أمثال السرُج . عرجت في الجو حتى ما أراها . فقال رسول الله ﷺ : «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم» .**

وفي صحيح مسلم (حديث ٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه **أن رسول الله ﷺ قال : «لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة » .**

(*) جالت أي وثبت .

(**) اي خشيت أن تدوس الفرس ولدي يحيى .

ومن آثار الأعمال الصالحة
للوالدين على تربية الأبناء
تأسي الأبناء بهما في هذه الأعمال

فـالولد الذي يرى أباه دائم الذكر ودائم الـتهليل والتـحمـيد والتـسبـيح والتكبير يلتقط من قوله لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر .

وكـذلك الولد الذي يرسله أبوه ليـلاً بالصدقـات إلى الفـقراء سـراً في بيوتهم يختلف عن الولد الذي يرسله أبوه ليلاً لشراء المخدرات والسجائر .

والولد الذي يرى أباه يصوم الاثنين والخميس ويشهـد الجمع والجماعات ويحـضـر المســاجـد ، ليس كـالولد الذي يرى أباه فـي المسـارح والملاهي والسينمات .

ترى الابن الذي يسمع الأذان كثيراً يردد الأذان ، والابن الذي يسمع أباه يغني يردد هو الآخر الأغاني على الدوام !!

وإذا كان الرجل دائم البـر لأبويه قائما بالدعـاء والاستغفـار لهما يتفـقد أحوال والديه ويطمئن عليهـما ويسد حاجتيهما ويكـثر من قول رب اغفر لي ولوالدي ، ويقول دائما رب ارحمها كما ربيـاني صغيراً ، ويزور قبريهما بعد موتهما ويكثر من الصدقة عنهما ويصل من كان الأبوان يصلاه ، ويعطي من كان الأبـوان يعطيانه ، فـإذا رأى الابن من أبويه هذه الأخلاق فـإنه بإذن الله يقتبس من هذه الأخلاق ، ويستغفر هو الآخر لأبويه بعد موتهما ويفعل بهما ما رآهما يفعلان مع الآباء .

الابن الذي يعـلِّمه أبوه الصلاة ليس كالابن الذي يدربه أبوه على الأفـلام

والموسيقى والكرة !

إن الولد الذي يرى أباه يقوم من الليل يُصلي ويبكي من خشية الله ويتلو القرآن لابد وأن يفكر ، لماذا يبكي أبـي ! ولماذ يصلي أبي ، ولماذا يترك النوم والفراش الدافئ، ويذهب إلى الماء البارد يتوضأ به ؟!

لماذا يجافي جنبه عن المضجع ويدعو ربه خوفاً وطمعاً ؟!

كل هذه تساؤلات تدور في ذهن الابن ويفكر فيهـا ، ويقتبس منها بإذن الله .

وكذلك الفتاة التي ترى أمها دائما محتجبة عن الرجال مستترةً منهم ، قد غمرهـا الحياء ، وكسـاها الوقار ، وعَلَتْها العـفة والطهارة ، تتعلم مـن أمها الحياء والوقار والعـفة والطهارة كذلك أما الفتاة التي ترى أمـها دوماً في تبرجٍ أمام الرجال ، ودائماً تصافح الرجال الأجانب وتخالطهم وتجالسهم ، ودائما معهم في ضحكٍ وتبسمٍ بل وفي رقصات تتعلم من أمها هي الأخري كذلك .

فاتق الله أيهـا الأب واتق الله أيتها الأم في أبنـائك وبناتك . وكن أسوة حسنة لهم ، بحسن خـلقك وكريم طبعك وجميل خـصالك وقبل ذلك كله تمسكك بدينك وحبك لربك سبحانه وتعالى ونبيه ﷺ .

ولاتنه عن خلق وتأتي مثله

عارٌ عليك عظيم أن تنهى أولادك عن خلقٍ سيء وتفعله أنت !

عارٌ عليك أن تنهاهم عن الكذب وأنت تكذب أمـامهم يأتي شخص إلى بيتك يسأل عنك فتقول لولدك (قل له غير موجود) كيف تعلم ولدك الوفاء

وأنت تعده وتخلف وعدك معه ؟!!

كـيف تنهى ولدك عن رفع الصـوت في البـيت وتعلمـه قـوله تعـالى : **﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾** [لقمان : ١٩] وأنت ترفع صوتك بالسبـاب والشتائم والصياح في الـبيت ، تسب زوجتك وتسب أبناءك .

كـيف تنهى ولدك عن شـرب الدخان وعن النـظر إلى المحرمـات وأنت تشرب الدخان وتنظر إلى المحرمات .

إذا قلت لولدك لا تشرب السـيجارة فـقال لك لم يا أبي ؟ فبمـاذا تجيب ولدك وأنت تشربها ؟! [١].

إن الله سبحانه يقول : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾** .

[الصف : ٢ ـ ٣]

---

(١) وهذا من أبيات ، ومنها :

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلـــــه   عارٌ عليك إذا فعلت عظيـــم
وابدأ بنفسك فانهها عن غيِّهـــا   فإن انتهت عنه فأنت حكيـــم
فهناك يُقبل إن وعظتَ ويُقتــدى   بالقول منك وينفع التعليـــم

وهذه الأبيات معزوة إلى أبي الأسود الدوُلي رحمه الله

وثم أبيات أخَر في هذا الباب معزوة لغيره ، ومنها

وغير تقيٍّ يأمر الناس بالتقـي   طبيبٌ يداوي النـــاس مريــض

وأبيات أخَر

إن قوماً يأمروننـــــا   بالذي لا يفعلونــــــا
لمجانين وإن هـــــمُ   لم يكونوا يصرعونــــا

ويقول شعيب عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ . [هود ٨٨]

وهذا حديثٌ لرسول الله ﷺ في هذا الباب .

أخرج البخاري[١] من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ» .

ثناء الناس على الأبناء لصلاح آبائهم

فالأعمال الصالحة للوالدين تجلب ثناءً حسناً للأبناء من الناس ، والأعمال السيئة تجلب تعييراً وتوبيخاً وتأنيباً من الناس ، وكل هذه تؤثر على نفسيات الابن وعلى معنوياته .

فلا تسبب أيها الأب ولا أنت أيتها الأم معرةً للأبناء فيعيِّرون بكما .

هل ترضى أن يُقال لولدك أبوك سارق ؟ أو أبوك زان ؟! أو أمك تدخل الرجال إلى بيوتها ؟ أو فلان من الرجال يخلو بأمك ؟!

هل ترضى أن يُقال لابنائك إن أباك رجل غادر ؟

فهذه أمور تُدمِّر نفسيات أبنائك وأنت لا تشعر فالولد إذا قيل له أبوك من الصالحين ، ومن العلماء أبوك شجاع ، أبوك كان يُصلح بين الناس ويحسن

---

(١) البخاري (حديث ٣٢٦٧) .

إلى الفقراء ويطعم المساكين ، وكان من الطائفين والعاكفين والرّكع السجود ، إذا قيل له هذا تسمو نفسه وتزكو أخلاقياته وينشط لفعل الخير .

أما إذا سمع الناس ينبذونه بالألقاب ويُعيِّرونه بالفضائح التي ارتكبها أبواه فإنه يُدَمَّر ويُحطم وينهار !

إن الله سبحانه وتعالى ذكَّر الأبناء بصلاح الآباء يحثهم بذلك على الايمان والشكر والعمل الصالح فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** ﴾ . { الاسراء :٣ }

أي يا ذرية أهل الإيمان الذي حُملوا مع نوح في السفينة ، قد كان أباؤكم أهل إيمان ، إذ لم يحمل مع نوح إلا مؤمن ، فاذكروا شكره إنه كان عبداً شكوراً ، فكونوا كآبائكم الصالحين .

وقال سبحانه في جملة مواطن: ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** .... ﴾ . { البقرة ٤٧ }

أي يا أولاد النبي الكريم إسرائيل (الذي هو يعقوب عليه السلام) .

ففي هذا تذكير بالأب الصالح والجد الصالح والنبي الكريم اسرائيل عليه السلام فهذا التذكير يحمل ذريته على التأسي بأبيهم في الخير والصلاح .

هذا وقد قال قوم مريم لمريم عليها السلام : ﴿ **يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا** ﴾ . { مريم :٢٨ }

فاتق الله أيها الأب في أبنائك وبناتك واتق الله أيتها الأم في أبنائك وبناتك بل وفي الأحفاد كذلك .

وأيضا فالولد الصالح
ينتفع بصلاح أبويه في الآخرة

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ . {الطور : ٢١}

فإذا لم يبلغ الولد بعمله منزلة أبيه ألحقه الله بأبيه دون أن يبخس الأب حقُّه .

اختيار الزوجه الصالحة

ويجب على الزوج أن يحسن الاختيار عند الزواج ، فينتقي الزوجة الصالحة ذات الدين فإنها ستكون أماً لأولاده ، وبها يتأسس أولادها ، ومن ثديها وأخلاقها يرتضعون .

وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾

{ البقرة : ٢٢١ }

وقال رسول الله ﷺ : « فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ » [1] .

وينبغي أن تكون هذه الزوجة أيضا ـ مع حسن أخلاقها وتمسكها بدينها ـ من أسرة طيبة صالحة، فهذا أفضل وأكمل ألا ترى أن قوم مريم عليها السلام قالوا لها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ .

{ مريم ٢٨ }

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٩٠) ومسلم (حديث ١٤٦٦) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

أي ياأخت هذا الرجل الصالح هارون أبوك كان رجلاً فاضلاً خيراً ، ما عُلم عنه السوء ، ولا أتى بفاحشة وأُمُّكِ كذلك كانت من الصالحات ولم تكن من البغايا الزواني ، فكيف أتيت بهذا الولد ومن أين جاءك ؟ !!

ثم أيضا فالولد قد ينزح إلى أحد أخواله أو أحد أعمامه أو أجداده كما قال النبي ﷺ : «**لَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ**»[١] .

فالأم الصالحة تعلم أولادها القرآن تعلمهم سنة النبي ﷺ تعلمهم مكارم الأخلاق تعلمهم الحلال والحرام ، تقصُّ عليهم سير الأنبياء وأهل الفضل والصلاح .

إذا صَحِبتَهمْ إلى أهلِها الصالحين ازدادوا خيراً ، وازدادوا أدباً وازدادوا علماً .

إذا زارت بهم قوماً تزور أهل فضل وخير وصلاح من أمثالها فيزداد الأولاد أدباً إلى أدبهم وحسن خُلقٍ إلى حسن خُلقهم !! فعليك بالزوجة الصالحة إذا أردت صلاح أولادك ، عليك بالزوجة الطيبة إذا أردت طيب خلق أولادك ، والله هو المستعان .

هذا ولا يمنع أن ينضم إلى دينها حُسنٌ وجمال ورونقٌ وبهاء ما دامت ذات دين ، فهذا له تأثير على الذرية في أغلب الأحوال ، فيأتي الأولاد ـ في الغالب ـ على درجة من الحسن والجمال أيضا كأبويهم !

ألا ترى **أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ـ أتت إلى عائشة ومشيتها كمشية رسول الله ﷺ !!وسمتها كسمت رسول الله ﷺ**[٢]**!!ودلُّها**

(١) صحيح وسيأتي قريبا إن شاء الله .

(٢) أخرج أبو داود (حديث ٥٢١٧) باسناد صحيح عن أم المؤمنين عائشة ﵂ أنها قالت: « ما =

كرسول الله ﷺ !!

ويوسف عليه السلام الذي أوتي شطر الحسن كانت جدته سارَّة عليها السلام من أجمل النساء [١] !!

وقد جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ قائلاً له : « **يا رسول اللّه إن امرأتي ولدت غلاماً أسود**[٢] » كأن الرجل يستنكر على زوجته ويُعِّرض بنفي الولد عنه لكونه ما أشبه أباه ولا أشبه أمه، فدَلَّ هذا على أن الأغلب أن يشابه

= **رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله ﷺ من فاطمة كرّم الله وجهها... الحديث»**.

وعند البخاري (حديث ٣٦٢٣) ومسلم (حديث ٢٤٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: **«أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشيُ النبي ﷺ ... »**

(١) في صحيح مسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **لم يكذب ابراهيم إلا ثلاث كذبات ، ثنتين في ذات الله** ، قوله ﴿ **إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾ [الصافات : ٨٩] وقوله : ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا** ﴾ [الأنبياء : ٦٣] **وواحدة في شأن سارة ، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي في الإسلام ، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك ، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ... الحديث** » .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٦٨٤٧) ومسلم(حديث ١٥٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ فقال : إن امرأتي ولدت غلاماً أسود . فقال النبي ﷺ : «هل لك من إبل ؟ » قال : نعم . قال « فما ألوانها؟» قال: حُمر. قال « هل فيها من أَوْرَق؟**(*) **» قال : إن فيها لَوُرْقاً . قال « فأنى أتاها ذلك؟» قال: عسى أن يكون نزعهُ عِرْقٌ**(**)**. قال: « وهذا عسى أن يكون نزعهُ عِرْقٌ »** .

(*) الأورق: هو الذي به سوادٌ ليس بصاف .

(**) العرق الأصل من النسب ، ومعنى نزعه أشبهه واجتذبه إليه واظهر لونه عليه .

الولد أباه أو أمه ، وقد ينزع إلى أخواله أو إلى أعمامه وأجداده كما قدمنا .

ولا يمتنع أن يكون مع الدين والجمال مالٌ كذلك فالمال يرجع إلى الأولاد ـ بإذن الله ـ في أغلب الأحوال، ولأن يكون لأبناءك مسكناً يسكنون فيه خيرٌ من أن يشردوا ويُشتّتوا وينتقلوا كل يوم من مكان إلى مكان.

ولا يمتنع أن تكون الأم مع هذا كله ذات حسب، وقد قال النبي ﷺ : **«تُنْكَحُ المرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»**[1] .

ويا حبذا لو ظفرت بزوجة قرشية صالحة فهن خير نساء ركبن الإبل ، وعندهن ـ في الغالب ـ من الحنان على الأطفال والرعاية للأزواج ما ليس عند غيرهن ، لقول رسول الله ﷺ : **«خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِه وأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِه»**[2] .

وكذلك المرأة يستحب لها أن تختار لأبنائها أباً صالحاً تتوافر فيه الصفات السابقة من دينٍ وحسن خلق ، وأن يكون ذا مالٍ [3] حتى لا يُضيعها ويضيع

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٨٢) ومسلم (حديث ٢٥٢٧) .

(٣) أعني بالمال ، ما تقام به الأسرة ، فقد قال النبي ﷺ : **« كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قُوتَه »** أخرجه مسلم(حديث ٩٩٦) .

وقال عليه الصلاة والسلام: **« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »** ،أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠) وقد فسر عدد من العلماء الباءة بالقدرة على تكاليف الزواج وإقامة البيت، وفسرت أيضا بالقدرة على الجماع =

أولادها ـ وأن يكون ذا علم وحسب حتى يُعلِّم أولادها فبصلاح الأب ـ باذن الله ـ يَصلح الأبناء في الغالب ، بل ويعود عليهم وعلى أحفادهم فضل صلاحه ، ألا تقرأ قول الله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾ . [الكهف : ٨٢]

وقد قال النبي ﷺ : « **إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ ، فَحَامِلُ المِسْكِ.. إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ.. إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً** »[1] .

والزوجة أكثر الناس مجالسة لك فهل ترضى أن تكون زوجتك كنافخ الكير الذي يحرق ثيابك دائماً .

هل تحب أن تجد من زوجتك الريح الخبيثة دائماً .

= وأشار رسول الله ﷺ أيضا على فاطمة بنت قيس برجلٍ غير معاوية ﷺ معللاً ذلك بقوله: « **أما معاوية فصعلوك لا مال له** » . أخرجه مسلم (حديث ١٤٨٠).

ولا يتعارض هذا كله مع قوله تعالى: ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [النور : ٣٢] .

فليس معنى الآية أن تزوج وليتك لرجلٍ لا يجد ما يطعمها به ، وإنما الفقر أمرٌ نسبي ، فلا يلزم الثراء ، ولا الثراء الفاحش ، بل يلزم ما يُقام به البيت .

وتحتمل الآية أيضا معنى آخر وهو ساعدوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم على الزواج وأعطوهم مما أعطاكم الله وإذا كانوا فقراء فإن الله سيغنيهم هذا والله أعلم .

(١) البخاري (حديث ٥٥٣٤) ومسلم (حديث ٢٦٢٨) من حديث أبي موسى ﷺ مرفوعاً.

وكذلك الزوجة هل ترضى أن يجلب إليها زوجها كل يوم حرائق تحرق ثيابها بل وتحرق بدنها وتقطع كبدها ، فزوجها أكثر جليسٍ لها ، وإن كان غير صالح فهو بمثابة نافخ الكير ، بل هو والله أشد من ذلك فضرره في الآخرة عظيم ، وشره مستطيرٌ عليها في دينها ودنياها . فلتحرص كل امرأة على زوجٍ صالحٍ وليحرص كل زوج على امرأةٍ صالحة ودعُوا الشريرين لبعضهم البعض فهم أولى ببعض ، وأهل الإيمان أولى ببعض قال الله تعالى: ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ . [النور : ٢٦]

تحصينات للطفل قبل مجيئه

ويشرع لك ويُسن ويستحب أن تقدم تحصينات لطفلك قبل مجيئه وذلك باتباع المسنون عن رسول الله ﷺ في ذلك .

الدعاء عند الدخول بالزوجة فمن ذلك عند الدخول بزوجتك (أم الطفل) يُسن لك أن تأخذ بناصيتها وتدعو بهذا الدعاء الوارد عن رسول الله ﷺ : «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْه** » (١) .

وعند جماعها يسن لك أن تقول: «**بِسْمِ اللَّه اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا**» فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَمَا لَو أَنَّ**

---

(١) أخرج أبو داود (٢/٦١٦) بإسناد حسن من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال : « **إذا تزوَّج أحدكم امرأة أو اشترى خادماً فليقل : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ماجبلتها عليه** » .

أَحَدَكُمْ يَقُولُ حِينَ يَأتِي أَهْلَهُ: بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»(١) .

وماذا عند الولادة

فكن ياعبد الله راضياً برزق الله لك ، ذكراً كان المولود أو أنثى ، فالرازق هو الله ، والوهاب هو الله .

قال الله سبحانه ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[الشورى: ٤٩ ـ ٥٠].

ثم إنك لا تدري في أي ذلك خير .

قال الله تعالى : ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ .

[النساء: ١١]

وقال تعالى : ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ . [البقرة: ٢١٦]

فكم من بنتٍ كانت سبباً في سعادة والديها وأقاربها في الدنيا والآخرة ، وكم من ولدٍ كان سبباً في تعاسة آبائه وشقاوتهم والعياذ بالله .

فمريم الصديقة أنثى ، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ كذلك .

مريم عليها السلام أنجبت نبياً من الصالحين .

وفاطمة عليها السلام أنجبت سيدا شباب أهل الجنة .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٩/٢٢٨) ومسلم (١٠/٥ مع النووي) .

فهل ثمَّ مقارنة بين فاطمة أو مريم وبين ولد نوح ـ وهو ذكر ـ الذي أصر على الكفر والعناد ومات على الكفر والعياذ بالله؟!!

ففاطمة بنت رسول الله ﷺ خيرٌ من ملء الأرض من ابن نوح .

فاطمة بنت رسول الله ﷺ إحدى سيدات نساء أهل الجنة.

ومريم عليها السلام صدِّيقة من الصدِّيقات !!

فهل ثم مقارنة بين إحداهما وبين ولد نوح !!

وها هو غلامٌ لو عاش لأرهق أبويه طغايا وكفراً .

قال تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا** ﴾. [الكهف: ٨٠]

ثم إن في تربية البنات والإحسان إليهن أجرٌ عظيم .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : «جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها . فسألتني فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة واحدة . فأعطيتها إياها . فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها . ولم تأكل منها شيئاً . ثم قامت فخرجت وابنتاها . فدخَلَ عليَّ النبيُّ ﷺ فحدثته حديثها . فقال النبيُّ ﷺ : «**مَنْ ابتُلِيَ مِنَ البَنَاتِ بِشَيء، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتراً مِنَ النَّارِ**».

وعند مسلم[٢] أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها. فأطعمتها ثلاث تمرات. فأعطت كل واحدة منهما تمرةً .

(١) البخاري (حديث ٥٩٩٥) ومسلم (حديث ٢٦٢٩) .

(٢) مسلم (حديث ٢٦٣٠) .

ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها. فاستطعمتها ابنتاها. فشقت التمرة، التي كانت تُريد أن تأكلها، بينهما. فأعجبني شأنها . فذكرت الذي صنعت لرسول اللَّه ﷺ فقال: « **إنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ** ».

وفي صحيح مسلم[1] كذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ عَالَ**[2] **جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَومَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ**» وضم أصابعه.

وقد يورثك إنجاب البنات انكساراً لله عز وجل وتواضعاً للخلق فترتفع بذلك درجات يوم القيامة .

وقد يورثك إنجاب الذكور غروراً وكبراً وتعالياً وتعاظماً على الخلق والخالق فتكون النار مثواك ، وبئس مثوى المتكبرين .

وقد رزق بعض الأنبياء وأهل الصلاح بالبنين ، ولم يُذكر أن له بنات ، ورزق بعضهم بالبنات ولم يذكر له بنون ، وبعضهم لم يذكر له ولد ولا بنت.

فنبي الله إبراهيم ﷺ ما ذُكر أنه رزق ببنت !

ونبي الله لوط عليه السلام لم يُذكر له ولد ، بل قال ﴿ **يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُم** ﴾. [هود:٧٨]

---

(١) مسلم (حديث ٢٦٣١).

(٢) قال النووي رحمه الله : معنى عالهما قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما ، مأخوذ من العول، وهو القرب ، ومنه ابدأ بمن تعول .

ونبينا محمد ﷺ مات بنوه الذكور في الصغر وما عاش له إلى الكبر إلا البنات !!

ويحيى عليه السلام كان ﴿ سَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

[آل عمران: ٣٩]

وأسوق إليك هذا الحديث لعلّك تقنع به وتقرّ نفسك وعينك .

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة . . فذكر الحديث وفيه: «**وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّه فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَة فَارِهَة وَشَارَة حَسَنَة فَقَالَتْ أُمُّهُ اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا ، فَتَرَكَ الثَّدى وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِه فجعَلَ يَرْتَضِعُ**»، قَالَ: فَكَأَني أنظر إلى رسول اللّه ﷺ يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه فجعل يمصها، قال: «**وَمَرُّوا بِجَارِيَة وَهُم يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ زَنَيْت سَرَقْت وَهي تَقُولُ حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، فَقَالَتْ أُمُّه: اللَّهُمَّ لا تَجْعَل ابْنِي مِثْلَهَا، فَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهُنَاكَ تَرَاجَعَا الحَدِيثَ**[2]. **فَقَالَتْ: حَلْقَى**[3]! **مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَة فَقُلْتُ: اللهُمَّ! اجْعَل ابني مِثْلَهُ. فَقُلْتَ: اللهُمَّ! لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهَذه الأمَة وَهُم يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنيت. سَرَقْت؟! فقلتُ: اللَّهُمَّ! لا تَجْعل ابَني مِثْلَهَا. فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْنِي مِثْلَهَا**[4] .

(١) البخاري (٣٤٦٦) ومسلم (ص ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨) واللفظ له .

(٢) أي أقبلت على الرضيع تحدثه .

(٣) أي كأنها أصيبت بمصيبة فحلقت معها شعرها .

(٤) أي سالماً من الذنوب والمعاصي مثلها .

قَالَ: إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا. فَقُلْتُ: اللهُمَّ! لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَإِنَّ هَذِه يَقُولُونَ لَهَا: زَنَيت. ولَم تزْنِ . سَرَقْت. وَلَم تَسْرِقْ. فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ! اجْعَلْنِي مِثْلَهَا».

وانظر إلى من دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك.

فقد قال النبي ﷺ : « **إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَن فُضِّل عَلَيْه فِي المَال وَالخَلْق فَلْيَنْظُر إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ مِمَّنْ فُضِّلَ عَلَيْه**»[1].

وفي رواية: « **انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُم فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّه**»[2]، وفي رواية «**عليكم**».

فإن كنت رزقت بالبنت فغيرك لم يرزق بولدٍ ولا ببنت !

وإن كنت رزقت ببنت سويّة صحيحة فغيرك رُزق بطفلٍ أو بطفلة مشوهة ترهقه عند الأطباء ولا يجد لها علاجاً !!

فنبي الله سليمان عليه السلام يرزق بنصف إنسان !

وسبحان الله ، سليمان الذي وهبه الله ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده يرزق بنصف إنسان؟!

سليمان الذي سخرت له الجن والشياطين ، وسخرت له الريح العاصفة وكذلك اللينة والرخاء تجري بأمره حيث أصاب ومَلَك الإنس وسخر له الطير، مع هذا كله ، ومع نبوته وعلمه وفقهه يرزق بنصف إنسان .

فسبحان الله، ليس لأحد من أمره شيء ، والأرزاق يقسمها الرزاق والله

---

(١) البخاري (حديث ٦٤٩٠) ومسلم (حديث ٢٩٦٣) .

(٢) هذه الرواية عند مسلم .

هو الوهاب سبحانه وتعالى .

وها هو الحديث في شأن سليمان .

أخرج مسلم في صحيحه[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ . قال : «**قَالَ سُلَيْمَانُ بن دَاوُدَ: لأطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تسْعينَ امْرَأَة. كُلُّ تَأتي بفَارس يُقاتلُ في سَبيل اللَّه. فَقَالَ لَهُ صَاحبُهُ: قُلْ : إنْ شَاءَ اللَّه. فَلَمْ يَقُل: إنْ شَاءَ اللَّهُ، فَطَافَ عَلَيْهنَّ جَميعاً. فَلَمْ تَحْمل منْهُنَّ إلا امْرَأَةٌ وَاحدةٌ . فَجَاءَتْ بشقِّ رجُل. وايمُ الذي نَفسُ مُحَمَّد بيَده لَوْ قَالَ: إنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا في سَبيل اللَّه فُرْسَاناً أجْمَعُونَ**» .

ثم إن الحياة الدنيا كلها بما فيها من بنين وبنات وجاه ومتاع وسلطان ومال ومُلك كلها في ذهاب وأمرها إلى زوال ، وها هي الآخرة قد أقبلت والساعة قد اقتربت ، والآزفة قد أزفت فلا تذهب بنفسك بعيدا بل وكن راضياً بقضاء الله على كل حال حامداً له على السراء وشاكراً له على النعماء ، صابراً على كل خير وبلاء .

فلا تكونن من الجاهلين الذين قال الله فيهم ﴿ **وَإذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ منَ الْقَوْم من سُوء مَا بُشِّرَ به أَيُمْسكُهُ عَلَىٰ هُون أَمْ يَدُسُّهُ في التُّرَاب أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ . { النحل : ٥٨ـ٥٩ }

فلا تتضايق ولا تتبرم ولا تحزن ولا تغضب إذا رزقت ببنت فلعل في ذلك خيراً لك في الدنيا والاخرة .

ولكن قل الحمد لله واشكر الله على نعمه وآلائه وفضله وإحسانه على كل حال .

(١) مسلم (ص ١٢٧٦ عقب حديث ١٦٥٤) وانظر صحيح البخاري (حديث ٦٧٢) .

تعويذ المولود عند ولادته[١]

قالت امرأة عمران لما وضعت مريم عليهما السلام ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾. [آل عمران: ٣٦]

والعَيْنُ حَقٌّ[٢] كما قال النبيُّ ﷺ

فقد يصاب الولد بعين أحد الحاسدين وتدور به عند الأطباء وتذهب وتجيء ولا ينفع معه نوعٌ من هذا الطب ، إذ هو مريض بمرض من نوع آخر يحتاج إلى علاج آخر ، ألا وهو الرقية .

وقد ذهب النبي ﷺ إلى بيت جعفر فرأى أجسام بني جعفر ضارعة فسأل عن ذلك أمهم فقالت تسرع إليهم العين يا رسول الله قال: «**فَاسْتَرْقِي لَهُم**»، وها هو نص الحديث بذلك :

أخرج مسلم[٣] في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «رَخَّصَ النبيُّ ﷺ لآل حزم في رُقية الحية . وقال لأسماء بنت عُميس «**مَالِي أَرَى أَجْسَامَ بَنِي أَخِي ضَارِعَةً**[٤] **تُصِيبُهُمُ الحَاجَةُ؟**» قالت: لا، ولكن العين تُسرعُ إليهم. قال: «**ارْقِيهِمْ**» قالت: فعرضتُ عليه، فقال: «**ارْقِيهِم**».

---

(١) ما ورد من الأذان في الأذن اليمنى والإقامة في اليسرى ففيه ضعف.

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢١٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٣) مسلم (حديث ٢١٩٨).

(٤) ضارعة أي نحيفة ، والمراد أولاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

فسبحـان الله ، كيف أثرت العين في الأطفال وكانت سببـاً في نحافتهم وضعف أجسامهم .

وفي الصحـيحـين[(١)] أن النبـيَّ ﷺ رأى في وجـه جـارية لأم سـلمة سفعةٌ [(٢)] فقال : «**اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ**» [(٣)] .

ولا تُبغضَنَّ طفلاً لدمامته وقلة جماله

فليس للطفل من أمره شيء ولا أنت كذلك فليس لك من الأمر شيء .

فقد يكون الطفل دميماً ولكنه عند الله وجيهاً .

قال تعالى : ﴿**ولأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**﴾ . [البقرة : ٢٢١]

وقال تعالى : ﴿ **وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُم** ﴾ . [البقرة : ٢٢١]

وقال سبحانه في شأن أهل النفاق ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ** ﴾ .

[المنافقون : ٤]

وقال سبـحانه ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُون** ﴾ . [التوبة : ٥٥]

ثم إن الله سبحانه هو الذي يخلق ويصور كيف يشاء .

قال سبحانه : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ** ﴾ . [الحشر : ٤]

(١) البـخـاري(حـديث ٥٧٣٩) ومـسلم (حـديث ٢١٩٧) من حـديث أم سلمـة ﵂، وانظر التتبع للدارقطني .

(٢) السفعة ، أي التغير والسواد .

(٣) قيل إن النظرة هي العين ، وقيل هي مس من الشيطان .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . [آل عمران: ٦]

وقال تعالى : ﴿ . . . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ .

[عبس: ١٨-١٩]

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ .

[الواقعة: ٥٨ - ٥٩]

فافهم هذا ياعبد الله واعقله ولا يغرنك جمال أحد أبنائك ويحملنك على ظلم الآخرين ، فإن أكرمكم عند الله أتقاكم والله سبحانه وتعالى لاينظر إلى الصور والأجساد ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال كما قال النبي ﷺ [١] .

تحنيك الصبيان والدعاء لهم بالبركة

وقد كان من هديه ﷺ تحنيك الصبيان ففي صحيح مسلم من حديث عائشة ﵂: «**أن رسول اللَّه ﷺ كان يؤتى[٢] بالصبيان فيبرِّك عليهم ويُحنِّكهم**» .

---

(١) في صحيح مسلم (ص ١٩٨٧) من حديث أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » .

وفي رواية أخري عند مسلم : « **إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم** » .

(٢) مسلم (حديث ٢١٤٧) .

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أسماء بنت أبي بكر ﵄ أنها حملت بعبد اللَّه بن الزبير بمكة . قالت : فخرجت وأنا مُتِمٌّ[٢] . فأتيتُ المدينة، فنزلت بِقُباءٍ . فولدته بِقُباءٍ . ثم أتيت رسول اللَّه ﷺ فوضعه في حَجْرِهِ . ثم دعا بتمرةٍ فمضغها . ثم تفل في فيه . فكان أول شيء دخل جوفه ريقُ رسول اللَّه ﷺ . ثم حنكه بالتمرة. ثم دعا له وبَرَّكَ عليه . وكان أول مولود وُلد في الإسلام » .

وأخرج البخاري ومسلم[٣] من حديث أنس بن مالك ﵁ قال :« كان ابن لأبي طلحة يشتكي . فخرج أبو طلحة . فقُبِض الصبي . فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم : هو أسكنُ مما كان[٤] . فقَرَّبتْ إليه العشاء فتعشى . ثم أصاب منها . فلما فرغ قالت : وَارُوا الصَّبيَّ[٥]. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول اللَّه ﷺ فأخبره. فقال : « **أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟** »[٦] قال: نعم. قال « **اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا** » فولدت غلاما، فقال لي أبو طلحة: احمله حتى تأتي به النبي ﷺ . فأتى به النبي ﷺ . وبعث معه بتمراتٍ. فأخذه النبي ﷺ فقال: « **أَمَعَهُ شَيْءٌ؟** » قالوا: نعم. تمرات.

(١) البخاري (حديث ٣٩٠٩) ومسلم (حديث ٢١٤٦ ص ١٦٩١) .

(٢) مُتِم أي مقاربة للولادة .

(٣) البخاري (حديث ٥٤٧٠) رمسلم (حديث ٢١٤٤) .

(٤) هذا من استعمال المعاريض عند الحاجة ، وهو كلام فصيح ، مع أن المفهوم منه أنه قد هدن مرضه وسهل ، وهو في الحياة ، قاله النووي .

(٥) واروا الصبي أي ادفنوه .

(٦) أعرستم كناية عن الجماع أي أجامعت زوجتك ؟ .

فأخذها النبي ﷺ فمضغها . ثم أخذها من فيه . فجعلها في فيِ الصبي . ثم حنكهُ ، وسماه عبد اللَّه » .

وفي رواية لمسلم[١] من حديث أنس أيضا قال : « ذهبت بعبد اللَّه بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول اللَّه ﷺ حين وُلِدَ . ورسول اللَّه ﷺ في عَبَاءة يَهْنَأُ[٢] بعيراً له . فقال : « **هَلْ مَعَكَ تَمْرٌ؟** » فقلت : نعم . فناولته تمرات . فألقاهن في فيه . فَلاَكَهُنَّ[٣]. ثم فَغَرَ فَاه[٤] الصبي فَمَجَّهُ[٥] في فيه . فجعل الصبي يَتَلَمَّظُه[٦] . فقال رسول اللَّه ﷺ « **حُبُّ الأنصارِ التَّمْرُ**[٧] » وسماه عبد اللَّه .

---

(١) مسلم ص ١٦٨٩ .

(٢) يهنأ أي يطليه بالقطران ، وهو الهِناء يقال : هنأت البعير أهنؤه .

(٣) فلاكهن قال أهل اللغة : اللوك مختص بمضغ الشيء الصلب .

(٤) فغرفاه أي فتحه .

(٥) فمجه أي طرحه .

(٦) يتلمظه أي يحرك لسانه ليتتبع ما في فيه من آثار التمر . والتلمظ واللمظ فعل ذلك اللسان . يقصد به فاعله تنقية الفم من بقايا الطعام . وكذلك ما على الشفتين . وأكثر ما يفعل ذلك في شيء يستطيبه . ويقال : تلمظ يتلمظ تلمظا . ولمظ يلمُظ لَمْظاً . ويقال لذلك الشيء الباقي : لُمَاظة .

(٧) حب الأنصار التمر روى بضم الحاء وكسرها . فالكسر بمعنى المحبوب . كالذِّبح بمعنى المذبوح . وعلى هذا فالباء مرفوعة . أي محبوب الأنصار التمر . أما من ضم الحاء فهو مصدر . وفي الباء على هذا وجهان : النصب ، وهو الأشهر ، والرفع . فمن نصب فتقديره : انظروا حب الأنصار التمر . فينصب أيضا . ومن رفع قال هو مبتدأ حذف خبره ، أي حب الأنصار التمر لازم ، أو هكذا ، أو عادة من صغرهم . قاله النووي .

وفي الصحيحين[١] من حديث أبي موسى ﷺ قال : « **وُلِدَ لي غلامٌ فأتيت به النبيَّ ﷺ فسماه إبراهيم، وحنَّكه بتمرة** » .

اختيار اسمٍ حسنٍ للطفل

وهذا من حق ولدك عليك، فلا تسمه باسم يضايقه ، ولا تلقبه بلقبٍ يؤذيه ويُعيّره الناس به ، بل سمه باسمٍ طيب جميل من أسماء المسلمين فإنَّ الأسماء يُتفاءل بها ويُستبشر بها ، بل والاسم الطيب له مدلولٌ طيبٌ حتى في الرؤيا .

أخرج مسلم[٢] **في صحيحه** وأبو داود في سننه من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ - فيمَا يَرَى النَّائمُ - كَأَنَّا في دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ فَأُتينَا برُطَبٍ منْ رُطَبِ ابن طَابٍ**[٣] **فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا في الدُّنْيَا ، وَالعَاقبَةَ في الآخرَةِ، وَأَنَّ دينَنَا قَدْ طَابَ**»[٤] .

وانظر إلى هذا الحديث الذي أخرجه البخاري[٥] من طريق سعيد بن المسيب عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «**مَا اسْمُكَ؟**» قال حزن،

---

(١) البخاري (حديث ٦١٩٨) ومسلم (حديث ٢١٤٥) .

(٢) مسلم (حديث ٢٢٧٠) وأبو داود (حديث ٥٠٢٥) .

(٣) هو نوع معروف عند أهل المدينة ، وهو من الرطب الجيد مضاف إلى رجلٍ من أهل المدينة يُقال له ابن طاب .

(٤) أي كمل واستقرت أحكامه .

(٥) البخاري (حديث ٦١٩٠) .

تنبيه : للشيخ الفاضل بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله تعالى رسالة قيمة ونافعه في باب تسمية المولود وهي (**تسمية المولود آداب وأحكام**) فليرجع إليها من أراد الانتفاع .

قـال: «**أنت سـهل**»، قال: لا أُغَيِّر اسما سمـانيه أبي ، قال ابن المسيب فما زالت الحزونة[١] فينا بعد .

وقال رسول الله ﷺ : «**أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارٌ غَـفَرَ اللَّهُ لَهَا وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» [٢] .

وفي صـحيح البـخاري[٣] بإسناد مـرسل من طريق عكرمة قـال لما جاء سهيل بن عمرو قال النبيُّ ﷺ : «**قَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُم**».

والشخص الذي يحرص على تسمية أولاده باسماء أهل الفضل والصلاح ليس كـالذي يبحث عن أسـماء الكفـار والكافرات والداعـرات عند تسمـية أولاده، فالأول يُثاب والثاني له جزاء نيته السـيئة ، فشتان بين من يبحث عن أسماء الأنبـياء والمرسلين والصحابة والتابعين لهم باحـسان كي يسمي ولده ، وبين من يبحث عن أسماء الراقصات والفجار كي يُسمي أبناءه بأسمائهم .

والشخص يـحن إلى من تسمى باسـمه في الغالب ، فـترى من اسـمه محمد يحب من اسمهم محمـد، ومن اسمه يحيى يحب من اسمهم يحيى، وهكذا سائر الأسمـاء فجدير بك إذن أن تختار لولدك اسمـاً من أسماء أهل

---

(١) قـال الحافظ بن حـجر (فـتح البـاري ١٠/ ٥٧٥): وقال الداودي : يريد الـصعـوبة في أخلاقـهم إلا أن سعيداً أفـضى به ذلك إلى الغضب في الله ، وقال غيره : يشيـر إلى الشدة التي بقيت في أخلاقهم، فقد ذكر أهل النسب أن في ولده سوء خُلُق معروف فيهم لا يكاد يُعدم منهم.

وفي رواية أبي داود (٤٩٥٦) أن الرجل قال (لا السهل يوطأ ويُمتهن) .

(٢) البخاري (حديث ٣٥١٣) ومسلم (حديث ٢٥١٨) من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعاً .

(٣) أخـرجـه الـبـخـاري في ثنايا حـــديث طويل (٢٧٣١ ، ٢٧٣٢) في كـتـــاب الشـروط من صحيحة باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط .

الفضل والخير والصلاح فكذلك كان أهل الفضل يصنعون .

ألا ترى أن مريم هي ابنة عمران وأخاها هو هارون ، وأن موسى هو ابن عمران وأخاه هارون ، ولكن مريم ليست بأخت لموسى عليه السلام فبينهما قرون طويلة ، وقد سئل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ**»، وذلك فيما أخرجه مسلم [1] من حديث المغيرة بن شعبة .

قَالَ : لما قدمتُ نَجران سألوني . فقالوا : إنكم تقرءون : «ياأخت هارون» . وموسى قبل عيسى بكذا وكذا . فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ سألتهُ عن ذلك فقال « **إِنَّهُم كَانُوا يُسمُّونَ بِأَنْبِيَائهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ** » .

فمن ثم يجدر بك أن تختار لابنك ولابنتك اسمًا من أسماء الصالحين وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائكُم إِلَى اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ**» [2] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**تَسَمَّوا بِاسْمِي وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي**»[3].

وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث عند مسلم[4] أن رجلاً من الأنصار وُلد له غلام فأراد أن يسميه محمداً فأتى النبي ﷺ فسأله فقال: «**أَحْسَنَت**

---

(١) مسلم (حديث ٢١٣٥) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢١٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٦١٨٧) ومسلم (حديث ٢١٣٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٤) مسلم (ص ١٦٨٣) .

الأَنْصَارُ، سَمُّوا باسمي وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتي» .

وقد سمى النبي ﷺ ولده إبراهيم[١] .

وفي الصحيحين[٢] من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: وُلد لي غلام فأتيت به النبيَّ ﷺ فسماه: إبراهيم .

يقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله في كتابه (**تسمية المولود**) فيأيها المسلمُ ! أكرر مؤكداً ، وبالحق مُذكراً : إنَّ الاسمَ عنوانُ المسمى ، فإذا كانَ الكتابُ يُقرأ من عنوانه ؛ فإن المولودَ يُعرف من اسمه في معتقده ووجهته، بل اعتقاد من اختار له هذا الاسم ومدى بصيرته وتصوره .

فاسم المولود وعاءٌ له، وعنوان عليه ، فهو مرتبط به ، ومن خلال دلالاته يُقوَّم المولود ووالده وحال أمته، وما هنالك من مُثُلٍ وأخلاق وقيم ، فهو يدل على المولود لشدة المناسبة بين الاسم والمسمى، وهذا أمر قدَّرهُ العزيز العليم، وألهمه نفوس العباد ، وجعله في قلوبهم .

وقلَّ أن يوجد لقب مثلا إلا وهو يتناسب أو يقارب مع المُلَقَّب به .

ومن المشهور في كلام الناس : الألقاب تتنزل من السماء ، فلا تكاد تجد الاسم الغليظ الشنيع إلا على مسمى يُناسبه ، وعكسه بعكسه .

ومن المنتشر قولهم : « لكل مسمًّى من اسمه نصيبٌ » .

وقيل:

وَقَلَّ إنْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ ذَا لَقَبٍ ... إلاَّ وَمَعْنَاهُ فِي اسْمٍ مِنْهُ أَوْ لَقَبِ

(١) انظر البخاري (حديث ٦١٩٤ ، ٦١٩٥) .

(٢) البخاري (حديث ٦١٩٨) ومسلم (حديث ٢١٤٥) .

والأسماء قوالب للمعاني ودالة عليها .

ولهذا ، فمن أصول لسان العرب : أن المعنى يؤخذ من المبنى ، ويدل عليه .

ولهذا نرى ـ كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى ـ : أكثر السِّفْلَةِ أسماؤهم تُناسبهم ، وأكثر الشُّرفاءِ والعِلْية أسماؤهم تُناسبهم .

ولهذا كان بعض الناس إذا رأى شخصاً ؛ تخيل اسمه ، فكان كما تصور، فلا يكاد يخطيء .

فحقاً أن للأسماءتأثيراً في المسميات ؛ في الحُسن والقُبح ، والخفة والثقل، واللطافة والكثافة .

فأحسِنْ أيها المسلمُ ـ بارك الله لك فيما رزقك ـ إلى مولودك وإلى نفسك وإلى أمتك باختيار الاسم الحسن في لفظه ومعناه .

وإن حسن الاختيار يدل على أكثر من معنى ، فهو يدل على مدى ارتباط الأب المسلم بهدي النبي ﷺ ، ومدى سلامة تفكيره من أي مؤثر يصرفه عن طريق الرشد والاستقامة والإحسان إلى المولود بالاسم الحسن .

وبالجملة ؛ فهو الرمز الذي يعبر عن هوية من اختار الاسم والمعيار الدقيق لثقافته .

ومن الدارج في كلام الناس : « من اسمك أعرف أباك » .

والاسم يربط المولود بهدي الشريعة وآدابها ، ويكون الوليد مباركاً فيُذكرُ

اسمه بالمسمى عليه من نبي أوعبد صالح ، ليحصل فضل الدعاء والاقتداء بهدي السلف الصالح ، فتحفظ اسماؤهم ، ويُذكرُ بأوصافهم وأحوالهم ، وتستمر سلسلة الإصلاح في عقب الأمة ونسلها .

وفيه إشباع نفس المولود بالعزة والكرامة ؛ فإنه حين يشب عن طوقه ، ويُميز بين خمسة وستة ، ويكون في سن التساؤلات (السابعة من عُمره) ؛ يبدو هذا السؤال : على من سميتني يا أبتاه ؟ ولماذا اخترت هذا الاسم ؟ وما معناه؟ حينئذٍ يقع الأب في غمرة السرور إن كان أحسن الاختيار، أو يقع في ورطة أمام ابنه القاصر عن سن البلوغ ، فتنكشف ضحالة الأب، وسُخْفُ عقله، فكأن الأب من أول مراحل تربيته لابنه يُلبسه لباسا أجنبياً عنه، ويضعه في وعاء لايلائمه، وهذا انحراف عن سبيل الهدى والرشاد وصدق النبي ﷺ : «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُوْلَدُ عَلَى الفطْرَة، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانه**...»[1] الحديث .

وبالجملة . فالاسم هو الوعاء الذي يستقر في مشموله المولود ، فإذا استكملت اسمه الثلاثي مثلا ؛ حصل لك التصور الأولي عنه ، وتسابقت إلى ذهنك دلالات هذه الأسماء لتكييف هذا الإنسان وتقويمه .

وإذا كانت هذه من آثار الاسم على الولد ووالده ؛ فانظر من وراء هذا ماذا يلحق الأمة من تكثيف هذه الأسماء المحرمة ، وبخاصة الغربية منها:

فللاسم تأثير على الأمة في سلوكها وأخلاقياتها على حد قول النبي ﷺ : «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً؛ فَلَهُ أَجْرهَا وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا**...» [2] .

---

(١) رواه : البخاري (٣ / ١٧٦) ، ومسلم (٢٦٥٨) ؛ عن أبي هريرة .

(٢) قطعة من حديث رواه مسلم (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله البجلي .

ويعطي رؤية واضحة لمدى تأثير التموجات الفكرية والعقدية على الأمة ، وانحسارها عن أخلاقياتها وآدابها .

وماذا من استيلاء العجمة عليها ومداخلة الثقافات الوافدة لها ؟!

ومـاذا من انقطاع حـبل الاتصال في عـمـود النسب عند نكث اليـد من الصبغة الإسلامية : الأسماء الشرعية ؟!

ثم هو ـ بعد ـ من علائم الأمة المغلوبة بعقدة النقص والاستيلاء عليها ، إذ النفسُ مولعةٌ أبداً بالاقتداء بالمتغلِّب عليها ؛ كالعبد المملوك مع سيده .

ثم هو أيضاً يدل على أن الأمة ملقىٌّ حبلُها على غاربها ، وأن ليسَ فيها رجال يُطفئونَ جذوة ما تعاظَمَ في صُدورهم من شأن ذلك الغُلب الفاجر .

وبناءً على ما تقـدمَ ؛ صارَ حُسنُ الاخـتيار لاسم المولود من الواجـبات الشرعية .

تكنية الصغير

ولا بأس أن تدعو الصغـير بكنية ، وأن تكنيه بُكنيـة ذكراً كان أو أنثى ، فتقول له يا أبا فلان ، أو تقول لهـا يا أم فلان فقد تقدم أن النبيَّ ﷺ قال لأخٍ لأنس بن مالك وفي بعض الروايات أحسبه أنه كان فطيماً ـ «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيرُ** [1] ؟».

وقال لطفلةٍ يُقال لها أم خالد: «**يَا أُمَّ خَالِدٍ هَذَا سَنَهْ**»[2] (أي هذا الثوب حسن).

(١ ، ٢) كلاهما صحيح وقد تقدم تخريجهما .

جواز قول الرجل لغير ولده يابُني

ويجوز للرجل أن يدعو غير ولده قائلا له (يابُنيَّ) لما ورد في صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ قال: **قال لي رسول الله ﷺ : (يا بُنيَّ)**[1].

العقيقة عن المولود

ويستحب لك ويسنُّ أن تعق عن ولدك بعقيقة تذبح عنه يوم سابعه لما أخرجه أبو داود[2] في سننه من حديث سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: **«كُلُّ غُلامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِه، تُذْبَحُ عَنْهُ يَومَ سَابِعه ويُحْلَقُ ويُسَمَّى»**[4].

وهذه العقيقة شاتان عن الغلام وشاة عن الجارية ، وقد وردت في ذلك

---

(١) مسلم (حديث ٢١٥١) .

(٢) أخرجه أبو داود (حديث ٢٨٣٨) والترمذي (١٥٢٢) والنسائي (٧ / ١٦٦) وابن ماجة (٣١٦٥) ، وسنده صحيح وعند النسائي من طريق حبيب بن الشهيد قال لي محمد بن سيرين سل الحسن ممن سمع حديثه في العقيقة فسألته عن ذلك فقال سمعته من سمرة .

(٣) وقد ورد هذا الحديث بلفظ (يُدمى) بدلاً من (يُسمى) وحكم أبو داود على لفظ (يُدمى) بالوهم، وقال (ويُسمى) أصح (انظر سنن أبي داود (٣/ ٢٦٠) تحقيق الدعاس.

هذا وقد قال الترمذي عقب إخراج هذا الحديث : هذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم يستحبون أن يُذبح عن الغلام العقيقة يوم السابع فإن لم يتهيأ يوم السابع فيوم الرابع عشر فإن لم يتهيأ عُقَّ عنه يوم حادٍ وعشرين .

قلت (**مصطفى**): أما التسمية في اليوم السابع فالأمر فيها واسع فتجوز التسمية فور الولادة لما أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ **«وُلد لي الليله غلام فسميته باسم أبي إبراهيم»** .

وقد قال الله تعالى: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى**﴾ [مريم:٧].

عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ تصح بمجموعها [١].

ومن أكبر الكبائر أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا** ﴾ . { الإسراء : ٣١ }

وقد قال تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُم** ﴾ .

{ الأنعام : ١٥١ }

وفي الصحيحين[٢] من حديث ابن مسعود ﷺ قال : سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظمُ عند اللَّه ؟ قال : «**أَنْ تَجْعَلَ للَّه نداً وَهُوَ خَلَقَكَ**» ، قلت : إن ذلك لعظيم ، قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» ، قلت : ثم أي ؟ قال : «**ثُمَّ أَنْ تُزَانِي حَلِيلَةَ جَارِكَ**» .

فإياك ثم إياك أن تقترب من هذا الذنب الكبير !

وإياك ثم إياك أن تقترف منه شيئاً !

وكثرة النسل مستحبة ومحمودة، قال النبيُّ ﷺ : «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ**[٣]

---

(١) انظر سنن النسائي (٧ / ١٦٢ فما بعدها) .

وسنن أبي داود (حديث ٣٨٣٤ فما بعده) ، وكذلك انظر إرواء الغليل للشيخ ناصر الألباني حفظه الله (الارواء ٤ / ٣٧٩ فما بعدها) .

(٢) البخاري (٧٥٢٠) ومسلم (حديث ٨٦) .

(٣) الودود هي التي تحب زوجها .

الوَلُودَ (١) **فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ**»(٢) .

والولد الصالح يدعو لك كما قال النبي ﷺ ، وقال عليه الصلاة والسلام : « **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ، إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»(٣) .

المحافظة على تعويذ الصبيان

ويُسنُّ لك أن تكثر من تعويذ صبيانك في الصباح والمساء إن استطعت وبين الحين والآخر ، إما بالمعوذات فتتفل في يديك ثم تقرأ المعوذات (قل هو اللَّه أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) وتمسح بها على الطفل، تفعل ذلك ثلاثاً، فقد كان النبي ﷺ إذا اشتكى صنع ذلك ومسح على رأسه وسائر جسده (٤) ، وكان يفعل ذلك عند نومه أيضاً .

وثمَّ تعويذة أخرى كان النبي ﷺ يعوذ بها الحسن والحسين رضي الله عنهما وهي:

---

(١) الولود هي التي تكثر ولادتها .

(٢) قال ذلك الخطابي ، وقال : « يعرف هذان الوصفان في الأبكار من أقاربهن إذ الغالب سراية طباع الأقارب بعضهن إلى بعض ، ويحتمل ، والله تعالى أعلم ـ أن يكون معنى « تزوجوا اثبتوا على زواجها وبقاء نكاحها إذا كانت موصوفه بهذين الوصفين » .

(٣) مسلم (حديث ١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٤) أخرج البخاري (مع الفتح ٩ / ٦٢) ومسلم (مع النووي ١٤ / ١٨٣) من حديث عائشة رضي الله عنها **أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده** .

وفي رواية للبخاري (مع الفتح ١١ / ١٢٥) من حديث عائشة أيضا **أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده** .

«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ» [١] ويا حبذا لو علمت أبناءك وبناتك تعويذ أنفسهم .

وثمَّ حديث أهمل كثيرون العمل به

ألا وهو ما أخرجه **البخاري ومسلم**[٢] من حديث جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيلِ[٣] ـ أَوْ أَمْسَيْتُم ـ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُم فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَحُلُّوهُمْ فَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَفْتَحُ بَابَاً مُغْلَقاً ، وَأَوْكُوا قِرَبَكُم[٤] وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرُوا [٥] آنيتَكُمْ واذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرِضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ»**.

نظافة الأطفال

والاهتمام بنظافة الأولاد ونظافة ثيابهم وأبدانهم أمرٌ مشروعٌ ومستحب ومرغبٌ فيه وقد سلكه أهل الخير والفضل ، وله أدلته من الكتاب والسنة .

أما من الكتاب فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ٦ / ٤٠٨) من حديث ابن عباس ﷺ قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : « **إن أباكما كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامه ، ومن كل عين لامة** » .

(٢) البخاري (حديث ٥٦٢٣) ومسلم (مع النووي ١٣ / ١٨٣) .

(٣) المراد إقبال الليل بعد غروب الشمس .

(٤) أوكو قربكم أي اربطوا أفواه القرب .

(٥) خمرِّوا آنيتكم أي غطوها .

عندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ . [الأعراف : ٣١ ـ ٣٢]

وقال تعالى ﴿ **وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ** ﴾ . [المدثر : ٤]

وقال النبيُّ ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**» [1] .

ومن إضاعة الأولاد تركهم مُهملين متسخى الثياب قد علا وجوههم الغبار والوسخ ، وتسرب إلى رؤسهم وشعورهم القمل والحشرات ، وقد تراكم على أجسادهم الذباب وسال على أفواههم المخاط واللعاب .

كل هذا بلا شك ينافى النظافة التي حثنا عليها ربنا وذكَّرنا بها نبينا ﷺ .

وها هو رسول الله ﷺ سيد ولد آدم يُنحي المخاط عن أسامة بن زيد ويُميط عنه الأذى صلوات ربي وسلامه عليه .

أخرج الترمذي [2] باسناد حسن من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أراد النبي ﷺ أن يُنحي مخاط أسامة، قالت عائشة : حتى أكون أنا الذي أفعل ، قال يا عائشة أحبيه فإني أحبه .

وعند ابن أبي شيبة [3] بإسناد صحيح لغيره عن عائشة قالت : عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه فقال لي رسول الله ﷺ : «**أَمِيطِي عَنْهُ الأَذَى** » فقذرته فجعل يمص الدَّم ويمجُّه عن وجهه ويقول: «**لَوْ كَانَ أُسَامَةُ جَارِيَةً لَكَسَوْتُهُ وَحَلَّيْتُهُ حَتَّى أُنْفِقَهُ** » .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) الترمذي (حديث ٣٨١٨) .

(٣) ابن أبي شيبة (المصنف ١٢٣٥٦) وأحمد (٦ / ١٣٩ ، ٢٢٢) .

وفاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة تنظف ولدها وتغسّله.

أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج النبي ﷺ في طائفة من النهار لا يُكلمني ولا أكلّمُهُ حتى أتى سوق بني قينقاع فجلس بفناء بيت فاطمة فقال : « **أَثَمَّ لُكَعٌ؟** » فحبسته شيئا فظننت أنها تُلبسُهُ سخاباً أو تغسلُهُ، فجاء يشتد حتى عانقه وقبلّه، وقال: «**اللَّهُمَّ أَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ** » .

ويُرش الثوب الذي أصابه بول الغلام ويغسل الثوب الذي أصابه من بول الجارية ماداما لم يأكلا الطعام

فإذا أكلا الطعام غسل من بولِ كلٍ منهما .

أخرج أبو داود [٢] رحمه الله وغيره من حديث أبي السمح رضي الله عنه قال : كنت أخدم النبي ﷺ فكان إذا أراد أن يغتسل قال: «**ولّني قَفَاكَ**» فأوليه قفاي فأسترُهُ به فأُتي بحسنٍ أو حسينٍ رضي الله عنهما فبال على صدره؛ فجئت أغسله فقال: « **يُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الجَارِيَةِ ويُرَشُّ مِنْ بَوْلِ الغُلامِ**» .

---

(١) البخاري (حديث ٢١٢٢) ومسلم (حديث ٢٤٢١)

والمراد باللكع هنا الصغير ، وفي رواية البخاري (٥٨٨٤) أين لكع ؛ ثلاثا . أدع الحسن بن علي أما السخاب فقال بعض العلماء هو قلادة (أي عقد) تتخذ من الطيب ليس فيها ذهب ولا فضة ، وقال آخرون هو خيط من خرزٍ يلبسه الصبيان والجواري .

(٢) صحيح لغيره ، وقد أخرجه أبو داود (حديث ٣٧٦) ومسلم (١/ ١٥٨) وابن خزيمة (١/ ١٤٣) وابن ماجة (٥٢٦) وغيرهم .

الختَان

وعلى الرجل أن يختن أولاده الذكور ، ويستحب له أن يختن البنات وذلك لقول الرسول ﷺ : « **الفطْرَةُ خَمْسٌ الختَانُ وَالاستْحْدَادُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وتَقْليمُ الأظْفَارِ ونَتْفُ الآبَاطِ...** »[١].

وهذا عام فيدخل فيه النساء مع الرجال .

وقد وردت في شأن ختان البنات بعض الأحاديث وفيها مقال كقول النبي ﷺ لأم عطية : « **إذَا خَفَضْتِ فَأَشمِّي وَلا تُنْهِكِي فَإنَّه أنضرُ للوجه وأَحْظَى عندَ الزَّوْجِ** »[٢].

وآخر عند أبي داود[٣] من حديث أم عطية رضي الله عنها أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي ﷺ : «**لا تَنْهكي فَإنَّ ذَلكَ أَحْظَى للْمَرْأَة وأَحَبُّ إلَى البَعْلِ**» وفي إسناده مجهول وقد رُوي مرسلاً .

وثم أحاديث أخر فيها مقال أيضا كحديث : « **الختَانُ سُنَّةٌ للرِّجَالِ وَمَكْرمةٌ للنِّسَاءِ** »[٤] ففيه ضعف كذلك .

وأقوال كثير من أهل العلم تدور حول وجوب الختان على الرجال واستحبابه للنساء ، وثمَّ أقوال لهم غير ذلك ، والله أعلم .

---

(١) البخاري (حديث ٥٨٩١) ومسلم (مع النووي ١ / ٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) أخرجه الخطيب البغداد (٥/ ٣٢٧) وفي إسناده زائدة بن أبي الرقاد وهو منكر الحديث.

(٣) أبو داود (حديث ٥٢٧١) وفي إسناده مجهول .

(٤) أخرجه أحمد (٥ / ٧٥) وهو ضعيف .

النهي عن القزع

ولينبه على أن النبي ﷺ نهى عن القزع [1] ، وهو أن يحلق بعض رأس الطفل ويترك البعض .

وكذلك فليمنع الطفل من أن يقص شعره بتلك القصات التي يتشبه فيها بالمشركين كالقصة الانجليزية والفرنسية وغيرها من القصات التي يكون الطفل فيها مشابها لأهل الكفر والشر والفساد .

فبدلاً من أن تبحث عن الموضة أنت وولدك فابحث عن صفة رسول الله ﷺ وعن صفة شعره واصنع كصنع رسول الله ﷺ ، فقد قال تعالى : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ . { الأحزاب : ٢١ }

وقال تعالى : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ . { النور : ٥٤ }

مسألةٌ:

وهل الأولى للأرملة أن تبقى على خدمة أطفالها بعد وفاة زوجها وتترك الزواج ، أم الأولى لها أن تتزوج .

هذا يختلف من امرأة إلى أخرى ومن زوج إلى زوج آخر ومن حال إلى حال .

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٥٩٢١) ومسلم (حديث ٢١٢٠) من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن القزع قال (الراوي عن نافع) قلت لنافع : وما القزع ؟ قال يُحلق بعض رأس الصبي ويُترك بعضٌ .

فإذا كانت المرأة شابة تجري فيها شهوتها وتخشى على نفسها الفتنة وتحتاج إلى من يعفها فلها حينئذ أن تتزوج زوجاً يعفها ويقوم على مصالحها ومصالح أبنائها .

وكذلك إذا كانت المرأة لا طاقة لها بالقيام على الأبناء وتربيتهن .

وكذلك إذا كان للشريرين فيها مطمع ، إلى غير ذلك من الأحوال الداعية إلى ذلك .

أما إذا كانت المرأة قد كبرت ولا حاجة لها في الرجال والزواج سيصرفها عن خدمة الأبناء، بل قد يضيع الأبناء عند زوجها أو أنها لن تستطيع أن تجمع بين حق الزوج الجديد وبين حق الأولاد ومالهم من الرعاية والاهتمام، فلها حينئذ أن تترك الزواج وتبقى على تربية الأبناء، ولها في ذلك الأجر من الله سبحانه وتعالى، وقد جاءت صور هذا وذاك على عهد رسول الله ﷺ .

أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **خَيرُ نساء رَكِبنَ الإبل صَالحُ نِسَاء قُرَيش أَحْنَاهُ عَلَى وَلَد في صِغَرِه ، وأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ في ذَاتِ يَدِه**» .

وفي رواية لمسلم . . . « **أَحْنَاهُ عَلَى يَتِيم في صِغَرِه**...»[٢] .

وفي أخرى عند مسلم [٣] من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ خطب أم هانيء بنت أبي طالب فقالت يارسول الله إني قد كبرت ولي عيال فقال رسول الله ﷺ : «**خَيرُ نسَاء رَكِبنَ الإبل**... » ثم ذكرت الحديث .

(١) البخاري · حديث ٥٠٨٢) ومسلم (حديث ٢٥٢٧) .

(٢ ، ٣) مسلم ص ١٩٥٩ .

قال النووي رحـمه الله : (شرح مسلم٥/ ٣٨٨) : والحانية على ولدها التي تقوم عليهم بعد يُتمهم فلا تتزوج فإن تزوجت فليست بحانية ونقل ذلك عن الهروي .

قلت: وليس هذا التفسير من النووي على إطلاقه فقد تزوج النبي ﷺ أم سلمة ولها أولاد .

أخرج الإمـام مسلم[1] في صحيحـه من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : أرسل إليَّ رسول الله ﷺ حـاطب بن أبي بلتعة يخطـبني له فقلت إن لي بنتاً وأنا غيـور فقال : « **أَمَّا ابْنَتُهَا فندْعُو اللَّهَ أَنْ يُـغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ بِالغَيْرَةِ** » .

وقد تزوجت أسماء بنت عميس رضي الله عنها أبا بكر الصـديق بعد مقتل زوجها جعفر بن أبي طالب ثم تزوجت علياً بعد موت أبي بكر رضي الله عنهم جميعا .

فالحاصل أن المسألة تختلف من حالٍ إلى حال ، ومن امرأة إلى أخرى .

تقبيل الصغير

ويشرع ويستـحب للوالدين تقبيل أبنائهمـا وبناتهما [2] **وقـد كـان النبي ﷺ يُقبـل ابنته فـاطمة رضي الله عنها [3] وكان أبو بكر يقـبل ابنته عـائشة رضي الله عنها**[4] ،

(١) مسلم (ص ٦٣٢) .

(٢) قال ابـن بطال يجوز تقـبيل الولد الصـغيـر في كل عضـوٍ منه وكذا الكبـير عند أكـثر العلـماء مالم يكن عورة ، نقله عنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٠/ ٤٢٧) .

(٣) صحيح وسيأتي إن شاء الله .

(٤) أخرج البخـاري (حـديث٣٩١٧، ٣٩١٨) مـن حـديث البراء بن عـازب رضي الله عنه قال. . . =

وهذا مزيد في هذا الباب .

وأخرج الإمام **البخاري**[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « دخلنا مع رسـول اللَّه صلى الله عليه وسلم على أبي سيفٍ القـيْن[٢] ، وكان ظئـراً لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبَّله وشمَّه» .

وأخرج مسلم[٣] من حديث أنس رضي الله عنه قال: مـا رأيت أحداً كان أرحم بالعيـال من رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قـال: كان إبراهيم مُسترضعاً لـه في عوالي المدينة. فكان ينطلق ونحن معه. فيدخل البيت وإنه ليُدخن. وكان ظئرهُ قيناً. فيـأخذه فيُقـبِّلُهُ. ثم يرجع. قال عـمرو: فلما تُوفي إبراهيم قـال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : «**إنَّ إبْرَاهِيمَ ابْنِي. وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ**[٤] **وَإِنَّ لَهُ لَظِئْرَينِ**[٥] **تُكمِّلان رَضَاعَهُ**[٦] **فِي الجَنَّةِ** » .

= فدخلت مع أبي بكر على أهله ، فإذا عائـشة ابنته مضطجعة قد أصابتـها حُمى فرأيت أباها يُقبِّل خدها ، وقال كيف أنت يا بنية ؟

قلت (**مصطفى**) وهذا في حديث الهجرة ، وعائشة آنذاك كانت دون البلوغ وأيضا فقد كان دخول البراء على أهل أبي بكر وذلك قبل أن ينزل الحجاب .

(١) البخاري (حديث ١٣٠٣) .

(٢) القَّين هو الحـدَّاد ، وقـوله (ظئراً) أي زوج المرضـعـة التي ترضع إبراهيم (ابن رسـول الله) عليه السلام ، وقد ذكر بعض العلماء أنها أم بردة بنت المنذر وهي غير حليمة ، والله أعلم .

(٣) مسلم (حديث ٢٣١٦) .

(٤) معناه مات وهو في سن الرضاع وأثناء التغذية بلبن الثدي .

(٥) ظئرين المراد بالظئر هنا المرأة التي ترضعه ، وإن كان الظئر يطلق على زوج المرضعة .

(٦) أي تُتمان رضاعه إلى حولين .

وفي رواية أخرى لمسلم [١] من حديث أنس أيضا قال : قال رسول الله ﷺ : « **وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلامٌ . فَسَمَّيْتُه باسْمِ أَبِي، إِبْرَاهِيمَ**» ثم دفعه إلى أم سيف ، امرأة قَيْن [٢] يقال له أبوسيف فانطلق يأتيه واتبعته ، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره . قد امتلأ البيت دُخاناً . فأسرعت المشي بين يدي رسول اللّه ﷺ فقلت: يا أبا سيف! أمسك. جاء رسول اللّه ﷺ . فأمسك فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه، وقال ما شاء اللّه أن يقول.

فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول اللّه ﷺ . فدمعت عينا رسول اللّه ﷺ فقال: «**تَدْمَعُ العَيْنُ وَيَحْزَنُ القَلْبُ. وَلا نَقُولُ إِلا مَا يُرْضِي رَبَّنَا. وَاللّه! يا إِبْرَاهِيمُ! إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ**» .

وأخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث عائشة ﵂ قالت : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: «تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُم»، فقال النبي ﷺ : «**أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ**» .

وكذلك أخرج البخاري ومسلم [٤] من حديث أبي هريرة ﵁ قال : قبَّل رسول اللّه ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرعُ بن حابس التميمي جالساً فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت منهم أحداً ، فنظر إليه رسول اللّه ﷺ ثم قال: «**مَنْ لاَ يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٣١٥) .

(٢) القين الحداد .

(٣) البخاري (حديث ٥٩٩٨) ومسلم (٢٣١٧) .

(٤) البخاري (حديث ٥٩٩٧) ومسلم (٢٣١٨) .

صور من مزاح النبي ﷺ

مع الصغار ورفقه بهم [illegible]

واقدروا قدر الجارية [١].

كلمة قالتها أم المؤمنين عائشة ، وصدقت فيما قالت رضي الله عنها فقد تكلمت فأوجزت وأفصحت وأبانت وأوضحت فللصغير قدرٌ، وله تفكير ، وله عقل، وله اهتمامات وهذه قطعاً أمورٌ يختلف فيها الصغير عن الكبير يختلف الصغير في عقله وتفكيره واهتماماته عن الكبير فينبغي أن يوضع هذا كله في الاعتبار فلا يؤخذ الصغير بالجدِّ في كل الأوقات ، ولا يُكلَّف فوق طاقته ، ولا يُحمل فوق قدرته ، ولا يُحرم حقه وحظه من المرح واللعب والترويح عن النفس فقد جعل الله لكل شيء قدراً .

لا يترك الطفل للعب في كل الأوقات، ولا يؤخذ بالجدِّ في كل الأوقات بل يُراعى حقه وتراعى مصلحته وتراعى قدراته وتراعي همته ويُراعى عُمره كذلك وها هي نماذج وصور من معاملة الرسول ﷺ مع الصغار وإعطائهم حظهم من المزاح والمرح .

في الصحيحين[٢] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان الحبش يلعبون فسترني رسول اللَّه ﷺ وأنا أنظر فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو .

---

(١) صحيحة ، وسيأتي تخريجها .

(٢) البخاري (٥١٩٠) ومسلم (حديث ٨٩٢) .

وفي رواية باسناد صحيح عند النسائي في السنن الكبرى[١] عن عائشة قالت : دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي : «**يَا حُمَيْرَاءُ، أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِم؟**» فقلت: نعم فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده ، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طَيِّباً[٢] ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**حَسْبُكِ؟!**»[٣] فقلت: يارسول لا تعجل ، فقام ثم قال: «**حَسْبُكِ؟!!**» فقلت: لا تعجل يا رسول اللَّه ـ قالت : ومالي حبُّ النظر إليهم ، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامُه لي ومكاني منه»[٤] .

وفي رواية بإسناد حسن عن عائشة ﵂ (عند النسائي في السنن الكبرى): قالت: لعبت الحبشة فجئت من ورائه ﷺ فجعل يطأطيء ظهره حتي أنظر[٥] .

وأخرج الإمام أحمد في امسند[٦] ، والنسائي في السنن الكبرى وغيرهما بسند صحيح عن أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدن، فقال للناس: «**تَقَدَّمُوا**» فتقدموا ثم قال لي: «**تعالى حتى أسابقك**» فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى

---

(١) النسائي في السنن الكبرى (حديث ٨٩٥١ / ١) وقد صحح الحافظ ابن حجر رحمه الله اسناد هذه الرواية (فتح الباري ٢ / ٤٤٤) .

(٢) أي من الأغاني التي يغنون بها .

(٣) حسبك أي هل يكفيك ؟! .

(٤) أي يعرف النساء (تعني أزواجه) منزلتي عند رسول الله ﷺ .

(٥) النسائي (السنن الكبرى ٥ / ٣٠٨) .

(٦) أحمد في المسند (٦/ ٢٦٤) والنسائي في السنن الكبرى (٥ / ٣٠٤) .

إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس: «**تَقَدَّمُوا**» فتقدموا ثم قال: «**تعَالَ حَتَّى أُسَابِقَكِ**» فسابقته فسبقني فجعل يضحك وهو يقول: «**هَذِه بتِلْكَ**» .

وأخرج البخاري ومسلم [١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : **كنت ألعب بالبنات** [٢] **عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي ، فكان رسول اللَّه ﷺ إذا دخل ينقمعن** [٣] **منه فيُسرّبهن** [٤] **إليَّ فيلعبن معي .**

وقد استدل جمهور العلماء بهذا الحديث على جواز لعب البنات الصغيرات بالبنات (أي باللعب بالصغيرة التي على شكل العرائس ونحوها)

---

(١) البخاري (مع الفتح ١٠ / ٥٢٦) ومسلم (مع النووي ٥ / ٢٩٥) .

(٢) البنات هي اللعب التي يلعب بها الفتيات الصغيرات ، وتكون هذه البنات على شكل عرائس ونحوها قال النووي : قال القاضي : فيه جواز اللعب بهن ، قال : وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهذا الحديث ، ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن ، وقد أجاز العلماء بيعهن وشراؤهن .. ثم قال : ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن .

وقال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٠ / ٥٢٧) : واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن ، وخصَّ ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور ، وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور . ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله جملة أقوال في ذلك .

(٣) ينقمعن أي يختفين .

(٤) يُسربهن أي يُرسلهن .

وفي رواية للنسائي في السنن الكبرى (٥ / ٣٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : **كنت ألعب بالبنات فربما دخل عليَّ رسول الله ﷺ وصوا حباتي عندي فإ ذا رأين رسول الله ﷺ فررن فيقول رسول الله ﷺ « كما أنت ، وكما أنتن »** .

وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري في ذلك .

وقد قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ**﴾ [يوسف: ١٢]، فما أنكر أبوهم لعب يوسف ﷺ ، وإنما أبدى مخاوفه بقوله: ﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾ .

[يوسف: ١٣]

حديث: «يَا أَبَا عُمَير مَا فَعَلَ النُّغَيرُ» وبعض ما فيه من فوائد

وانظر إلى مداعبة الرسول ﷺ لطفلٍ وسؤاله عن الطائر الذي كان يلعب به الطفل .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخٍ لي صغير : «**يَا أَبَا عُمَير مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**»[٢].

وفي رواية لأحمد [٣] من طريق حميد عن أنس قال كان لأبي طلحة ابنٌ يقال له أبو عمير وكان النبي ﷺ يضاحكه قال فرآه حزينًا فقال: «**يَا أَبَا عُمَير مَا فَعَلَ النُّغَيرُ**».

وفي رواية ثالثة عند أحمد أيضا [٤] .. وكان يمازحه فدخل عليه فرآه

(١) البخاري (حديث ٦١٢٩) ومسلم (حديث ٢١٥٠) .

(٢) النُّغير طائر صغير .

(٣) أحمد (المسند ٣ / ١١٥) وسنده صحيح .

(٤) أحمد (٣ / ١٨٨ ، ٢٠١) وهو صحيح .

حزينا فقال: «**مَا لِي أَرَى أَبَا عُمَير حَزِيناً؟**» فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به. قال: فجعل يقول: «**أَبَا عُمَيرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**» .

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث جملة فوائد تتعلق بالصغير:

ـ **منها**: جواز تكنية الصبي، لقول النبي ﷺ : «**يَا أَبَا عُمَيرٍ**» . . وقد بوَّب لذلك البخاري بباب الكنية للصبي .

ـ **ومنها**: جواز الممازحة وتكرير المزح وإنها إباحة سُنة لا رخصة ، وأن ممازحة الصبي الذي لم يُميز [1] جائز ، وتكرير زيارة المزوح معه .

ـ **ومنها**: التلطف بالصديق صغيراً كان أو كبيراً والسؤال عن حاله وتأنيس الصبيان والتسرية عنهم .

ـ **ومنها**: جواز لعب الصغير بالطير ، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح له اللعب به ، وجواز إنفاق المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات ، وجواز إمساك الطير في القفص مادام يطعمه ويسقيه [2] .

ـ ومنها: مخاطبة الأطفال على قدر عقولهم .

= وفي بعض الروايات أشار إليها الحافظ في الفتح (١٠ / ٥٨٣) : « **ما شأني أرى أبا عمير ابنك خائر النفس** » أي ثقيل النفس غير نشيط فقالت أم سليم ماتت صعوته التي كان يلعب بها فقال أي أبا عيمر مات النغير ؟!!

(١) فقد ورد في بعض الطرق في شأن أبي عمير (وأحسبه كان فطيما) عند البخاري (حديث ٦٢٠٣) وكذا عند مسلم .

(٢) وأشار بعض أهل العلم إلى جواز قص جناح الطير حتى لا يطير .

الرسول ﷺ يداعب طفلة صغيرة

وها هي طفلة صغيرة يداعبها رسول الله ﷺ .

أخرج البخاري[١] من حديث أم خالد بنت خالد رضي الله عنها قالت : أُتي النبي ﷺ بثياب فيها خميصة [٢] سوداء صغيرة، فقال: «**مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نَكْسُوَ هَذِه؟**» فسكت القوم ، قال: ائتوني بأم خالد، فأُتي بها تُحمل ، فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: «**أَبْلي وَأَخْلقي**» وكان فيها عَلَمٌ أخضر أو أصفر، فقال: «**يَا أُمَّ خَالد، هَذَا سَنَاه**» وسناه بالحبشية .

وعند البخاري: والسنا بلسان الحبشة الحسن .

ويمجُّ الماء في وجه صبي آخر مداعباً له

فها هو صبي آخر يمجُّ النبي ﷺ الماء في وجهه .

أخرج البخاري [٣] من حديث محمود بن الربيع رضي الله عنه قال : عقلت من النبيِّ ﷺ مجةً مجها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين من دَلْوٍ .

والمج: هو إرسال الماء من الفم، وقيل لا يسمى مجاً إلا إن كان على بُعد قاله الحافظ ابن حجر[٤] ، وزاد وفعله النبي ﷺ مع محمود إما مداعبةً معه، أو ليبارك عليه بها كما كان ذلك من شأنه مع أولاد الصحابة.

---

(١) البخاري (٥٨٢٣) .

(٢) الخميصة ثوب من صوف أو حرير مُعلَّم .

(٣) البخاري (حديث ٧٧) .

(٤) الفتح (١ / ١٧٢) .

ومن رحمة الرسول ﷺ بالصغار أيضا

وأخرج البخاري ومسلم(١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: **رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّه»**.

ومن ذلك أيضا ما أخرجه البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ في طائفة من النهار لا يُكلِّمني ولا أُكلِّمه حتى أتى سوق بني قينقاع ، فجلس بفناء بيت فاطمة فقال: «**أثَمَّ لكع أثَمَّ لُكَع؟**» فحبسته شيئا فظننت أنها تُلبُسه سخابا أو تُغسله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبَّله وقال: «**اللَّهُمَّ أحبَّهُ وأحبَّ من يُحبُّهُ**».

وعند أبي يعلى(٣) باسناد حسن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يُصلي فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم أن دَعُوهما فإذا قضى الصلاة وضعهما في حجرِه قال: «**مَنْ أحبَّني فَلْيُحبَّ هَذَيْن**».

وعند الإمام أحمد في المسند(٤) بإسناد صحيح من طريق زهير بن الأقمر قال: بينما الحسن بن علي يخطب بعد ما قتل علي رضي الله عنه إذ قام رجل من الأزد آدم طوالٌ فقال: لقد رأيت رسول اللَّه ﷺ واضعه في حبوته يقول: «**مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُ، فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الغَائِبَ» ولولا عزمة رسول اللَّه ﷺ ما حدثتكم**.

(١) البخاري (حديث ٣٧٤٩) ومسلم (٢٤٢٢) .

(٢) البخاري (حديث ٢١٢٢) ومسلم(حديث ٢٤٢١) ، وقد تقدم .

(٣) أبو يعلى (المسند ٨ / ٤٣٤) .

(٤) أحمد في المسند (٣ / ٣٦٦) .

وأخرج **البخاري**[١] رحمه الله من حديث أبي بكر ﵁ قال : **سمعت النبيَّ ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»** .

ومن رحمته ﷺ بالصغار حمله لأمامة بنت ابنته في الصلاة أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي قتادة الأنصاري ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول اللَّه ﷺ ولأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها .

ومن ذلك أيضا تخفيفه الصلاة من أجل بكاء الصبي ومن شدة وجد أُمِّه عليه أخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أنس ﵁ **أن النبي ﷺ حدثه قال: « إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَلاة وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّه مِنْ بُكَائه»** .

وعند البخاري[٤] من حديث أبي قتادة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«إِنِّي لأَقُومُ فِي الصَّلاة وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّه»** .

ومن رحمته ﷺ بالصغار تأجيل رجم الغامدية من أجل صغيرها .

ففي صحيح مسلم[٥] من حديث بريدة ﵁ قال: جاء ماعز بن مالك إلى

---

(١) البخاري (حديث ٣٧٤٦) .

(٢) البخاري (حديث ٥١٦) ومسلم ٢ / ١٨١) .

(٣) البخاري (حديث ٧٠٩) ومسلم(ص ٣٤٣٠) .

(٤) البخاري (حديث ٨٦٨) .

(٥) مسلم (حديث ١٦٩٥ ص ١٣٢٢ ، ١٣٢٣) .

النبي ﷺ فقال يارسول اللَّه طهرني. . . . الحديث وفيه قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يارسول اللَّه طهرني. فقال: «**وَيْحَكِ! ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ**». فقالت: أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز ابن مالك. قال «**وماذاك؟**» قالت: إنها حُبلى من الزنى. فقال: «**آنت**» قالت: نعم. فقال لها: «**حَتَّى تَضَعِي مَا فِي بَطْنِك**». قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية. فقال: «**إِذًا لا نَرْجُمُهَا وَنَدعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ**» فقام رجل من الأنصار فقال: إليَّ رَضَاعُهُ. يا نبي اللَّه! قال: فرجمها.

وفي رواية أخرى عند مسلم فجاءت الغامدية فقالت: يارسول اللَّه! إني قد زنيت، فطهرني. وإنه ردَّها. فلما كان الغد قالت: يارسول اللَّه لم تردُني؟ لعلك أن تردُني كما رددت ماعزا. فواللَّه إني لحُبلى. قال: «**إمَّا لا فَاذْهَبِي حَتَّى تَلدي**» فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة. قالت: هذا قد ولدته. قال: «**اذْهَبِي فَأَرْضِعيه حَتَّى تَفْطميه**» فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خُبز. فقالت: هذا يانبي اللَّه! قد فطمته، وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين. ثم أمر بها فحُفر لها إلى صدرها. وأمر الناس فرجمُوها.

ومن رحمته أيضا بالصغار وعطفه عليهم ودعائه لهم

ما أخرجه البخاري ومسلم [1] من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: **ذهبت بي خالتي إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت: يارسول اللَّه إن ابن أختي وَجع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت**

(١) البخاري (حديث ٥٦٧٠) ومسلم (حديث ٢٣٤٥) .

خلف ظهره فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زِرِّ[(١)] الحجلة .

وانظر إلى فعل أبي بكر رضي الله عنه مع الحسن بن علي

أخرج البخاري[(٢)] من حديث عقبة بن الحارث قال: **رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل الحسن وهو يقول : بِأَبِي شَبَيهٌ بالنَّبي، لَيْسَ شبيهٌ بعليّ، وعليٌّ يضحك.**

مزيد من الوارد في لعب الصبيان والترويح عنهم

وقد تقدم قول إخوة يوسف لأبيهم **﴿ارسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾** وموافقة أبيهم على إرساله معهم ، وأبوهم نبي صلوات الله وسلامه عليه.

وقد كان النبي ﷺ يلعب مع الغلمان في صغره.

ففي صحيح مسلم[(٣)] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه **أن رسول اللَّه ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقةً فقال: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَان مِنْكَ ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طِسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمـزَمَ ثم لأَمه[(٤)] ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان**

(١) قال النووي رحمه الله : المراد بالحجلة واحدة الحجال ، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعري ، هذا هو الصواب الذي قاله الجمهور ، وقال بعضهم المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها، وأشار إليه الترمذي وأنكره عليه العلماء .

(٢) البخاري (حديث (٣٧٥٠) .

(٣) مسلم (ص ١٤٧) .

(٤) لأَمَه أي ضمه وجمع بعضه إلى بعض .

يسعـون إلى أمه (يعنـي ظئره) [١] **فقالوا إن مـحمداً قد قُتل فاسـتقبلوه وهو منتقع اللون ، قال أنس وقد كنت أرى ذلك المخيط في صدره .**

وأخرج البخاري[٢] في الأدب المفرد من طريق عبد العزيز [٣] قال حدثني شيخ من أهل الخير يُكنى أبا عقبة قال : **مررت مع ابن عمر مرةً بالطريق، فمر بغلمة من الحبش، فرآهم يعلبون، فأخرج درهمين فأعطاهم.**

ويلعب الطفل والصبي الألعـاب المباحة التي ليس فيهـا إثم ولا مُحرم ، ويستـحب له أن يلعب الألعاب التي يستـفيد منهـا جسمـه ويتفتح بهـا عقله وينضج بها فكره ومن ذلك الرماية والسباحة وركوب الخيل [٤] .

وقد قـال الله سبحـانه وتعالى : **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾** . [الأنفال : ٦٠]

وأخرج الإمام مسلم[٥] في صحيحه من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ، أَلا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ».**

وعند الإمام مسلم[٦] **كذلك** من حديث عقبة بن عامر أيضا قال سمعت

(١) ظئره يعني المرضعة التي ترضعه ، ويقال أيضا لزوج المرضعة ظئر .

(٢) البخاري (الأدب المفرد) ١٢٩٨ .

(٣) عبد العزيز ، هو ابن المختار ، وهو ثقة .

(٤) وقد ورد حث عمر على ذلك بأسانيد فيها مقال .

(٥) مسلم (حديث ١٩١٧) .

(٦) مسلم (حديث ١٩١٨) .

رسول الله ﷺ يقول: «**سَتُفْتَحُ عَلَيْكُم أَرْضُونَ وَيَكْفِيكُمُ اللَّهُ فَلا يَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِه**».

وأخرج البخاري [١] من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ قال : مرَّ النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون [٢] ، فقال النبي ﷺ : « **ارْمُوا بَنِي اسْمَاعِيلَ! فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِياً، ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلان**»، قال فأمسك أحدُ الفريقين بأيديهم فقال رسول اللَّه ﷺ : «**مَالَكُم لا تَرْمُونَ؟**» قالوا : كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي ﷺ : «**ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلُّكُمْ**».

ولا يعبث العابث بالسلاح الذي لا يحسن استعماله أو بالسلاح الذي يخشى من وراء اللعب به أن يخدش مسلماً من المسلمين .

أخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يُشِيرُ أَحدُكُم عَلَى أَخِيه بِالسِّلاحِ فَإِنَّه لا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيطانَ يَنزِعُ في يديه فَيَقَعُ في حُفْرَةِ النَّار**».

وفي صحيح مسلم [٤] من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال أبو القاسم ﷺ : « **مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيه بِحَدِيدَة فَإِنَّ المَلائكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيه وَأُمِّه**».

وفي سنن أبي داود [٥] بإسناد صحيح لشواهده من حديث جابر بن

---

(١) البخاري (٢٨٩٩) .

(٢) التناضل هو الترامي للسبق ، وينتضلون أي يترامون .

(٣) البخاري (٧٠٧٢) ومسلم (٢٦١٧) .

(٤) مسلم (حديث ٢٦١٦) .

(٥) أبو داود (٢٥٨٨) .

عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ **نهى أن يُتَعَاطَى السيفُ مَسْلُولاً** .

وفي رواية عند ابن حبـان بإسناد صحيح عـن جابر أن النبي ﷺ مرَّ على قوم يتعاطون سيفاً بينهم مسلولاً فقال: «**أَلَمْ أَزْجُرْكُمْ عَنْ هَذَا؟ لِيُغْمِدْهُ ثُمَّ يُنَاوِلْهُ أَخَاهُ**»[١] .

وأخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا مَرَّ أَحَدُكُم في مَسْجِدنَا - أَوْ في سُوقنَا - ومَعَهُ نبْلٌ فَلْيُمْسكْ عَلَى نصَالهَا - أَوْ قَالَ: - فَلْيَقْبِضْ بكَفِّه أَنْ يُصيبَ أَحَداً منَ المُسْلمينَ منْهَا بشَيء**» .

وكذلك لا يتعلم اللعب المزعجة التي ينزعج منها الأطفال .

فقد أخرج أبو داود [٣] باسناد صحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال حدثنا أصحـاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسـيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فـأخذه ففزع فقال رسول الله ﷺ : «**لا يَحلُّ لمُسْلمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلمًا**» .

وفي سنن التـرمذي [٤] باسناد صحيح من طريق عـبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يَأْخُذْ أَحَدُكُم عَصَا أَخيه لاعبًا أَوْ جَادًا فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخيه فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْه**» .

وكذلك فلا يلعب الصبيان تلك الألعاب القبيحة التي يعلو بعضهم بعضا

(١) ابن حبان باسناد صحيح (موارد الظمآن ١٨٥٤) .

(٢) البخاري (حديث ٧٠٧٥) ومسلم (٢٦١٥) .

(٣) أبو داود (حديث ٥٠٠٤) .

(٤) الترمذي (حديث ٢١٦٠) وأبو داود (٥٠٠٣) وأحمد (٤/٢٢١) .

فيها بما يثير الشهوات وينشر الفساد ، والله لا يحب الفساد .

وكـذلك فليمتنع الأطفال عن اللعب بالنرد والزهر ومـا شابهه كالطاولة والدومينو ونحوها .

وأخـرج مـسلم[١] في صحيـحه من حديث بريدة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدشير فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِه». والنَّرْدُشِير هُوَ النَّرْدُ.

قال النووي في شرح مسلم[٢]: وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد وقال أبو اسحاق المروزي من أصحابنا يكره ولا يحرم.

وأما الشطرنج فمذهبنا أنه مكروه ليس بحرام، وهو مروي عن جماعة من التابعين ، وقال مالك وأحمـد حرام ، قال مالك هو شر من النرد وألهى عن الخير ، وقاسوه على النرد ، وأصحابنا يمنعون القياس ويقولون هو دونه.

وكذلك فاجتنب وجنِّب ولدك الميـسر والقمار فهو حـرام بالاتفاق ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ . [المائدة: ٩٠، ٩١]

ولا تعلِّق أجراساً في رقبة أولادك فإن النبي ﷺ قال: «الجَرَسُ مَزَامِيرُ

---

(١) مسلم (ـ حديث ٢٢٦٠) .

(٢) شرح مسلم آخر كتاب الشعر (طبعة الشعب ٥/ ١١٤) .

الشَّـــيْطَانَ»[١] ، وقــال أيضــا: «**لا تَصْحَـبُ المَلائكَةُ رِفْقَـةً فِيهَـا كَلْبٌ وَلا جَرَسٌ**»[٢].

وكذلك [illegible] وما كان فيه ضرب في الوجه فقد نهى النبي ﷺ عن الضــرب في الوجــه وقــال: «**إِذَا قَـاتَلَ أَحَدُكُـمْ أَخَاهُ فَلْيَـجْـتَنبِ الوَجْهَ**»[٣].

وفي رواية: « **فَلا يَلْطِمَنَّ الوَجْهَ**»[٤].

وكــذلك الألعاب المصحوبة بالمعازف فقد أخــرج البخاري في صحيحه (مـعلقـا) عن النبي ﷺ قـال: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّـتِي أَقْـوَامٌ يَسْـتَحِلُّونَ الحِـرَ وَالحَرِيرَ وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ...** »[٥].

وكـذلك لا تعلمهم نحت التماثيل وتصـوير ذات الأرواح حتى لا يشبوا على ذلك ويُولعوا به، والأحـاديث الواردة في ذم ذلك ومنعه وتحريمه كـثيرة ومعلومة [٦].

---

(١) مسلم (حديث ٢١١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

(٢) مسلم (حديث ٢١١٣) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

(٣، ٤) مسلم (ص ٢٠١٧) .

(٥) البخاري معلقاً (حديث ٥٥٩٠) .

(٦) من ذلك ما يلي :

ما أخـرجه البخـاري (٥٩٥٠) ومسلم (٢١٠٩) من حديث ابن مـسعود ﷺ قـال : قال رسول الله ﷺ : « **إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون** » .

وما أخرجه البخاري (٤٩٥١) ومسلم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الذين يصنعون هذه الصور يعـذبون يوم القيـامة يقـال لهـم : أحـيـوا مـا خلقتم** » .

=

وتقدم أن ابن عمر لما رأى غلاماً نصب دجاجة يرميها زجره وأمر أهله بزجره .

= ومنها حديث عائشة ﵂ الذي أخرجه البخاري (٥٩٥٤) و (٥٩٦١) ومسلم (٢١٠٧) أنها قالت : اشتريت نمرقة فيها تصاوير فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية ، قالت يارسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت ؟ قال : « **ما بال هذه النمرقة ؟** » فقالت : اشتريتها لتقعد عليها وتوسَّدَها فقال رسول الله ﷺ : «**إن أصحاب هذه الصورة يعذبون يوم القيامة ويقال لهم : أحيوا ما خلقتم** » ، وقال : « إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة » .

ومنها ما أخرجه مسلم (٢١١٢) من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا تدخل الملائكة بيتا فيه تماثيل أو تصاوير** » .

ومنها ما أخرجه البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠) من حديث ابن عباس - وجاءه رجل يسأله فقال له الرجل : إني رجل أصور هذه الصور فأفتني فيها فقال له : ادن مني فدنا منه ثم قال : ادن مني فدنا حتى وضع يده على رأسه قال : أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه في جهنم** » .

وقال : إن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له (اللفظ لمسلم) .

ومنها ما أخرجه البخاري (٥٩٦٢) من حديث أبي جحيفة ﵁ قال : إن النبي ﷺ نهى عن ثمن الدم وثمن الكلب وكسب البغي ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة ولعن المصور.

ومنها ما أخرجه مسلم (٢١٠٥) من حديث ابن عباس قال : أخبرتني ميمونة أن رسول الله ﷺ أصبح يوما واجما فقالت ميمونة يارسول الله لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم. قال رسول الله ﷺ : «**إن جبريل كان واعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني أما والله ما أخلفني**» قال فظل رسول الله ﷺ يومه ذلك على ذلك ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: «**قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة قال: أجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة...** » الحديث، ونحوه عند =

وللعب أوقات

فلا تدع الأولاد يلعبون في أوقات الصلاة، وخاصة صلاة الجمعة فقد نهانا ربنا عن البيع - الذي هو في أصله حلال - وقت الصلاة فقال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾. [الجمعة: ٩]

وتقدم أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ...**».

فليكف الأولاد قبيل غروب الشمس وذلك لإنتشار الشياطين .

وليضبط الأولاد تجاه هذا الهوس الكروي وجنون الملاعب الذي يذهب بالعقول ويطَّلع على الأفئدة ، ويذهب بعيداً بعيدا بالحب في الله والبغض في الله ويطرحه جانباً .

وذلك أن كثيراً من الأبناء أُولعُوا بلعب الكرة وبتشجيع بعض الفرق فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وعطَّلوا المصالح والأعمال وشغلوا أوقاتهم بالقيل والقال فنصبت بينهم العداوة ودبت بينهم البغضاء بسبب فريق هزم فريقاً وفاز عليه!!

= البخاري (٥٩٦٠) من حديث ابن عمر ، وعند مسلم (٢١٠٤) من حديث عائشة ﵂ جميعا .

ومنها ما أخرجه البخاري (٥٩٥٨) ومسلم(٢١٠٦) من حديث أبي طلحة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة**».

وإنه لعجب عجاب أن يصل الأمر بالأبناء بل وبكثير من الآباء إلى هذا الوضع المخزي والتردي المُزري في شأن الكرة وتشجيع الأندية !

وماذا عسانا أن نجني من وراء انتصار فريق على آخر .

وماذا عسانا أن نربح من جراء فوز بلجيكا على فرنسا أم هزيمة إيطاليا أمام رومانيا؟!

وماذا سنخسر إذا هزم الفريق المصري من تونس أو إذا انتصرت مصر على الكويت .

وما هو العائد علينا في ديننا أو دنيانا إذا انتصر الأهلي على الزمالك أو إذا فازت الزمالك على الأهلي ؟!!

أليس من العار والخزي علينا في ديننا ودنيانا أن نُغرم ونولع بلاعب كرة تارك للصلاة وهاجرٍ للذكرِ وغافلٍ عن كتاب الله ونضيع أوقاتنا في الثناء عليه والذب عنه .

أليس من الانتكاس أن نسمي أبناءنا بأسماء كفار لكونهم مهرة في لعب الكرة؟!

إنه لقبيح أن يسمي رجلٌ ولده بمارادونا ذلك اللاعب الكافر المتهم في عرضه والمتهم بترويج المخدرات .

ففكر أيها المسلم في شأنك وفكرٌ في نفسك فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

إن ديننا يعلو ولا يُعلى عليه.

وإن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وإن من أحب قوماً حُشر معهم !!

ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه !!

ساعةٌ وساعة

أخرج مسلم في صحيحه[١] من حديث حنظلة الأسيدي (كان من كُتاب رسول الله ﷺ) قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت ياحنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة قال: سبحان اللَّه ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول اللَّه ﷺ يُذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأيُ عين[٢] فإذا خرجنا من عند رسول اللَّه ﷺ عافسنا[٣] الأزواج والأولاد والضيعات[٤] فنسينا كثيرا. قال أبو بكر: فواللَّه إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول اللَّه ﷺ. قلت: نافق حنظلة يارسول اللَّه. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قلت: يارسول اللَّه نكون عندك تُذكرنا بالنار والجنة. حتى كأنا رأيُ عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات. نسينا كثيراً. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ. وَلَكِن يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً**» ثلاث مرات.

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٥٠) .

(٢) كأننا نراها بأعيننا .

(٣) اشتغلنا بالأزواج والضيعات والأولاد .

(٤) الضيعة هي أعمال الرجل من حرفة أو صناعة أو مال أو زرع .

وفي رواية أخرى عند مسلم[1] عن حنظلة أيضا: قال: **كنا عند رسول اللَّه ﷺ . فوعظنا فذكر النار قال : ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة . قال فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له . فقال : وأنا قد فعلت مثل ما تذكُرُ . فلقينا رسول اللَّه ﷺ . فقلت: يارسول اللَّه نافق حنظلة! فقال « مَهْ » فحدثته بالحديث فقال أبو بكر : وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال: «يَاحَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً وَلَو كَانَتْ تَكُون قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِندَ الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُم الملائِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُم فِي الطُّرقِ»** .

نعم ساعة وساعة ، ساعة للمرح مع الأولاد وساعة للاجتهاد في العبادة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً .

تدريب الطفل على الطاعات منذ الصغر

ينبغي أن يُدرَّب الطفل ويعوَّد على الطاعات وأعمال البر واتقاء المنكرات منذ الصغر وقد قال الشاعر :

وينشأ ناشيء الفتيان منا على ما كان عوده أبـــوه

وقد قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: **«أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ»**[2] أي أن خصال الخير التي اكتسبتها قبل إسلامك ستبقى معك ، بل وستزيد ـ بعد إسلامك .

---

(١) مسلم (ص ٢١٠٧) .

(٢) أخرج البخاري (حديث ٢٢٢٠) ومسلم (حديث ١٢٣) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه **أنه قال لرسول الله ﷺ أرأيت أموراً كنت أتحنَّث بها في الجاهلية من صلة وعتاقة وصدقة ، هل لي فيها أجر؟ فقال رسول الله ﷺ : «أسلمت على ما سلف لك من خيرٍ»** .

وقد كان من هـديه ﷺ تدريب الصغار على الطاعات منذ الصـغر بل والحث على ذلك ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ**»[1]. هذا مع كونهم غير مكلفين .

وكما تقدم فقد رأى النبي ﷺ تمرة من تمر الصدقة فاستخرجها رسول اللَّه ﷺ من فمه ؟ وقال له: «**كُخْ! كُخْ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا ـ آلَ مُحَمَّدٍ ـ لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!**»[2] .

وكـذلك كانوا يُمرنون الصـغار على الصيام ويجعـلون لهم اللعبة من العهن يشغلونهم بها إذا جاعوا، وذلك حتى يدخل وقت المغرب[3].

وكانوا يقدمـونهم للصلاة بالناس إذا كانوا أكثر قـرآنا مع صغر سنهم [4] وتقـدم أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول لعـمر بن أبي سلمة : « **يا غُلامُ سَمِّ اللَّه وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[5].

وتقـدم أيـضـا أن ابن عبـاس كان يربط عكرمة بالكبل في رجليـه لحفظ القرآن والسُّنة[6].

وتقـدم أيضـا أنهم كانوا يصـحبون الصـغارإلى الحج بفتيـا رسول الله ﷺ [7].

(١ ، ٢) كلاهما صحيح وسيأتيان .

(٣ ، ٤ ، ٥) كلها صحيحة وستأتي إن شاء الله .

(٦ ، ٧) كلها صحيحة وستأتي إن شاء لله .

ولا يُكلَّف الأبناء فوق طاقتهم ولا يُعهد إليهم بعمل لا يتحملونه

فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وقال النبي ﷺ في شأن الخدم « **ولا تكلفوهم مايغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم** »[١].

وقال ﷺ : « **اللَّهُمَّ مَن وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»[٢].

وقد عُرض ابن عمر على رسول اللَّه ﷺ للجهاد معه يوم أُحد فردَّه النبي ﷺ ، وعُرض عليه يوم الأحزاب فقبله وأجازه .

أخرج **البخاري**[٣] من طريق نافع قال حدثني ابن عمر ﵄ **أن رسول اللَّه**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٣٠) ومسلم (حديث ١٦٦١) من حديث أبي ذر ﵁ مرفوعاً.

(٢) مسلم (حديث ١٨٢٨) من حديث عائشة ﵂ مرفوعاً .

(٣) البخاري (حديث ٢٦٦٤) ، وفي آخره قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته الحديث فقال : إن هذا الحدٌ بين الصغير والكبير وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة .

قلت : وللعلماء أقوال في تحديد البلوغ .

أحدهما : الاحتلام ، قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ٥ / ٢٧٧) وقد أجمع العلماء على أن الاحتلام في الرجال والنساء يلزم به العبادات والحدود وسائر الأحكام ، وهو إنزال الماء الدافق سواء كان بجماع أو بغيره سواء كان في اليقظة أو المنام . =

ﷺ عرضه [١] يوم أُحد ، وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزني، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني .

وجاء بعض الصغار إلى رسول الله ﷺ لمبايعته فأبى النبي أن يبايعه.

أخرج النسائي[٢] باسناد حسن من حديث الهرماس بن زياد قال : «مددت يدي إلى النبي ﷺ وأنا غلام ليبايعني فلم يبايعني » .

وعند البخاري[٣] من حديث عبد الله بن هشام، وكان قد أدرك النبي ﷺ وذهبت به أمه زينب ابنة حميد إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول اللّه بايعه فقال النبي ﷺ : «هُوَ صَغِيرٌ».

وتراعى أحوال الصغار وقدراتهم:

فقد قال النبي ﷺ : « إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمْ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَالمَرِيضَ، فَإِذَا صَلَّى وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيفَ شَاءَ»[٤].

= الثـاني : الإنبات ، وذلك لما فُعِلَ ببني قريظة من أن من أنبت قُتل لما حُكم على مقاتلتهم بالقتل، قال الحافظ ابن حجر : فاعتبر مالك والليث وأحمد وإسحاق وأبو ثور الإنبات إلا أن مالكاً لا يقيم به الحد للشبهة ، واعتبره الشافعي في الكافر ، واختلف قوله في مسلم .

الثالث : بلوغ خمسة عشرة سنة لحديث ابن عمر .

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح ٧ / ٣٩٣) : عرض الجيش اختبار أحوالهم قبل مباشرة القتال للنظر في هيئتهم وترتيبهم .

(٢) أخرجه النسائي (٧ / ١٥٠) .

(٣) البخاري (حديث ٧٢١٠) .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٤٦٧) واللفظ له ، والبخاري (حديث ٧٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

تخفيف العتاب

فللأطفال قـدرات عقلية أقل بـلا شك من الرجال فتـراعى اذن قدراتهم العقلية ولا يؤاخذوا بكل شيء يصدر مـنهم ، بل إن آخذتهم فآخذهم ببعض أفعالهم وتجوَّز لهم عن البعض الآخر .

فقد وصف الأطفال ـ مع النساء ـ بأنهم سـفهاء ، وذلك في الجملة كما قال ذلك جمـهور المفسرين في تفسيـر قول الله تعالى: **﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾** . [النساء: ٥]

وقد ذكرت ـ في كتابي «**فقه التـعامل بين الزوجين**» ـ قول الله تعالى : **﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾** [التحريم: ٣] وبينت هنـاك أن المرأة إذا أخطأت في عشرة مسائل مثلا فلتؤاخذ في خمسة منهـا أو ستة أو أقل أو أكثر ولتترك مؤاخذتها فيما بقي ـ فـإن الله قال عن نبيه ﷺ : **﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾** [التحريم: ٣] وأيضا فالأطفال في هذا الباب كذلك .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أنس ﷺ قال: «**خدمت رسول اللّـه ﷺ عشر سنين، واللّه ما قـال لي أُفًّا قطُّ ، ولا قال لي لشيءٍ لم فعلت كذا ، وهلاَّ فعلت كذا**» .

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٦٨) ومسلم (حديث ٢٣٠٩) .

ولا يفهم من هذا ترك المؤاخذة بالكلية ،فقد ثبت أن النبيَّ ﷺ آخذ البعض وعاتبهم .

أخرج مسلم(*) في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « **ألا أحدثكم عني وعن رسول الله ﷺ ! قلنا : بلى : قال : قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي ، انقلب فوضع رداءه ، وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع . فلم يلبث إلا ريثما[1] ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً [2] وانتعل رويدا ، وفتح الباب فخرج . ثم أجافه [3] رويدا فجعلت درعي في رأسي [4] ، واختمرت [5] وتقنعت إزاري [6] . ثم انطلقت على إثره . حتى جاء البقيع فقام . فأطال القيام . ثم رفع يديه ثلاث مرات . ثم انحرف فانحرفت . فأسرع فأسرعت . فهرول فهرولت . فأحضر فأحضرت [7] . فسبقته فدخلت . فليس إلا أن اضطجعت فدخل. فقال: «مَالَكِ؟ يَا عَائِشُ! حَشْيًا رَابِيَةً!**[8]»

(*) مسلم ص ٦٧٠ .

(١) إلا ريثما معناه إلا قدر ما .

(٢) أخذ رداءه رويدا أي قليلا لطيفا لئلا ينبهها .

(٣) ثم أجافه أي أغلقه . وإنما فعل ذلك ﷺ في خفية لئلا يوقظها ويخرج عنها ، فربما لحقها وحشة في انفرادها في ظلمة الليل .

(٤) فجعلت درعي في رأسي درع المرأة قميصها .

(٥) واختمرت أي ألقيت على رأسي الخمار ، وهو ماتستتر به المرأة رأسها .

(٦) وتقنعت إزاري هكذا هو في الأصول : إزاري بغيرباء في أوله. وكأنه بمعنى لبست إزاري، فلهذا عدى بنفسه .

(٧) فأحضر فأحضرت الإحضار العَدْو . أي فعدا فعدوت ، فهو فوق الهرولة .

(٨) مالك يا عائش حشيا رابية يجوز في عائش فتح الشين وضمها. وهما وجهان جاريان في كل =

قالت: قلت: لا شيء . قال: «لَتُخْبِرِيني أَوْ لَيُخْبِرَنِي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ» قالت : قلت : يارسول اللَّه! بأبي أنت وأمي! فأخبرته . قال: « فَأَنْت السَّوَادُ (١) الَّذِي رَأَيتُ أَمَامِي؟» قلت: نعم. فلهدني(٢) في صدري لهدة أوجعتني».

وأيضا فالله لا يحب الفساد فإذا فعل الطفل شيئا فيه فساد فلزاماً أن يُنهى عنه، ولزاماً أن يوجَّه إلى ما فيه الصلاح إذ النصيحة واجبة على المسلم للمسلم .

ولست أيها الأب بمعصوم .

فقد تخطيء في تصرفاتك مع أبنائك ، قد تشتد والأمر لا يحتاج إلى شدة بل يحتاج إلى رفق ، قد تشتم وتَسب ، والأمر يحتاج إلى شكر وثناء فماذا تصنع بعد فيئك إلى الحق عليك أن تطيب الخواطر ، وتعتذر عما كان منك بأسلوب يحفظ لك مقامك كأب ، ويحفظ للأبناء حقوقهم كمظلومين منك .

إن الله سبحانه وتعالى أمر بالإحسان إلى الوالدين بقوله : ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ**

= المرخّمات . وحشيا معناه قد وقع عليك الحشا ، وهو الربو والتهيج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه ، من ارتفاع النفس وتواتره . يقال : امرأة حشياء وحشية . ورجل حشيان وحشش . قيل : أصله من أصاب الربو حشاه . رابية أي مرتفعة البطن .

(١) فأنت السواد أي الشخص .

(٢) فلهدني قال أهل اللغة : لهده ولهّده ، بتخفيف الهاء ، وتشديدها ، أي دفعه .

الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ عقّب الله ذلك بقوله : ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ .

{الإسراء: ٢٣-٢٥}

وذلك - والله أعلم - أنه حتى أهل الصلاح الذين امتلأت قلوبهم محبة لوالديهم ، حتى هؤلاء قد تصدر منهم زلات وهفوات في حق الآباء والأمهات ، فحينئذ إذا صدرت منهم الزلات وتلك الهفوات فباب التوبة مفتوح ، وباب الرجعة والإنابة مفتوح ، ولذلك - فيما أرى والله أعلم - قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ أي للرجاعين عن الخطأ بعد الوقوع فيه فالله غفور لهم.

وكذلك في حق الأبناء، بل وعلى العموم فإن الله كان للأوابين غفورا.

تشجيع الأبناء
وتحريضهم على الخير وحثهم على المعروف

وتحريض الأولاد على الخير ودفعهم إليه وتشجيعهم على فعله وحثهم على الإقدام عليه كل ذلك له عظيم الأثر وكبير النفع في صلاح الأولاد وعلوهم سواء كان هذا التحريض بكلمات التشجيع وعبارات الثناء ، أو بالعطيات والهبات ، أو بقذف الثقة في نفس الابن أو بغير ذلك مما يكون سبباً في الدفع إلى الخير والحث عليه .

وقد صدرت في ذلك جملة من المقولات الطيبة من رسول الله ﷺ ومن أصحابه كذلك لغلمانٍ أصبحوا فيما بعد أئمة هدى يُهتدى بهديهم ويُقتدى

بسيرهم ومن ذلك ما يلي:

ثناء الرسول ﷺ على ابن مسعود بقوله له: «**إِنَّكَ غُلامٌ مُعلَّمٌ**» وذلك فيما أخرجه ابن سعد في الطبقات باسناد صحيح[١] عن ابن مسعود قال: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط فجاء النبي ﷺ وأبو بكر وقد فرا من المشركين فقالا: «**يَا غُلامُ هَلْ عِنْدَكَ لَبَنٌ تَسْقِينَا؟**» فقلت: إني مؤتمن ولست أسقيكما. فقال النبي ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ جَذَعَةٍ لَمْ يَنْزُ عَلَيْهَا الفَحْلُ؟**» قلت: نعم فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح الضرع ودعا فحفل الضرع ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربت ثم قال للضرع: «**اقْلُصْ**» فَقَلَصَ قال: فأتيته بعد ذلك، فقلت: علمني من هذا القول. قال: «**إِنَّكَ غُلامٌ مُعَلَّمٌ**» فأخذت من فِيهِ سبعين سورة لا يُنازعني فيها أحد.

ومن ذلك تولية النبي ﷺ لأسامة بن زيد إمرة جيش كبير وأسامة صغير[٢] السن لم يتجاوز العشرين .

---

(١) الطبقات (٣/ ١/ ١٠٦) وانظر « **الصحيح المسند من فضائل الصحابة** » بتحقيقي.

(٢) ولم أقف على حديث صحيح يُحدد لي سن أسامة في هذا الوقت إلا ما ذكره الحافظ ابن حجر في الاصابة فقال : قال ابن سعد : ولد أسامة في الإسلام ومات النبي ﷺ وله عشرون سنة ، وقال ابن أبي خيثمة ثماني عشرة وكان أمره على جيش عظيم فمات النبي ﷺ قبل أن يتوجه فانفذه أبو بكر . . (الاصابة١/ ٧٦).

قلت (مصطفى): ومما يؤيد أن أسامة كان صغيراً في زمن رسول الله ﷺ واخرجه البخاري (٣٧٤٧) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللهم إني أحبهما فأحبَّهما أو كما قال** » .

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر ﷺ قال: **أمَّر رسول اللَّه ﷺ أسامة على قوم، فطعنوا في إمارته فقال: «أَتَطْعَنُوا في إِمَارَته فَقَدْ طَعَنْتُم في إِمَارَة أَبيه مِنْ قَبْله، وَايمُ اللَّه لَقَدْ كَانَ خَليقًا للإِمَارَة، وَإِنْ كَانَ منْ أَحَبِّ النَّاس إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمن أَحَبِّ النَّاس إِلَيَّ بَعْدَه»** .

وهذه صورةٌ من صور التشجيع أيضا

أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: **إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه : يا عم أرني أبا جهل . فقلت : يا بن أخي وما تصنع به؟ قال : عاهدت اللَّه إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه . فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله . قال فما سرني أني بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء .**

وفي رواية للبخاري[3]: ثم انصرفا إلى رسول اللَّه ﷺ فأخبراه فقال: «**أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟**» قال كل واحد منهما : أنا قتلته فقال: «**هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا**» قالا: لا. فنظر في السيفين فقال: «**كلاكُمَا قَتَلَهُ**» . سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ بن عمرو بن الجموح .

---

(١) البخاري (حديث ٤٢٥٠) ومسلم(حديث ٢٤٢٦) .

(٢) البخاري (٣٩٨٨) ومسلم (١٧٥٢) .

(٣) البخاري (٣١٤١) .

ومن ذلك دعاء الرسول ﷺ
لابن عباس أن يزيده الله علماً وفهماً

أخرج الإمام البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: **ضَمَّني النبيُّ ﷺ إلى صدره وقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحكْمَةَ»**[1].

وفي مسند الإمام أحمد[2] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ كان في بيت ميمونة فوضعت له وضوءاً من الليل قال: فقالت ميمونة: يارسول اللَّه وضع لك هذا عبد اللَّه بن عباس، فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيل**».

وعند الترمذي[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا لي رسول اللَّه ﷺ أن يؤتيني الحكمة مرتين .

وأخرج الإمام أحمد[4] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتيتُ رسول اللَّه ﷺ من آخر الليل فصليتُ خلفه فأخذ بيدي، فجرني فجعلني حذاءه، فلما أقبل رسول اللَّه ﷺ على صلاته خنست، فصلى رسول اللَّه ﷺ فلما انصرف قال لي: «**مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنَسُ**» فقلت: يارسول اللَّه أو ينبغي لأحد أن يُصلي حذاءَك وأنت رسول اللَّه الذي أعطاك اللَّه؟ قال:

(١) البخاري (حديث ٣٧٥٦) .

(٢) أحمد (١/٣٢٨) وإسناده حسن .

(٣) الترمذي (حديث ٣٨٢٣)والنسائي (في الفضائل ٧٥) .

(٤) أحمد (المسند ١/ ٣٣٠) بإسناد صحيح .

فأعجبته فدعا اللَّه لي أن يزيدني علماً وفهماً قال : ثم رأيتُ رسول اللَّه ﷺ نام حتى سمعته ينفخُ ثم أتاه بلالٌ فقال : يارسول اللَّه، الصلاة. فقام فصلى ما أعاد وضوءًا.

ومن ذلك اصطحاب عمر لابن عباس رضي الله عنهما في المجالس لما رأى في ابن عباس نباهةً ونبوغًا.

أخرج البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر إنه من حيث علِمتُم: فدعا ذات ليلة فأدخله معهم فما رُئيتُ أنه دعاني يومئذ إلا ليُريهم قال: ما تقولون في قول اللَّه تعالى: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ [النصر: ١] فقال بعضهم: أمرنا نحمد اللَّه ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول اللَّه ﷺ أعلمه له قال: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ ـ وذلك علامة أجلك ـ ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر: ٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

ومن هذا الباب ما أخرجه البخاري[2] من طريق عبيد بن عمير قال : **قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي ﷺ : فيم ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾** [البقرة: ٢٦٦]؟ **قالوا: اللَّه أعلم . فغضب عمر، فقال**

(١) البخاري (حديث ٤٩٧٠) .

(٢) البخاري (حديث ٤٥٣٨) .

قـولوا نعلم أو لا نعلم ، فـقـال ابن عـبـاس : في نفـسي منهـا شيء يا أمـيـر المؤمنين، قال عمـر ياابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عـباس : ضُربت مثلاً لعـمل ، قال عمر أي عمل؟ قـال ابن عباس : لعمل ، قـال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة اللَّه عز وجل ثم بعث اللَّه له الشـيطان فعمل المعاصي، حتى أغرق أعماله .

ونحوه ما أخرجه ابن أبي شيبة[1] في المصنف من حديث ابن عباس رضي الله عنهما **أن عمـر سأل أصحـاب رسول اللَّه ﷺ عن شيء ، قال فـسألني فأخـبرته، فقال أعبتموني أن تأتوا بمثل ما أتى به هذا الغلام الذي لم يجتمع سود رأسه .**

وكان هذا من أسباب توفيق ابن عباس ونبوغه ، فقد نبغ نبوغاً مُذهلاً .

أخرج عبد الله بن أحمد (في الزوائد على فضائل الصحابة)[2] من طريق يزيد بن الأرقم قال : **خرج معاوية حاجًا وخرج معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب، ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه .**

وعنده أيضـاً[3] من طريق شقـيق قال : **كـان ابن عبـاس على الموسم فخطب فافتتح سورة النور فجعل يقـرأ ثم يُفسر فقال شيخ من الحي: سبحان اللَّه ما رأيت كلاماً يخرج من رأس رجل لو سمعته الترك لأسلمت .**

وعنده كذلك[4] من طريق مجاهد قال : **كان ابن عباس إذا فَسَّر الشيء**

---

(١) ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٢٧٤) باسناد صحيح .

(٢) الزوائد على فضائل الصحابة (١٩٤٧) .

(٣) الزوائد (١٩٣٤) .

(٤) الزوائد (١٩٣٥) .

رأيتُ عليه نوراً .

ومن هذا الباب باب تشجيع الأبناء ودفعهم إلى الخير، فعل أمير المؤمنين عمر ﷺ مع ولده عبد الله، وذلك فيما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ منَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا. وإنَّهَا مِثْلُ المُسْلِم**[٢]. **فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟**» فوقع الناس في شجر البوادي [٣].

قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة. فاستحييت. ثم قالوا: حدثنا ما هي؟ يارسول الله! قال فقال: «**هِيَ النَّخْلَةُ**».

قال فذكرت ذلك لعمر . قال . لأن تكون قلت : هي النخلة ، أحب إليَّ من كذا وكذا .

وينبغي أن يراقب الأب ولده بعد تشجيعه والثناء عليه، وهل أورثته صور التشجيع وأوجه الثناء إقداماً على الخير مع التواضع وخشية الله ، أم أنها أورثته كبراً وغروراً وتباهياً وتطاولاً على الآخرين؟!! ويُقدم للابن

---

(١) صحيح وقد تقدم ، وهذا لفظ مسلم (حديث ٢٨/١) .

(٢) (مثل المسلم) قال العلماء : شبه النخلة بالمسلم في كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها ووجوده على الدوام . فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى ييبس . وبعد أن ييبس يتخذ منه منافع كثيرة ، ومن خشبها وورقها وأغصانها ، فيستعمل جذوعاً وحطبا وعصيا ومخاصر وحصرا وحبالا وأواني ، وغير ذلك . ثم آخر شيء منها نواها . وينتفع به علفا للإبل . ثم جمال نباتها وحسن هيئة ثمرها . فهي منافع كلها وخير وجمال . كما أن المؤمن خير كله . من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه .

(٣) فوقع الناس في شجر البوادي أي ذهبت أفكارهم إلى أشجار البوادي . وكان كل إنسان يفسرها بنوع من أنواع شجر البوادي . وذهلوا عن النخلة .

دائماً النـافع الذي يقربه من الله ويقـربه من الخير فـهناك من الأبناء من إذا شجعـته على الخيـر بالكلمات وبالعطيات استـفاد من ذلك غاية الاسـتفادة وانتـفع غاية الانـتفـاع وثمَّ آخر إذا أثـنيت عليه تطـاول على أمه وإخـوته وأخواته من جراء هذا الثناء !

وهذه صور أُخر
من صور التشجيع وشحذ الهمم

تتمثل في قذف الثقة في قلوب الأبـناء وبث الرجولة فيهم ، وإشعارهم بحقوقـهم ومن هذه الصور السلام على الأولاد عند لقائهم واسـتئذانهم عند أخذ شيءٍ من حـقوقهم ، وتشـميتـهم عند عطاسهم ، واستـشارتهم فيـما يفهمونه ويعقلونه ، وتوقير رأيهم السديد ، وتوجيههم برفق ولين وقد وردت في ذلك جملة أبواب ومن هذه الأبواب مايلي :

التسليم على الصبيان عند لقائهم

ففي هذا أجرٌ من الله سبحانه وتعالى .

وفي هذا نشرٌ للمودة والمحبة ، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُم؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ**»[1].

وفي السلام على الصبيان تأسي برسول الله ﷺ !

وفي السلام على الصبيان بثٌ لخلقٍ إسلامي رفيع ونبيل !

وللسلام على الصبيان أثر طيب وجمـيل على نفسيات الطفل وأخلاقيات

(١) مسلم(حديث ٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

الطفل ، ولهذا كان النبي ﷺ يفعله .

أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أنس رضي الله عنه **أنه مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم ، وقال كان النبي ﷺ يفعله** .

وليُعلَّم الصغير أدب السلام ،وليُعلَّم كذلك صيغ السلام وكيف يرُد ؟!

فليعلَّم أن الصغير يسلم على الكبير إذا التقيا .

قال عليه الصلاة والسلام [٢] « **يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ** » .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿**وإذَا حُيِّيتُم بتَحيَّةٍ فَحَيُّوا بأَحْسَنَ منْهَا أَوْ رُدُّوهَا إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً**﴾ . { النساء : ٨٦ }

وقد أخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذرَاعًا ، ثُمَّ قَالَ اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئكَ منَ المَلائكَة فَاسْتَمعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحيَّتُكَ وَتَحيَّةُ ذُرِّيَّتكَ. فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّه. فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّه**» .

فتحية المسلمين (السلام عليكم) أما صباح الخير ومساء الخير وسعيدة ، وباي باي و . . . . فكل ذلك لم ترد به سنة عن رسول الله ﷺ وبعضها ملتقط من الكفار .

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٣٢) ومسلم (مع النووي ١٥/ ١) .

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) البخاري (مع الفتح ٦ / ٣٦٢) ومسلم (مع النووي ١٧ / ١٧٧) .

هذا وقد أخرج أبو داود في سننه بإسناد صحيح[1] عن عمران بن حصين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه السلام ثم جلس فقال النبي ﷺ: «**عَشْر**» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة اللَّه، فرد عليه فجلس فقال: «**عِشْرُونَ**» ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، فرد عليه فجلس فقال: «**ثَلاثُونَ**».

وليسلم الوالد على أولاده وأهله عند دخوله المنزل وليعلمهم كذلك هذا السلام ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ . [النور : ٦١]

الأولاد عند عطاسهم

فهذا من حق المسلمين علينا ، إذا هم حمدوا الله عند عطاسهم قال النبي ﷺ : «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَلْيَقُلْ الحَمْدُ للَّه، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَلْيَقُلْ يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**»[2].

فليُعلِّم الصبي آداب العطاس، وأنه إذا عطس يحمد الله، فإذا هو حمد الله فشمته ، قل له يرحمك الله ، وإذا لم يحمد الله فلا تشمته .

أخرج البخاري[3] من حديث أنس رضي الله عنه قال: عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر ، فقال الرجل : يارسول اللَّه شمَّت هذا ولم تشمتني، قال: «**إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللَّهَ وَلَمْ تَحْمَدِ اللَّهَ**».

---

(١) أبو داود (٥ / ٣٧٩) والترمذي (مع التحفة ٧ / ٤٦٢) وأحمد (٤/٤٣٩) .

(٢) البخاري (حديث ٦٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

وأخرج مسلم[1] من طريق أبي بردة قال : دخلت على أبي موسى وهو في بيت بنت الفضل بن عباد، فعطستُ فلم يُشمتني، وعطَسَتْ فشمتها. فقال: إن ابنك عطس ، فلم يحمد اللَّه ، فلم أشمته . وعطست ، فحمدت اللَّه، فشمتها . سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **إذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَشَمِّتُوهُ. فَإِنْ لَم يَحْمَدِ اللَّهَ، فَلا تُشَمِّتُوهُ**» .

وعلّمه أيضا الأدب عند التثاؤب

أخرج البخاري [2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ ويَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُم إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ**» .

وفي صحيح مسلم[3] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ**» .

استئذان الصغار عند أخذ شيء من حقوقهم

ففي هذا إشعار للغلام بالاهتمام به من ناحية ، وتعليمه الآداب الإسلامية من ناحية أخرى .

(٣) البخاري (حديث ٦٢٢٥) .

(١) مسلم (حديث ٢٩٩٢) .

(٢) البخاري (حديث ٦٢٢٦) .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بشراب . فشرب منه . وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ . فقال للغلام: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلاءِ؟**» فقال الغلام : لا . والله ! لا أوثر بنصيبي منك أحدا .

قال: فتلَّه[٢] رسول الله ﷺ في يده .

وإذا أخذت من الأبناء شيئا
يظنون أنه من حقوقهم وليس هو من حقهم
فبيِّن لهم سبب ذلك جبراً لخواطرهم وتطييباً لنفوسهم

فها هو أُبي بن كعب رضي الله عنه يجذب شاباً من الصف في الصلاة ، ولما سلم الشاب من الصلاة يلتفت إلى أُبي مغضباً فيبين له أُبي سبب ذلك وأنه عهد النبي ﷺ إليهم أن يكونوا خلفه في الصلاة وها هو الحديث بذلك .

أخرج النسائي[٣] من طريق قيس بن عباد قال بينا أنا في المسجد في

(٣) مسلم(حديث ٢٩٩٥) .

(١) البخاري (حديث ٥٦٢٠) ومسلم (٢٠٣٠)

وقد ورد عند الترمذي (٣٤٥٥) وأحمد (١ / ٢٢٠ ، ٢٢٥) من طريق علي بن زيد عن عُمر ، وهو ابن حرملة ، عن ابن عباس قال : دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء فيه لبن فشرب رسول الله ﷺ وأنا على يمينه ، وخالدٌ عن شماله ـ فقال له الشربة لك، فإن شئت آثرت بها خالداً فقلت ما كُنت أؤثر على سؤرك أحداً.

وعلي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف .

(٢) فتلَّه أي وضعه في يده .

(٣) النسائي (٢ / ٨٨) بإسناد صحيح .

الصف المقدم، فجبذني رجل من خلفي جبذةً، فنحاني وقام مقامي، فواللَّه ما عقلت صلاتي، فلما انصرف فإذا هو أُبيُّ بن كعب فقال يا فتى لا يَسُؤك[١] اللَّه ، إن هذا عهدٌ من النبيِّ ﷺ إلينا أن نليه.

وهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يترك تشميت العاطس لما ترك حمد الله ويبين سبب ترك التشميت وهو أن الذي عطس لم يحمد الله وقد قال الرسول ﷺ : «**إذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ فَإنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلا تُشَمِّتُوهُ**»[٢].

والرسول ﷺ يأخذ بيد الغلام والجارية من الطعام، ويبين سبب رفع أيديهما من الطعام ، وأن يد الشيطان كانت مع يديهما لما أكلا بلا تسمية.

أخرج مسلم[٣] **في صحيحه** من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا، حتى يبدأ رسول اللَّه ﷺ ، فيضع يده. وإنا حضرنا معه، مرة طعاماً. فجاءت جارية كأنها تُدفعُ[٤]. فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيدها. ثم جاء أعرابي كأنما يُدفَعُ. فأخذ بيده. فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذكَرُ اسْمُ اللَّه عَلَيْه. وإنَّهُ جَاءَ بِهَذه الجَارِيَة لِيَستَحلَّ بهَا؛ فَأَخَذْتُ بِيَدهَا. فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِي لِيَسْتَحلَّ بِه. فَأَخَذْتُ بِيَده، وَالَّذي نَفْسي بِيَده.. إنَّ يَدَهُ في يَدي مَعَ يَدهَا**» .

---

(١) دعاء بأن يُؤمنه الله من السوء .

(٢) تقدم بيان أن مسلماً أخرجه (٢٩٩٢) .

(٣) مسلم (حديث ٢٠١٧) .

(٤) أي كأن شيئاً يدفعها ، وذلك لسرعتها .

ولما أخرج النبي ﷺ التمرة من فيِّ الحسن بيَّن له العلة من ذلك، وأن آل محمد لا يأكلون الصدقة .

ففي الصحيحين [(١)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**كِخْ كِخْ، ارْمِ بِهَا أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ**» لفظ مسلم .

ولفظ البخاري: كان رسول اللَّه ﷺ يُؤتى بالثمر عند صرام النخيل ، فيجيء هذه بتمرة وهذه من تمرة حتى يصير عنده كوماً من تمرٍ ، فجعل الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بذلك التمر فأخذ أحدهما تمرةً فجعله في فيه ، فنظر إليه رسول اللَّه ﷺ فأخرجها من فيه فقال: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ آلَ مُحَمَّد لا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ**» .

وإبراهيم الخليل لما همَّ بذبح ولده اسماعيل بيَّن له سبب ذلك بقوله : ﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ**﴾ . [الصافات: ١٠٢]

فَبَيَّنَ له العلة من الإقدام على ذبحه ، وأنه وحي الله إليه بذلك.

استشارة الأبناء فيما يفهمونه

وقد يفهم الولد - في بعض الأحيان - من الأمور مالا يفهمه أبوه، فعلى الوالد أن يستشير الولد فيما يفهمه الولد وفيما يتقنه ولا يُجهِّل الولد ولا يبخسه حقه، وعلى الابن أن يقدم رأيه في ثوبٍ من الأدب وقميصٍ من الوقار .

---

(١) البخاري (حديث ١٤٨٥) ومسلم (حديث ١٠٦٩) .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ . فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. [الأنبياء: ٧٨، ٧٩]

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَت امْرَأَتَان مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا. فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِك. وَقَالَت الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِك. فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْه السَّلامُ فَقَضَى بِه لِلكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بن دَاودَ - عليهما السلام - فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ ائتُونِي بِالسِّكين، أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالَت الصُّغْرَى: لا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى.

إمامة الصبيان للصلاة

وهذه أيضًا من صور التشجيع ماداموا حفظة لكتاب اللَّه عزَّ وجل:

أخرج البخاري[2] من حديث عمرو بن سلمة قال: كنا بماء[3] ممر الناس، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم ما للناس؟ ما للناس؟ ماهذا الرجل؟ فيقولون يزعم أن اللَّه أرسله، أوحي إليه، أو أوحى اللَّه بكذا، فكنت أحفظ ذاك فكأنما يَقرُّ في صدري، وكانت العرب تلوَّم بإسلامهم الفتح يقولون اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر

(١) البخاري (حديث ٦٧٦٩) .

(٢) البخاري (حديث ٤٣٠٢) .

(٣) في رواية أبي داود كنا بحاضر يمر بنا .. والحاضر بمعنى المحضور، وهو المكان الذي يقيم به الناس ولا يرحلون عنه .

كل قوم بإسلامهم، وبَدر أبي قومي بإسلامــهم فلما قدم قال : جئتكم واللَّه من عند النبي ﷺ حــقاً ؟ فقــال صلوا صلاة كذا فــي حين كذا ، وصلوا صلاة كذا في حين كذا فإذا حضرت الصــلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قــرآنًا، فنظروا فلم يكن أحــد أكــثــر قــرآناً مني لما كنتُ أتلَّقى من الركـبــان فقــدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنــين وكانت عليَّ بُردة كنت إذا سجدت تقلَّصت عني فقالت: امرأة من الحي، ألا تُغطُّون عنا است قارئكم، فاشتروا فقطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحى بذلك القميص .

عيادة الصبيان عند مرضهم

فالأوامر بعيــادة المريض كثيرة متعددة، وقد ورد في صــحيح البخاري[1] من حديث أنس ﷺ أن غلاماً ليهود كــان يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقال: «أَسْلِمْ» فأسلم .

هذا ولعيــادة المريض أثرطيب في نفس المريض وتأليف قلبه وجذبه إلى الخــير والصلاح .

محبة مع عدل وإنصاف

ومحبة الرجل بعض أبنائه أكثر من بعضٍ لا بأس بها مالم يصاحبها ظلم وتجاوز وجور . فالمحبة شيءٌ جِـبليٌّ ، من عند الله سبحانه وتعالى هو الذي يقذف المحبة في القلوب .

أخرج البخاري ومسلم[2] (واللفظ له) من حديث أبي هريرة ﷺ قال:

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٦٥٧) .

(٢) البخاري (حديث ٦٠٤٠) ومسلم (حديث ٢٦٣٧) .

قال رسول الله ﷺ : «إنَّ اللَّهَ إذَا أَحَبَّ عَبْداً، دَعَا جبْريلَ فَقَالَ: إنِّي أُحبُّ فُلانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ: فَيُحبهُ جبْريلُ. ثُمَّ يُنَادي في السَّمَاء فَيَقُولُ: إنَّ اللَّهَ يُحبُّ فُلاناً فَأَحبُّوهُ. فيُحبُّه أَهْلُ السَّمَاء. قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأرْض. وَإذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دعَا جبْريلَ فَيَقُولُ: إنِّي أُبْغضُ فُلانًا فَأَبْغضْهُ. قَالَ: فَيُبغضُهُ جبْريلُ. ثُمَّ يُنَادي في أَهْل السَّمَاء : إنَّ اللَّهَ يَبْغَضُ فُلَاناً فَأَبْغضُوهُ. قَالَ: فيُبغضُونَهُ. ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأرْض».

وقد قال النبي ﷺ في شأن خديجة: «إنِّي قَدْ رُزقْتُ حُبَّهَا»[1].

وقال الله سبحانه وتعالى في شأن موسى عليه السلام: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ فكان كل من رآه أحبَّه .

وقال سبحانه : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ .

{ النساء : ١٢٩ }

وقال جمهور العلماء في تفسيرها: إن العدل الذي ذكر الله تعالى هنا أنه لا يستطاع هو العدل في المحبة والميل الطبيعي [2] ، لأنه ليس تحت قدرة البشر ، بخلاف العدل في الحقوق الشرعية فإنه مستطاع .

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ .

{ الأنفال : ٢٤ }

---

(١) أخرجه مسلم(ص ١٨٨٨) من حديث عائشة ﵂ قالت : « وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ، قالت : فأغضبته يوماً فقلت خديجة ؟! فقال رسول الله ﷺ : « إني قد رزقتُ حبَّها » .

(٢) وأضافوا أيضا إلى العدل الذي لا يستطاع (الجماع) .

وورد في هذا الباب حديث في إسناده مقال ، وهو « **اللَّهُمَّ هَذَا قسمي فيما أملكُ، فلا تَلُمني فِيمَا لا أملكُ**»[١] .

وها هو يعقوب عليه السلام يحب يوسف أكثر من إخوته .

قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ . إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ** ﴾ . [يوسف: ٧، ٨]

وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا**﴾ . [مريم: ٩٦]

أي محبة في قلوب العباد .

ولا ضير في هذا ولا حرج فالولد الصالح يُحب ويوقَّر ويُجلُّ !

الولد المطيع المصلي الصائم البار بوالديه خيرٌ وأفضل من السفيه الطائش العاصي العاق !

ولكن على الوالد أن لا يبالغ في إظهار هذه المحبة ومتبوعاتها إلا لعلّة من العلل كأن يقول لأبنائه فلان أحسن منكم لكونه يصلي ويصوم ، فحينئذ قد يحملهم هذا القول وهذا الثناء على أخيهم على الصلاة والصيام أو كقول الرجل مشجعاً بعض أبنائه، أخوك فيه خير وأخوك فاضل من الفضلاء لكونه لا ينقل الحديث ولا يفضح المسلمين ولا يثرثر في الكلام ويقصد الرجل بثنائه على ولده تشجيع إخوانه على السير في طريق الصلاح الذي سار فيه أخوهم.

---

(١) أخرجه أبوداود (٢١٣٤) وقال عقبة : يعني القلب **قلت** : وهو حديث معلول وقد بينت علته في كتابي «**جامع أحكام النساء**» (٣/ ٥٠٣) ولكن لمعناه شواهد .

ولكن لا ينبغي أن تحمله هذه المحبة الزائدة على الظلم وعلى الجور وعلى بخس الحقوق وإذلال سائر الأولاد والبنات .

وإن مجرد محبة الرجل لبعض بنيه أكثر من بعض تُوغر صدور الأبناء الآخرين ، وكذلك إقبال الرجل على أحد أبنائه يملأ صدور إخوانه حزناً وهماً بل وحقداً وعداوةً في كثيرٍ من الأحيان وقد يحملهم ذلك على التآمر عليه والكيد له .

ألا ترى إلى إخوة يوسف **﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾** . { يوسف:٨ ، ٩ }

فانظر كيف وصفوا أباهم بالضلال ؟!!

انظر كيف فكَّروا وإلى أي حدٍ تآمروا **﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾** . {يوسف:٩ }

لما رأوا إقبال أبيهم على يوسف أرادوا أن يَخْلُوَ لهم وجه أبيهم ولو بقتل يوسف عليه السلام !!!

هذا كله لمجرد حب يعقوب ليوسف عليهما السلام !!

حُبٌ لم يكن معه جورٌ ولا ظلمٌ !!

حبٌ مقذوف من عند الله في قلب رجل مؤمن!!

حبٌ لولدٍ عليه علامات النجابة والصلاح .

حبٌ لطفلٍ جميل ووسيم أوتي شطر الحسن، وكُلِّل هذا الجمال بالعقل

الراجح والرأي السديد والفهم الثاقب.

هذا كله مجرد حب، حبٌ حملهم على التصرف ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾.

[يوسف: ٩]

ترى لماذا تآمروا على قتل يوسف ﷺ ؟! إنهم أقبلوا على ذلك رغبة في إقبال أبيهم عليهم وخلو وجهه لهم !!

فما بالك وما ظنك إن كان هذا الحب مصحوباً بظلم وجور فحينئذ سيسيطر الشر، ويعمُّ الفساد وتنتشر العداوات بين الأبناء وتحل بينهم الكراهية، بل وبينهم وبين أبيهم كذلك.

العدل بين الأولاد في الهبات

ومن ثم أمر النبي ﷺ بالعدل في الهبات التي تعطى للأولاد، وإن كان هذا الأمر بالعدل في الهبات على الاستحباب عند جمهور العلماء (١) إلا أن فريقاً من العلماء قد أوجبه (٢) مستدلين بما أخرجه البخاري ومسلم (٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: **أعطاني أبي عطية فقالت عمرةُ بنتُ رواحة: لاأرضى حتى تُشهد رسول اللّه ﷺ فأتى رسول اللّه ﷺ فقال:**

---

(١) نقله عن الجمهور الحافظ في الفتح (٥/ ٢١٤).

(٢) وهو قول طاووس والثوري وأحمد واسحاق (كما عزاه إليهم الحافظ في الفتح ٥/ ٢١٤) وكذلك فهو قول البخاري وابن حزم وغيرهم.

(٣) البخاري (حديث ٢٥٨٧) ومسلم (حديث ١٦٢٣).

إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطيةً فأمَرَتْني أن أشهدك يارسول اللَّه قال: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟» قال: لا، قال: «فَاتَّقُوا اللَّهَ واعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلادِكُمْ» (١) قال: فرجعَ فردَّ عطيته.

(٤) وفي رواية لمسلم «فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جَوْر» وفي أخرى عند مسلم: «أفكلهم أعطيت مثل ما أعطيته» قال: لا. قال: «فليس يصلح هذا وإني لا أشهد إلا على حق».

وفي ثالثة عند مسلم: «أكل بنيك قد نحلت مثل ما نحلت النعمان؟» قال: لا. قال: «فأشهد غيري» ثم قال: «أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء» قال: بلى. قال: «فلا إذاً».

قال الحافظ بن حجر (في فتح الباري في شرحه لحديث النعمان بن بشير ٥/ ٢١٤): وقد تمسك به من أوجب التسوية في عطية الأولاد، وبه صرح البخاري وهو قول طاوس والثوري وأحمد وإسحاق، وقال به بعض المالكية ثم المشهور عن هؤلاء أنها باطلة وعن أحمد تصح ويجب أن ترجع، وعنه يجوز التفاضل إن كان له سبب كأن يحتاج الولد لزمانته (١) ودينه أو نحو ذلك دون الباقين، وقال أبويوسف. تجب التسوية إن قصد الإضرار، وذهب الجمهور إلى أن التسوية مستحبة، فإن فضل بعضاً صح وكره واستحبت المبادرة إلى التسوية أو الرجوع فحملوا الأمر على الندب والنهي على التنزيه، ومن حجة من أوجبه أنه مقدمة الواجب؛ لأن قطع الرحم والعقوق محرمان فما يؤدي إليهما يكون محرماً والتفضيل مما يؤدي إليهما.

قلت (مصطفى): وقد استدل من قال بأن العدل بين الأولاد في الهبة ليس على الإيجاب بما رواه مالك في الموطأ (ص٧٥٢) عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: إن أبا بكر الصديق كان نحلها جادَّ (٢) عشرين وسقاً من ماله بالغابة (٣) فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إلى غنى بعدي منك ولا أعز على فقراً بعدي منك وإني كنت نحلتك جادَّ عشرين وسقاً فلو كنت جددتيه (٤) واحتزتيه (٥) كان لك =

(١) المراد بقوله لزمانته أي لمرضه الدائم الملازم له.

(٢) جادَّ بمعني مجدود أي مقطوع، أي كمية من الثمر قدرها عشرون وسقا.

(٣) الغابة موضع قريب من المدينة في طريق الشام.

(٤) جددتيه أي قطعتيه.

(٥) احتزتيه اي حُزتيه.

الأبناء والإنفاق

وللأهل والأولاد حقٌ في الإنفاق عليهم فالبداية تكون بهم بعد النفس[(١)].

ففي الصحيح [(٢)] من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله

= وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هما أخواك وأختاك فاقتسموه على كتاب الله قالت عائشة : فقلت: يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ فقال أبوبكر : ذو بطن بنت خارجة [(١)] أُراها جارية .

وقد تكون هناك ـ في بعض الأحيان ـ عوارض تحمل على التمييز بين الأولاد في الهبة وإيثار بعضهم بشيء دون الآخرين ،فمن ذلك مثلاً :

ـ رجل له أولاد منهم ولد زمن (أي مريض مرضاً مستديماً) فآثر هذا الولد بشيء من الهبة عن إخوانه ، فله ذلك ، والله أعلم .

ـ كذلك رجل له ولدان أحدهما بارٌ راشدٌ تقي والآخر فاجر شقي غويٌ الأول ينفق أمواله في أعمال البر والخير والطاعات ، والثاني ينفق أمواله في أعمال الخنا والزنا والخمر والفواحش فآثر الأول بشيء من الهبة دون غيره ، فله ذلك ؛ لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:٢] ، ولقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٥] ولقول النبي ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ! » قيل : يا رسول الله كيف ننصره ظالماً ؟!!! قال : « تمنعه من الظلم » ، والله تعالى أعلم .

ـ أو كرجل له أولاد عدد منهم يتعلم في الجامعات ويكلف أباه أموالاً طائلة ، والآخر يعمل مع والده في الحقل ولا يدخر لنفسه شيئاً فيجوز حينئذٍ أن يعوض هذا الذي يعمل معه بشيء من الهبة حتى يتكافأ مع الآخر ، والعلم عند الله تبارك وتعالى .

(١) الحديث ابدأ بنفسك ، أخرجه مسلم (٩٩٧) من حديث جابر ﷺ مرفوعاً .

(٢) البخاري (حديث ٥٣٥٥) .

(١) أي البطن الذي منه بنت خارجة (أي قبيلتها) .

ﷺ : «**وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**».

تقول المرأة إما أن تطعمني وإما أن تطلقني، ويقول العبد أطعمني واستعملني، ويقول الابن أطعمني إلى من تدعني؟ فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال لا هذا من كيس أبي هريرة[١].

وخير الدنانير وأعظمها دينار أنفقته على أهلك كما قال رسول اللَّه ﷺ [٢].

وكفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته كما قال عليه الصلاة والسلام[٣].

وقال رسول الله ﷺ : «**مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ زَوْجَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ وَمَا أَطْعَمْتَ خَادِمَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ**»[٤].

---

(١) يعني قوله تقول المرأة . . إلى آخر الحديث .

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٩٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدَّقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**» .

(٣) أخرجه مسلم (٩٩٦) من طريق خيثمة قال : كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو إذ جاءه قهرمان[١] له فدخل ، فقال أعطيت الرقيق قُوتَهم ؟ قال لا قال : فانطلق فأعطهم قال : قال رسول الله ﷺ : « **كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته** » .

(٤) أخرجه أحمد (المسند ٤/ ١٣١ ، ١٣٢) من حديث المقدام بن معدى كرب عن رسول الله ﷺ ، وإسناده صحيح .

---

(١) القهرمان هو الخازن القائم بحوائج الإنسان ، وهو بمعنى الوكيل .

ولمسألة الإنفاق على الأبناء والعطاء لهم فقه كسائر المسائل، ففهمها ينبني على قول الله عز وجل: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا . وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا . وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾.

{ الإسراء: ٢٦-٢٩ }

وأيضا فهذه المسألة لها تعلقٌ بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾.

{البقرة: ٢٠٥ }

وبسائر الأصول الواردة في هذا الباب، فيعطي الولد بقدر حاجته كما قال النبي ﷺ لهند: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**»[1] ولا يبسط للابن في العطاء فيتعالى على أقرانه من الأبناء ومن الجيران ومن الزملاء ويستكبر عليهم ويتطاول ، ويسعى في الأرض بالفساد ، وكذلك فلا يُحرم فيجلس بين سائر الزملاء ذليلاً متطلعاً إلى ما في أيديهم .

وينظر أيضا إلى أحوال الولد في الإنفاق، فالابن الذي يتصدق بجزءٍ من ماله في سبيل الله ويعطي الفقراء والمساكين فهذا يُعطى مالا يُعطاه الابن الذي ينفق أمواله في الدخان والسجائر والمخدرات، وكل ذلك بالمعروف أيضًا. والإعانة على الخير والتشجيع عليه مطلب شرعيٌ، والنهي عن المنكر وسد

---

(١) البخاري حديث (٥٣٦٤) ومسلم (ص ١٣٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها أن هندًا بنت عتبة قالت يارسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيح ، وليس يعطيني مايكفيني وولدي . لا ما أخذت منه وهو لا يعلم ، فقال : « **خذي مايكفيك وولدك بالمعروف** » .

الأبواب الموصلة إليه مقصدٌ شرعيٌ كذلك ؟!

الابن الذي يشتري بجزء من أمواله شرائط قرآن وكتباً يتفقه في دينه منها ليس كالابن الذي يشتري بكل أمواله شرائط الغناء الماجن والموسيقى الصاخبة، وينفق أمواله على الفتيات المتبرجات وصديقات السوء والفسق !!

وكذلك الابن الصغير ليست احتياجاته كاحتياجات الابن الكبير .

فالابن في الجامعة مصاريفه أكثر بلاشك من طفلٍ لم يدخل الدراسة أو في أوائل مراحل دراسته .

وكذلك البنت تختلف في احتياجاتها عن الولد!

فالانفاق على كلٍ بما يحتاج على قدر حاجته بلا تبذير ولا تقتير هو المعتمد الذي دلت عليه أصول الشريعة .

ولا مانع من أن تعطيه من الزيادة ما يدخره لنفسه في حدود المعقول والمتعارف عليه إذا كان من العقلاء الذين يعرفون الضار من النافع .

أما إذا كان الابن سفيها من السفهاء وطائشاً من الطائشين فهذا يحتاج إلى نظر دقيق في أحواله والضابط في التصرف معه مراعاة المصلحة والمفسدة وأوجه الضرر والنفع .

وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم : ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً**﴾ .

{ النساء: ٥ }

وقال سبحانه ﴿ **وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا**

فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ . [النساء: ٦]

فمن أهل العلم ـ كمالك رحمه الله ـ من يرى أن إيناس الرشد من الغلام عند بلوغه لازم كي يُسلم أمواله .

هذا وقد لفت نظري تصرفٌ يقوم به أحد إخواننا في الله ، ولكني ما رأيت له وجاهة في هذا التصرف بل ورأيت الذي أخبرني به هذا الأخ أنه عند عطائه للبنات والإنفاق عليهن يعطيهن النصف دائماً مما يعطيه للأولاد قياساً منه على الميراث !!

فكانت عنده ابنة في الصف الأول الثانوي وابن في السادس الابتدائي، فأخبرني أنه عند نجاح الولد يعطيه خمسمائة ريالا هدية، والبنت مع تفوقها الزائد يعطيها مائتين وخمسين ريالاً، قياساً منه كما أسلفنا على قول الله عز وجل: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١]، وهذا أمرٌ في القياس عجيب ، إذ الآية الكريمة في الميراث بعد الموت ، والوارد عن جمهور العلماء بأن البنت تأخذ نصف ما يأخذه الولد من الهبات ـ وإن كان في المسألة نزاع ـ محمول على الهبات الكبيرة التي تجري مجرى الميراث ـ أما العطاءات اليومية أو الهبات الدورية المسببة بأسباب فلا تأخذ هذا الحكم قطعاً.

فمثلا إذا كان الرجل يعطي الأولاد طعاماً هل يُقال له أعطِ الولد بيضتين مثلاً ، والبنت بيضة واحدة ؟! فهذا فيما يظهر لي تصرف بعيدٌ غاية البعد عن الرشاد والصواب، فقد تكون حاجة البنت أكثر من ثلاث بيضات كي تسُد حاجتها من الجوع!!

وكذلك سائر الأمور فيما يتعلق بالعطاء اليومي والانفاق الدوري، وقد قال الرسول فيما تقدم لهند: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ**» ففرقٌ بلاشك بين الهبات التي تجحف بالميراث وبالورثة، وبين العطاءات التي يعطيها الرجل لأبنائه وبناته حسب احتياجهم وتشجيعاً لهم ! والله تعالى أعلم.

وإذا كان الأب شحيحاً فلم يُعط أهله وأولاده ما يكفيهم مع ثروته وغناه فللأم أن تأخذ لأبنائها منه ما يكفيهم بالمعروف ولو بغير علمه

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث عائشة رضي الله عنها أن هنداً بنت عتبة قالت يا رسول اللَّه إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني مايكفيني وولدي إلا ما أخذتُ منه وهو لايعلم فقال: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ**».

ولا ينبغي لأحد أن يُضيِّع أولاده حتى ولو بعد موته

فلا ينبغي له أن يُبدد أمواله أو يُوصي بها كلها ويترك أولاده عالة يتكففون الناس .

فقد أخرج البخاري ومسلم[2] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

(١) البخاري (حديث ٥٣٦٤) ومسلم (ص ١٣٣٩).

(٢) البخاري (حديث ١٢٩٥) ومسلم (حديث ١٦٢٨).

قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجعٍ اشتد بي فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مالٍ ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا» فقلت بالشطر؟ فقال: «لا» فقلت بالثلث، قال: «**الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ** - أو كثير - **إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**».

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما[1]: «لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الرُّبع فإن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ...**».

ولما قال كعب بن مالك - لما أنزل الله بيان التوبة عليه - يارسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ...**»[2].

أما تصدق أبي بكر رضي الله عنه بماله كله، وقول الرسول ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟**» قال: «**أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» فهذا محله إذا كان بالمسلمين حاجة شديدة وفاقةٌ، أو تجهيز جيش لابد من تجهيزه إلى غير ذلك من الأسباب الوجيهة التي قد تدعو إلى ذلك، وعلى كل فلهذا فقهٌ ينبغي أن يفهم وأن يعقل، ألا وهو متى يتصدق الشخص بكل ماله، ومتى يتصدق ببعض ماله، وهل له مال متمثل في عقار وآخر نقود سائلة إلى غير ذلك، والله الموفق، والمهتدي من هداه الله.

---

(١) البخاري (حديث ٢٧٤٣) ومسلم (١٦٢٩).

(٢) البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) وأحمد (٦ / ٣٨٧).

ولا وصية لوارث

فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حقَّهُ، فَلا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ**»[١].

وقد نقل القرطبي الإجماع على أن الوصية لوارث لا تجوز .

قلت: فعلى هذا لا يجوز لأحد أن يوصي لبعض أبنائه بشيء يأخذونه بعد موته فالأبناء ورثة فلا وصية لهم .

وللرجل أن يَخُصَّ
بعض أبنائه أو بناته بالسِّر دون أزواجه

الولد ـ أو البنت ـ ممن يحفظ السر .

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث عائشة ﵂ قالت: «**أَقْبَلَتْ فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ**: «مرحباً ياابنتي» ثم أجلسها عن يمينه ـ أو عن شماله ـ ثم أسرَّ إليها حديثاً، فبكت فقلتُ لها: لِمَ تبكين؟ ثم أسَّر إليها حديثا فضحكت، فقلت ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حُزنٍ فسألتها عما قال فقالت: ما كنتُ لأفشي سرَّ رسول اللَّه ﷺ، حتى قُبض النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسَّر إليَّ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي**

---

(١) له عدة طرق لا يخلو طريق منها من مقال ، انظر سنن أبي داود (٢٨٧٠)، (٣٥٦٥) والترمذي (حديث :٢١٢) ولكن على العمل بهذا الحديث عامة أهل العلم ، وقد نقل القرطبي الإجماع على أن الوصية للوارث لا تجوز .

(٢) البخاري (حديث ٣٦٢٣) ومسلم (حديث ٢٤٥٠) .

القرآنَ كُلَّ سَنَة مَرَّةً، وَإِنَّه عَارَضَني العَامَ مَرَّتَيْن، وَلا أُرَاه إلا حَضَرَ أَجَلي، وَإِنَّك أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتي لحَاقاً بي» فبكيتُ. فقال: **«أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُوني سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ - أو نساء المؤمنين -»** فضحكت لذلك .

الأبناء وحفظ السِّر

وعلى الوالدين أن يُعلما الأبناء حفظ السر ، فليست كل الأمور يُخبر بها وتخرج ، وليست كل الأسرار تفشى فعلِّم ولدك حفظ السر ولا تكرهه على إفشاء الأسرار .

أخرج **الإمام مسلم في صحيحه**[1] عن أنس قال : أتى علـيَّ رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان، قال فسلَّم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت علي أُمي، فلما جئت قالت: ما حَبَسَك؟ قلتُ بعثني رسول اللَّه ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌّ قالت: لا تُحدثن بسر رسول اللَّه ﷺ أحداً، قال أنس، واللَّه لو حدَّثت به أحداً لحدثتك يا ثابت.

محبةٌ ورحمةٌ ورفق مع أدبٍ وحزم وعدل

فهكذا ينبغي أن تكون الأمور ، لا إفراط ولا تفريط ، وهكذا كان سلفنا الصالح كما علمهم نبينا محمد ﷺ !!

إنها محبة غامرة ورحمة فياضة ورفقٌ زائدٌ وحنان متدفق !!

كل هذا مع أدبٍ وحزمٍ وعدلٍ وإنصاف !!

فانظر إلى هذه المودة الزائدة والمحبة الفياضة والحنان المتدفق والاحترام

(١) مسلم (حديث ٢٤٨٢) ، وانظر البخاري أيضا (٦٢٨٩) .

المتبادل بين خيرِ أب على وجه الأرض ، وخير ابنةٍ كذلك .

انظر إلى رسول الله ﷺ وإلى ابنته فاطمة عليها السلام إحدى سيدات نساء أهل الجنة !

كلما ذهب إليها رسول الله ﷺ وأقبل إليها قامت إليه فقبلته وأجلسته، وهو كذلك عليه الصلاة والسلام إذ هو معلمها ومُربيها ومؤدبها صلوات الله وسلامه عليه كلما أقبلت إليه قام إليها فقبلَّها وأَجْلَسها.

وها هو الحديث بذلك:

أخرج أبو داود والترمذي والنسائي[1] وغيرهم باسناد صحيح من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : **ما رأيتُ أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول اللّه ﷺ من فاطمة ـ كرَّم اللّه وجهها ـ : كانت إذا دَخلتْ عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبّلها وأجلسها في مجلسه ، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذتْ بيده فقبلته وأجلستْهُ في مَجْلسها .**

ومع هذه المحبة الزائدة، ومع هذا الإجلال والتوقير يقول عليه الصلاة والسلام: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَده لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّد سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**»[2]!!

فحقاً إنه عدلٌ !! حقاً إنه إنصاف !!

فنعم التذكيرُ ونعم التحذير من البشير النذير صلوات الله وسلامه عليه!!

---

(١) أبو داود (حديث ٥٢١٧) والترمذي (٣٨٧٢) والنسائي (فضائل الصحابة ٢٦٤) .

(٢) صحيح وسيأتي قريباً إن شاء الله .

ورسول الله ﷺ مع محبته الزائدة لأسامة بن زيد يرد شفاعته لما شفع في حدٍ من حدود الله .

أخرج البخاري ومسلم [(١)] من حديث عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يُكلِّم فيها رسول اللَّه ﷺ ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبُّ رسول اللَّه ﷺ ؟ فكلَّم رسول اللَّه ﷺ فقال : «**أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُود اللَّه؟!**» ثم قام فخطب فقال : «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا**» .

إنها رحمة مع عقلٍ وسداد ورزانة واتزان .

يموت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فيحزن الرسول لذلك وتذرف عيناه الدموع، ولكنه يقول : «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ وَالقَلْبَ يَحْزَنُ وَلا نَقُولُ إلا مَايُرضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ!**»[(٢)] .

---

(١) البخاري (حديث ٦٧٨٨) ومسلم (حديث ١٦٨٨) .

أما محبة الرسول ﷺ لأسامة فعند الحاكم بإسناد صحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما **أن النبي** ﷺ **قال « أسامة أحب الناس إليَّ »** رواها الحاكم في المستدرك (٣ / ٥٩٦) ، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ **قال في شأن أسامة « .... وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ»** وعند البخاري (٣٧٣٥) أن النبي ﷺ قال في شأنه مع الحسن « **اللهم أحبَّهما فإني أحبهما** » .

(٢) البخاري (حديث ١٣٠٣) .

ومع رحمته ﷺ بالأطفال لا يمتنع من تأديبهم

أخرج مسلم[١] **في صحيحه** من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا، حتى يبدأ رسول اللَّه ﷺ، فيضع يده. وإنا حضرنا معه مرة طعاماً. فجاءت جارية كأنها تُدْفَعُ[٢]. فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيدها. ثم جاء أعرابي كأنما يُدفعُ. فأخذ بيده. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذكَرَ اسْمُ اللَّه عَلَيه. وَإِنَّهُ جَاءَ بهَذه الجَارِيَة لِيَسْتَحلَّ بهَا. فَأَخَذْتُ بِيَدهَا فَجَاءَ بهَذَا الأَعْرَابيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِه فَأَخَذْتُ بِيَده. وَالَّذي نَفْسي بِيَده! إنَّ يَدَهُ في يَدي مَعَ يَدهَا**»[٣].

وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلاماً في حجْر رسول اللَّه ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول اللَّه ﷺ: «**يَا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ ممَّا يَليكَ...**».

---

(١) مسلم (حديث ٢٠١٧).

(٢) كأنها تدفع وفي الرواية الأخرى: كأنها تطرد. يعني لشدة سرعتها.

(٣) إن يده في يدي مع يدها هكذا هو في معظم الأصول: يدها. وفي بعضها: يدهما. فهذا ظاهر. والتثنية تعود إلى الجارية والأعرابي. ومعناه أن يدي في يد الشيطان مع يد الجارية والأعرابي. أما على رواية يدها بالإفراد فيعود الضمير على الجارية. وقد حكى القاضي عياض رضي الله عنه أن الوجه التثنية. والظاهر أن رواية الإفراد، أيضا مستقيمة. فإن إثبات يدها لا ينفي يد الأعرابي. وإذا صحت الرواية بالإفراد وجب قبولها وتأويلها على ما ذكرناه.

(٤) البخاري (مع الفتح ٩ / ٥٢١) ومسلم (حديث ٢٠٢٢).

إنها محبةٌ فياضة وحنانٌ غامر مع أدب وورع

ها هو الحسن بن علي ﭬ، وهذا موقف رسول الله ﷺ معه.

أخرج البخاري[(١)] من حديث البراء ﭬ قال: رأيت النبي ﷺ والحسن بن عليٍّ على عاتقه يقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهُ فأحبَّه**».

ويعانقه الرسول ويُقبله ويقول: «**اللَّهُمَّ أَحبَّه وأَحبَّ مَن يُحبُّهُ**»[(٢)].

ومع هذا كله يُخرج الرسول التمرة من فمه قائلاً له: «**كِخ! كِخْ! أَمَا عَلِمْتَ أنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَة؟!**»[(٣)].

وهكذا تعلَّم من رسول الله ﷺ أصحابُهُ ﭫ

فانظر إلى هذه الرأفة والرحمة مع العدل والإنصاف من أمير المؤمنين عمر إذ تحضره الوفاة فيطلب منه أن يوصي بالخلافة لشخص بعده فيوصي قائلاً:
ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر ـ أو الرهط ـ الذين توفي رسول اللَّه ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن، وقال: يشهدكم عبد اللَّه بن عمر، وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له[(٤)].

وانظر إلى قوله: «**ويشهدكم ابن عمر وليس له من الأمر شيء**».

---

(١) البخاري (حديث ٣٧٤٩) ومسلم (حديث ٢٤٢٢).

(٢) البخاري (٢١٢٢) ومسلم (٢٤٢١) من حديث أبي هريرة ﭬ مرفوعاً.

(٣) البخاري (١٤٩١) ومسلم (١٠٦٩) من حديث أبي هريرة q مرفوعاً.

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٠٠) من طريق عمرو بن ميمون.

فحقاً إنها رأفة ورحمة بالابن ولكنها مع عدلٍ وإنصاف!!

فابن عمر بالأمس كان يرى أباه خليفة للمسلمين ثم مات أبوه، فأقل ما يفعل معه أنه يحضر مجلس الاستخلاف، مجرد حضور للمواساة والتعزية، ولكن في المجلس من هم أحق منه وأولى، فحينئذ قال عمر ﷺ: **«ويشهدكم ابن عمر وليس له من الأمر شيء»** فسبحان الله كيف تربى هؤلاء على هذا العدل والإنصاف مع الرحمة والرأفة؟!! فرحمة الله عليهم ورضوانه!!

وهذه المحبة التي في قلب عمر لأبنائه لا تمنعه من إقامة حدود الله عليهم إذا هم ارتكبوا ما يوجب عليهم الحد

فقد قام عمر بجلد بعض أبنائه لما ثبت عنه أنه شرب الخمر .

أخرج البيهقي[1] في السنن الكبرى باسناد صحيح عن السائب بن يزيد قال : سمعت عمر ﷺ يقول : **ذكر لي أن عبيد اللّه بن عمر وأصحاباً له شربوا شراباً، وأنا سائل عنه فإن كان يُسكر حددتهم .**

قال السائب فرأيته يحدهم .

وأخرج البيهقي[2] أيضا باسناد صحيح عن ابن عمر ﷺ قال: شرب أخي عبد الرحمن بن عمر، وشرب معه أبو سروعة عقبة بن الحارث، ونحن

(١) البيهقي (٨ / ٣١٣) .
(٢) البيهقي (٨ / ٣١٣ ـ ٣١٤) .

بمصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسكرا، فلما صحا انطلقا إلى عمرو ابن العاص، وهو أمير مصر فقالا: طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه، قال عبد اللَّه بن عمر: فلم أشعر أنهما أتيا عمرو بن العاص، قال فذكر لي أخي أنه قد سكر، فقلت له: ادخل الدار أطهرك، قال: إنه قد حدث الأمير، قال عبد اللَّه: فقلت واللَّه لا تحلق اليوم على رؤوس الناس ، ادخل أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد، فدخل معي الدار، قال عبد اللَّه فحلقت أخي بيدي ثم جلدهما عمرو بن العاص، فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب إلى عمرو أن ابعث إلي عبد الرحمن بن عمر على قتب ففعل ذلك عمرو، فلما قدم عبد الرحمن على عمر رضي الله عنه جلده وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسله فلبث أشهراً صحيحاً ثم أصابه قَدَرُهُ فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ، ولم يمت من جلده[(١)].

وللرجل أن يفرح بتفوق أولاده ونجاحهم

فهذا عمر رضي الله عنه، لما سأل الرسول ﷺ أصحابه وفيهم عبد الله بن عمر وهو أصغرهم حينئذ، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟**» فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد اللَّه : ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي؟ يارسول اللَّه قال فقال: «**هِيَ النَّخْلَةُ**» قال ابن عمر: فذكرت ذلك لعمر قال: لأن تكون قلت هي النخلة أحبُّ إليَّ من كذا وكذا[(٢)].

---

(١) قال البيهقي ، والذي يشبه أنه جلده جلد تعزير فإن الحد لا يُعاد والله أعلم .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٣١) ومسلم (حديث ٢٨١١) .

فانظر إلى حُبِّ عُـمر لتفـوق ولده وتمنيه لو كان أجـاب على رسول الله ﷺ .

ولكن هذه المحبة لا تحمل عمر على ظلم الآخرين

فها هو عمر يقسم أموالاً فيعطي ابن عمر ويعطي أسامة بن زيد أكثر من ابن عمـر ، فيسـتفسـر ابن عمر من أبيـه لماذا أعطيت أسامة أكـثر مني ولم يسبقني بمشهد في الإسلام ؟

فترى بمَ يُجيب عمر .

أخرج ابن سعد في الطبقات[1] بإسناد صحيح لغيره عن زيد بن أسلم **أن عمر بن الخطاب فضَّل المهـاجرين الأولين وأعطى أبناءهم دون ذلك ، وفضل أسامة بن زيد على عـبد اللّه بن عمر فـقال عبد اللّه بن عمـر : فقال لي رجل فـضَّل عليك أميـر المؤمنين من ليس بأقـدم منك سناً ولا أفضل منك هجـرة ، ولا شهـد من المشاهد مـالم تشهـد . قال عبـد اللّه : وكلمتـه فقلت : يا أمـير المؤمنين فضلت عـليَّ من ليس هو بأقدم مني سناً ولا أفـضل مني هجرة ، ولا شـهد من المشـاهد مـالم أشهـد قـال : ومن هو ؟ قلت أسـامة بن زيد قـال : صدقت لعمر اللّه ! فـعلت ذلك لأن زيد بن حارثة كان أحب إلى رسول اللّه ﷺ من عبد اللّه ابن عمر فلذلك فعلت .**

فهكذا تعلَّم عمر رضي الله عنه ، تعلم أن المحبة لا تطغى على العدل .

فكذلك فليكن الآباء لا تطغى مـحبتهم لأبنائهـم على العدل بين أبنائهم

(١) ابن سعد في الطبقات (٤/١/٤٩) .

وأبناء الآخرين .

لا تطغى محبتهم لأبنائهم على إقامة حدود الله عزَّ وجل .

لا تطغى محبتهم لأبنائهم على إقامة فرائض الله عز وجل فحينئذٍ إذا طغت المحبة عمت البلوى وحلت الفتنة !

وقد قال الله عز وجل : ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ . { التغابن : ١٥ }

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** ﴾ . { التغابن : ١٤ }

فأين هذا التصرف من تصرفات المدرسين وأساتذة الجامعات الذين يبخسون الطلاب حقوقهم ويُصدِّرون أبنائهم دائما الأوائل وهم لا يستحقون ذلك ؟! أستاذ في جامعة يريد لولده أن يكون مُعيداً بها وأستاذاً بها وليكن في ذلك عنده ما هو كائن ، ليكن أن يظلم الطلاب الآخرين ليكن أن يجامل زملاء برفع درجات أبنائهم ، ليكن بأن يرشي زملاءه من الأساتذة ويهدي لهم الهدايا ، ليكن عنده ما يكون مقابل أن يُخرج ولده معيداً بالجامعة!!

ولا يدري المسكين في أي ذلك خير!

ولا يدري ما هو الأقرب إلى الله والأنفع في الدارين!

لكن عليه أن يدري يقينا وأن يعلم تماماً أن الخير في العدل ، وأن الشر في ظلم العباد، وقد قال تعالى: ﴿ **وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ . { هود : ٨٥ }

وليعلم هذا الأستاذ أنه ألبس ولده ثوباً من ثياب الزور ، فقد قال النبيُّ

ﷺ : «المُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَى زُورٍ»[١].

وانظر إلى تصرف أبي موسى كذلك يترك تشميت ابنه لما عطس فلم يحمد الله ، ويُشمِّتُ غيره لما عطس وحمد الله ، وكل ذلك اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ .

أخرج مسلم[٢] **في صحيحه** من حديث أبي بردة قال : دخلت على أبي موسى ، وهو في بيت بنت الفضل بن عباس . فعطست فلم يُشَمِّتني . وعطست فَشَمَّتَهَا . فرجعت إلى أمي فأخبرتها ، فلما جاءها قالت : عطس عندك ابني فلم تُشَمِّتهُ ، وعَطَسَتْ فَشَمَّتَها . فقال : إن ابنك عطس ، فلم يحمد اللّه ، فلم أشمته . وعطست فحمدت اللّه فشمتها . سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ . فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِاللَّهَ، فَلا تُشَمِّتُوهُ** ».

وهذا الصديق أبو بكر ﷺ يعرف قدر رسول الله ﷺ وفضل قرابة رسول الله ﷺ فيقول: «**والذي نفسي بيده لقرابةُ رسول اللّه ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي**» [٣] .

---

(١) البخاري (حديث ٥٢١٩) ومسلم (حديث ٢١٢٩) من حديث أسماء أن امرأةً قالت: **يارسول الله، إن لي ضَرةً فهل عليَّ جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يُعطيني ؟ فقال رسول الله ﷺ : «المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زُورٍ»**.

قال النووي : قال العلماء : معناه المتكثر بما ليس عنده بأن يُظهر أن عنده ماليس عنده يتكثر بذلك عند الناس ويتزين بالباطل فهو مذموم كما يُذم من لبس ثوبي زور .

(٢) مسلم (حديث ٢٩٩٢) .

(٣) البخاري (حديث ٣٧١١) ومسلم (حديث ١٧٥٩) .

دفاع الرجل عن أبنائه
ومحبة الخير لهم ، وكل ذلك بالحق

وهذا شيء جبلي أيضا وقد جاء الشرع بإقراره مادام في الحق والمعروف فإن ظُلم ولدك أو ظُلمت ابنتك فلك أن تنتصر لولدك ولابنتك بقدر المظلمة، وإن كان للعفو وجه قوى في أكثر الأحيان وهذه بعض صور دفاع الرجل عن أبنائه وبناته في الحق .

لما كان في اجتماع فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع بنت عدو الله أبي جهل تحت رجل واحد كزوجتين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان في هذا أذى لفاطمة ومن ثمَّ أذى لأبيها رسول الله ﷺ دافع الرسول عن فاطمة ومنع علياً من ذلك إلا أن يُفارق فاطمة ويتزوج ببنت أبي جهل ، إذ كيف يلتئم هذا الوضع؟! كيف تجتمع بنت رسول الله ﷺ مع بنت أبي جهل ؟!

إن في هذا ضرراً عليهما معاً فبنت أبي جهل قد تنتصر لأبيها أمام فاطمة، بل وقد تنال من والد فاطمة رسول الله ﷺ فتقع في الكفر حينئذ فمنع الرسول ﷺ هذه الزيجة لما فيها من أذى للجميع وها هو الحديث بذلك :

أخرج البخاري ومسلم[1] **في صحيحيهما** من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول وهو على المنبر: «**إِنَّ بَنِي هَاشِمِ بنِ المُغَيرَةِ اسْتَأْذَنُوا فِي أَنْ يُنكحُوا ابْنَتَهُمْ[2] عَلَيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلا آذَنُ، ثُمَّ لاَ**

---

(١) البخاري (حديث ٥٢٣٠) ومسلم (٢٤٤٩).

(٢) هي بنت أبي جهل كما جاء واضحاً في رواية البخاري (٣١١٠) ومسلم (٢٤٤٩).

آذنُ، ثُمَّ لا آذَنُ، إلا أنْ يُريدَ ابْنُ أَبِي طَالب أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتي ويَنكحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا هِيَ بَضْعَةٌ مِنِّي[١] يُرِيبُنِي مَا أَرَابَهَا وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»[٢].

وانظر إلى دفاع أسماء بنت أبي بكر عن عرض ولدها عبد الله بن الزبير بعد قتله أمام هذا الرجس الظالم والأمير المبير الحجاج بن يوسف الثقفي .

أخرج مسلم[٣] في صحيحه عن أبي نوفل قال: رأيت عبد اللَّه بن الزبير على عَقَبَة المدينة[٤] قال: فجعلت قريشٌ تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد اللَّه ابن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خُبيب، السلام عليك أبا خُبيب، السلام عليك أبا خُبيب، أما واللَّه لقد كنتُ أنهاك عن هذا أما واللَّه لقد كنتُ أنهاك عن هذا أما واللَّه إن كنتَ ما علمتُ صواماً قواماً وصولاً للرحم، أما واللَّه لأُمَّة أنت أشَرُّها لأمة خير، ثم نفذ عبد اللَّه بن عمر. فبلغ الحجاج موقف عبد اللَّه بن عمر وقوله فأرسل إليه، فأنزل عن جِذْعه[٥] فألقي في قبور اليهود ثم أرسل إلى أمِّه أسماء بنت أبي بكر فأبت أن تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن إليك من يسحبُك بقرونك قال: فأبت وقالت: واللَّه لا آتيك حتى تبعث إليَّ من يسحبني بقروني قال: فقال: أروني سِبْتيَّ[٦] فأخذ نعليه،

---

(١) في رواية البخاري (٣٧٦٧) « **فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني** » .

(٢) في رواية البخاري (٣١١٠) ومسلم (ص ١٩٠٣) : « **وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حراماً ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله أبداً** » .

(٣) مسلم (حديث ٢٥٤٥) .

(٤) هي عقبة بمكة .

(٥) أي أُلقي ابن الزبير .

(٦) تعني نعالها (السبتية) وهي نوع من أنواع النعال .

ثم انطلق يَتَوذفُ حتى دخل عليها فقال: كيف رأيتني صنعتُ بعدو اللَّه؟ قالت: رأيتُك أفسدت عليه دُنياه وأفسد عليك آخرتك بلغني أنك تقول له: ياابن ذات النطاقين أنا واللَّه ذاتُ النطاقين، أما أحدهما فكنت أرفعُ به طعام رسول اللَّه ﷺ وطعام أبي بكر من الدوابِّ، وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغنى عنه. أما إن رسول اللَّه ﷺ حدثنا: «**أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً**» فأما الكذاب فرأيناه، وأما المُبيرُ فلا إخالُك إلا إياه قال: فقام عنها ولم يُراجعها.

ولكن هذا الدفاع عن الأبناء يجب أن يكون بالحق والإنصاف ، قال النبي ﷺ : « **انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُوماً!** » قالوا: يارسول اللَّه، هذا ننصره مظلوما فكيف ننصر ظالما؟ قال: «**تَأخُذُ فَوْقَ يَدَيْه**»[(١)]. ولفظ أحمد (**تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْم**) فإذا خرجت أيها الأب أو جئت من عملك ووجدت ابنك يقاتل آخرين فلا تضرب خصم ولدك مباشرة ، بل تريث وانظر هل ابنك هو الظالم المخطيء أم هو المظلوم ؟ وإن كان ولدك هو المظلوم هل الأولى أن تطيب خاطره؟ وتعفو عن الظالم، أم أن الظالم شرير مفسد يحتاج إلى زجرٍ وعقاب؟! فكل هذه أمور يجب أن تفهم وتراعى، والموفق من وفقه الله.

هيبة الوالدين

ولابد أن يكون للوالدين هيبةٌ في البيت حتى يسمع لهما ويُطاع ، فالرجل راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيتها وهي مسئولة عن رعيتها .

(١) البخاري . حديث ٢٤٤٤) وأحمد (٣ / ٢٠١) من حديث أنس ﷺ مرفوعاً .

وهذه الهيبة تتحقق بأمور، منها بعد توفيق الله سبحانه وتعالى ما يلي:

الاحترام المتبادل بين الوالدين وإقامة حدود الله فيما بينهما.

ومنها تعليم الأبناء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وما يخص الوالدين من ذلك ، فيعرِّف الأبناء بحق الآباء والأمهات في أسلوب هادىء، ويُبين لهما أن طاعة الوالدين في المعروف طاعة لله سبحانه ، فلتحث الأم أبناءها على طاعة الأب ، ويحث الأب أولاده على طاعة الأم ويبين لهم عظيم حقها.

وتورد على الأبناء الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتقدم للأولاد في أسلوب هادىء ذكي

وها هي طائفة من الوارد في هذا الباب:

قال الله عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

{ النساء ٣٦ }

وقال سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. { الأنعام ١٥١ }

وقال عز وجل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾.

{ الإسراء : ٢٣ _ ٢٤ }

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. {العنكبوت: ٨}

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ . [لقمان : ١٤]

وقال سبحانه : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ . [الأحقاف : ١٥]

وأخرج البخاري ومسلم[١] من حديث ابن مسعود ﷺ **قال : سألت النبي ﷺ أي العمل أحبُّ إلى اللَّه عز وجل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قال: ثم أيٌّ ؟ قال : « ثم برُّ الوالدين » . قال ثم أيٌّ ؟ قال : « الجهاد في سبيل اللَّه » قال حدثني بهن ، ولو استزدتُه لَزَادني .**

وللأم الحظ الأكبر[٢] والنصيب الأوفر من ذلك، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله من أحقُّ بحُسن صحابتي ؟ قال : « **أمك** » قال ثم من ؟ قال: «**أمك** » قال ثم من؟ قال : « **أمك** » قال : ثم من ؟ **قال ثم أبوك**[٣].

---

(١) البخاري مع الفتح (١٠ / ٤٠٠) ومسلم(٨٥) وسيأتي لذلك مزيدا إن شاء الله .

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠ / ٤٠١) ومسلم(٥ / ٤١٠) .

(٣) قال النووي رحمه الله : فيه الحث على بر الوالدين ، وأن الأم أحقهم بذلك ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب ، قال العلماء وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته وتمريضه وغير ذلك .

أيها الأب !

لا تُهِن الأمَّ أمـام أبنائها وبناتهـا إذا أردت أن ترشـدها إلى شيء فليكن ذلك فيما بينك وبينها كي لا تسقط كرامتها ولا تذهب هيبتها أمام أبنائها فمن ثم لا يطيعوا أمرها في غيابك ، ويفشل البيت في غيابك ، وفضلاً عن ذلك ففي إسرارك بحديثك مع زوجتك وعقابك لها فـيما بينك وبينها سترٌ عليها، «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**» كما قال النبي ﷺ[(١)].

قد يخطأ الطفل فيحتاج إلى تأديـب فتأتي أمُّه تأدبه فإذا بالزوج الغافل ينهر الأم أمام طفلها فينعكس أثر ذلك على الطفل فـتسقط هيبة الأم فإياك أن تنهـر الأم أمام طفلهـا ، ولكن تلطف في الخـطاب وأعطها قـدرها من الهيبة والوقار قل لها مثـلا ـ إذا رأيت أن الولد لا يستحق أن يُضرب ـ عفا الله عنه هذه المرة ـ وسامحيه هذه المرة ، وإن عاد فعاقبيه وسأعاقبه أنا معك أيضا .

إنك إذا ضربت الأم ونهرتهـا أمام أطفالها ينعكس ذلك بصـورة واضحة على الأطفال وعلى حالتـهم النفسيه ، فمنهم من يبـغضك ويكرهك ويحزن على أمه حزناً شديداً ومنهم من يحمل ذلك في نفسـه فإذا أخطأ وعاتبته أمه يقـول لها سـأقول لأبي يضـربك ويفعل بك ويفـعل ، ومن ثم يتأثر البـيت ويتصدع البيت .

---

(١) مسلم حـديث (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مـرفوعـاً ، وانظر حديث ابن عـمر عند البخاري (٢٤٤٢) ومسلم (٢٥٨٠) .

وأنت أيتها الأم !

لا تنشزي على زوجك ولا تخالفيه ولا تعصي أمره ، فتتعلم منكِ بناتك النشوز على الأزواج ومخالفة آرائهم وعصيان أوامرهم ، فتفشل حينئذ حياتك مع زوجك وحياة بناتك فيما بعد مع الأزواج !!

قد يتحملك زوجك ويصبر على أذاك ولكن أزواج البنات قد لا يتحملون قد تتعالى ابنتك على زوجها فتبوء بالضرب وتبوء حياتها معه بالطلاق والفشل، وترجع ابنتك إليك من بيت زوجها جزاء بما كسبت وحصاداً لما جنيت من النشوز والتعالي والكبر على الزوج !!!

وليس في النشوز على الزوج إرضاءٌ لله ولا طاعة لرسول الله ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾. [النساء: ٣٤]

وقال النبي ﷺ : «**لَوْ كُنتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَد لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»[١] وفي بعض الزيادات: «**لِمَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ عَلَيْهَا**»[٢].

وعليك أيتها الأم أن تُعلِّمي ابنتك ما تحتاج إليه من أمر دينها فعليك أن تعليمها الإيمان والصلاة وقراءة القرآن ، وسيأتي ذلك إن شاء الله .

وعليك أيضا أن تعليمها ما تحتاج إليه كفتاةٍ من ناحية الحيض والجماع

---

(١) صحيح لشواهده، أخرجه الترمذي (١١٥٩) وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً.

(٢) وهذه الزيادة ثابتة أيضا ، وهي عند ابن حبان (موارد الظمآن حديث ١٢٩١) والبيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٢٩١) .

وغيـر ذلك مما يخص النساء، فـعلميهـا إذا قاربت الزواج الحـيض وأحكامه وعلميـها قـول الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾. [البقرة: ٢٢٢]

فأخبريها أنه لا يجوز للرجل أن يجامع زوجته وهي حائض، فهذا حرام وإثم، ولكن له أن يُقبلها وأن يباشرها فيما دون الفرج [1] إذا أمن على نفسه الوقوع في المحرم.

وكذلك أخبـريها أنه لا يجوز لزوجها أن يأتيها في دبرها وأن هذا حرام

---

(١) وذلك لما أخرجه مسلم (حديث ٣٠٢) من حديث أنس ﷺ: « **أن اليـهـود كـانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن (*) في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ** ... إلى آخر الآية ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فقال النبي ﷺ: « **اصنعوا كل شيء إلا النكاح** ».

وأخرج أبو داود (حديث ٢٧٢) باسناد صحيح عن بعض أزواج النبي ﷺ **أن النبي ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئاً ألقى على فرجها ثوباً** ».

وأخرج ابن جرير الطبري في تفسيره (٤ / ٣٧٨) باسناد صحيح أن مسروقاً أتى عائشة ﷺ فقـال: **إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحي: فقالت إنما أنا أمك، وأنت ابني فقال ما للرجل من امرأته وهي حائض، قالت له كل شيء إلا فرجها**.

وأخرج البخاري (حديث ٣٠٣) ومسلم (حديث ٢٩٤) من حديث ميمونة ﷺ **قالت كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض**.

وأخرج البخاري (حديث ٢٩٩) من حديث عائشة ﷺ **قالت كنت أغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد كلانا جنب، وكان يأمرني فأتزر فيباشرني وأنا حائض**.

(*) أي لم يساكنوهن في البيوت ولم يخالطوهن.

لقول النبي ﷺ : «**مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ـ عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ**»[١].

فإذا طلب منها زوجها ذلك فلا تطعه .

وكذلك عليها أعمال المنزل وما يحتاج إليه من نظافة وطهي وخدمة الأضياف وسائر أعمال المنزل واحتياجاته فهذا دأب النساء وشأن النساء ومستحبٌ لهن ذلك في حدود الطاقة . فها هي سارة عليها السلام زوجة إمام التوحيد إبراهيم عليه السلام تقوم على خدمة أضياف زوجها كما قال تعالى : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ [هود: ٧١] أي قائمة على خدمة الأضياف .

وها هي فاطمة بنت رسول الله ﷺ تأتي إلى أبيها تشكو أثر الرحى في يديها[٢].

وأسماء بنت أبي بكر وزوج الزبير رضي الله عنه تسوس فرس زوجها وتدُقّ له النوى وتحمل النوى على رأسها[٣]!

---

(١) صحيح لشواهده ، فقد أخرجه أحمد في المسند (٢ / ٤٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وإسناده منقطع ، لكن له شواهد يصح بها ، والله تعالى أعلم .

(٢) أخرج البخاري (حديث٥٣٦١) ومسلم (حديث٢٠٩١) من حديث علي رضي الله عنه أن فاطمة عليها السلام أتت النبي ﷺ تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحا ، وبلغها أنه جاءه رقيقٌ فلم تصادفه فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته عائشة، قال فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال (علي مكانكما) فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني ، فقال: «ألا أدلكما على خيرٍ مما سألتما ؛ إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتُمَا إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادمٍ».

(٣) أخرج ذلك البخاري في حديث طويل بعض الشيء (حديث ٥٢٢٤) ومسلم (حديث ٢١٨٢).

وكذلك امرأة أبي بكر تصنع الطعام لأضياف زوجها [١].

وأم سليم أيضا تصنع الطعام للأضياف [٢].

وهكذا كان شأن سائر النساء على عهد رسول الله ﷺ .

وها هي عروس تخدم أضياف زوجها .

أخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : دعا أبو أسيد الساعدي رسول الله ﷺ في عرسه ، وكانت امرأته يومئذ خادمهم، وهى العروس ، قال سهل : تدرون ما سقت رسول الله ﷺ ؟؟ أنقعت له تمرات من الليل فلما أكل سقته إياه .

فليعوَّد الصغير على القيام بأعمال المنزل ، وليقم بما يستطيع من ذلك بما يتحمله جهده وطاقته وبما يتحمله وقته وبما يتحمله عمره ، فحينئذٍ يشعر أنه يشارك في أعمال البيت ، وأن له قدراً من المسؤولية عن البيت .

وإذا فعلت ذلك الفتاة فهو خيرٌ لها أيضا إذ هي تتمرن على أعمال البيت ومن ثمَّ تسلم لها حياتها مع زوجها ـ فيما بعد ـ في هذا الباب بإذن الله فلا شك أن المرأة التي تهتم بنظافة بيتها ونظافة أبنائها ونظافة نفسها خيرٌ من تلكم المرأة المهملة التي تدخل بيتها فترى الذباب واقفاً على كل شيء وترى في بيتها كل شيء مهمل ، وتراها قد ملأت البيت تعشيشا [٤].ترى آنية مكسرة

---

(١) انظر البخاري (٦١٤٠) ومسلم (حديث ٢٠٥٧) .

(٢) انظر البخاري (حديث ٣٥٧٨) ومسلم (حديث ٢٠٤٠) .

(٣) البخاري (حديث ٥١٧٦) ومسلم (ص ١٥٩٠) .

(٤) قالت أم زرع تصف جاريتها (. . . ولا تملأ بيتنا تعشيشاً) .

وأوعية لا فائدة فيها ونعالاً قديمة غير مستعملة وأوراقاً ممزقة وخرقاً ممتهنة ملوثة، وكل هذه تشغل فراغاً في البيت ثم هى مأوى للحشرات ثم هى مؤذية للنظر ومنافية للجمال فجديرٌ بالأم أن تعلِّم بناتها النظافة والاهتمام بأحوال البيت ، فإن الله جميل يحب الجمال[1] كما قال النبي ﷺ .

فكم من مشكلة دبت في البيوت بسبب إهمال الزوجة وقذارة البيت ، بل وكم من طلاق قد وقع لهذا السبب !

أيها الأبوان

عليكما بتقوى الله سبحانه في السر والعلن والإكثار من الدعاء للأبناء بالهداية والصلاح فإن الله يتقبل من المتقين ويستجيب للمتقين ، قال سبحانه : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ . [المائدة : ٢٧] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ . [غافر : ٦٠] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ . [البقرة : ١٨٦]

لاتدعوان على أبنائكم فقد توافق دعوتكما باباً من أبواب الإجابة ووقتا من أوقاتها فتستجاب الدعوة ويرتد أثرها عليكما ! ، قد يمرض الولد بسبب دعوتكما فتدورا به عند الأطباء، قد يموت الولد أو يصاب بحادث من جراء الدعاء عليه فتجنيان ثمرة الدعوة مرارةً وحسرة هذا فضلاً عما في دعائكما على الأبناء من مخالفة لهدى نبيكم محمد ﷺ فقد قال عليه الصلاة والسلام : « **لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَى**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .

أَمْوَالِكُم، لا تُوافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»[١] .

لا تكثرا من الصياح والسباب والشتائم في البيت فيلتقط الأبناء منكما ذلك .

لا تحدثان تناقضاً أمام الأطفال ولا تضارباً في الآراء قد تأتي الأم تأمر الولد بأمر ويأمر الأب بخلافه فيقع الولد في الحيرة والاضطراب ، فوحِّدا أمركما على كتاب ربكما وعلى سنة نبيكما محمد ﷺ ، وأيضا على النافع للولد في دينه ودنياه .

الأدب مع الكبير

وينبغي أن يُعلِّم الرجل أولاده التأدب مع الكبار ويعرفهم بحقوق الكبار سواء إخوانه الكبار أم غيرهم من كبار السن فللكبير حق ، فكما أن الصغير يُرحم ، فكذلك الكبير يوقر .

وها هي جملة من الأدلة التي تحث على احترام الكبير وتوقيره:

قال رسول الله ﷺ : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَم يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا ويَرْحَمْ صَغِيرَنَا»[٢] .

وقال ﷺ : «أَرَانِي أَتَسَوَّكُ بِسوَاك، فَجَاءَنِي رَجُلان أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ مِنْهُمَا؛ فَقِيلَ لِيَ: كَبِّر، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الأَكْبَرِ

(١) أخرجه مسلم في حديث جابر الطويل (٣٠٠٩) ص ٢٣٠٤) .

(٢) صحيح بمجموع طرقه ، أخرجه أحمد (٢/٢٠٧) والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٥) وله طرق .

منْهُمَا»[١].

ولما جاء حويِّصة ومُحيِّصة إلى رسول الله ﷺ، وذهب مُحيِّصة يتكلم فال له النبي ﷺ: «كَبِّرْ كَبِّرْ» يريد السن، فتكلم حويصة ثم تكلم مُحيصة[٢].

فلا يتقدم الصغير بالحديث قبل الكبير.

وفي الصحيحين[٣] أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: **كنا عند النبي ﷺ فأُتي بجمار فقال: «إنَّ منَ الشَّجَر شَجَرَةً مَثَلُهَا كَمثَل المُسْلم»**، فَأَرَدْتُ أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم فسكتُّ، قال النبي ﷺ: «**هيَ النَّخْلَةُ**».

وفي صحيح مسلم[٤] من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: **لقد كنت على عهد رسول اللّه ﷺ غلاماً، فكنت أحفظ فما يمنعني من القول إلا أن ههنا رجالاً هم أسنُّ مني**.

وقال ﷺ: «**يُسَلِّمُ الصَّغيرُ عَلَى الكَبير**»[٥].

فلهذه الأحاديث ولغيرها يجدر بالأب أن يعلم أولاده الصغار احترام

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً (حديث ٢٤٦) ، قال الحافظ : وقد وصله أبو عوانة في صحيحه عن محمد بن اسحاق الصغاني وغيره . وأخرجه مسلم أيضا (حديث ٣٠٠٣) .

(٢) البخاري (حديث ٧١٩٢) .

(٣) البخاري (حديث ٧٢) ومسلم (حديث ٢٨١١) .

وفي رواية لمسلم وألقى في نفسي ـ أو رُوعي ـ أنها النخلة فجعلت أريد أن أقولها فإذا أسنان القوم فأهاب أن أتكلَّم .

وقوله أسنان القوم يعني كبر أسنانهم .

(٤) مسلم (ص ٦٦٤) .

(٥) البخاري (حديث ٦٢٣١) .

الكبار منهم ومن غيرهم وخاصة إذا تفاوتت أسنانهم بصورة أكبر ، فكلما كان فارق السن أكبر استدعى ذلك احتراماً وتبجيلاً أكثر وليقم الصغار على خدمة الكبار .

وخاصة عند وجود فارقٍ كبيرٍ في السن ، وعند استطاعة الصغير القيام بالخدمة كذلك ، وهذا أدبٌ قد درج عليه سلفنا الصالح رحمهم الله .

ففي صحيح مسلم[١] من حديث أنس بن مالك ﷺ قال : **إني لقائمٌ على الحي ، على عمومتي أسقيهم من فضيخ** [٢] **لهم وأنا أصغرهم سناً فجاء رجل فقال إنها قد حُرِّمت الخمر ، فقالوا أكفئها يا أنس فكفأتها**

وأخرج ابن سعد في الطبقات[٣] باسناد صحيح عن الشعبي قال : أخذ ابن عباس لزيد بن ثابت بالركاب فقال : **تنح يا ابن عم رسول الله** ﷺ ، **فقال هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا .**

وأخرج البخاري[٤] من حديث أنس ﷺ قال : **كان رسول الله** ﷺ **يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام إداوة من ماءٍ وعَنَزَة يستنجي بالماء .**

وثمَّ أدلة أخر كثيرة في هذا الباب ، فليراعى هذا الأدب ، والموفق من وفقه الله .

---

(١) مسلم (ص ١٥٧١) .

(٢) الفضيخ المراد به هنا الرُّطب الذي فُتح واستخرجت منه النواة ثم وضع عليه ماء وترك حتى أصبح مسكراً ، وهذا كان قبل نزول تحريم الخمر ومن العلماء من قال هو أن يغلي الماء الذي مع الرطب الذي استخرجت منه النواة .

(٣) ابن سعد في الطبقات (٢/٢/١١٦) .

(٤) البخاري (حديث ١٥٢) .

مؤثرات على تربية الأبناء

هناك جملة من المؤثرات تؤثر على تربية الأبناء فليس للوالدين كل التأثير على الأبناء ، بل هناك مؤثرات أخر تتدخل في تربية الطفل وتوجيهه فلتراعى هذه المؤثرات ولتُرشَّد ولتـضبط وتوجه توجيها حـسنا ، فمن هذه المؤثرات ما يلي:

- إخوانه وأخواته في البيت وكذلك أقاربه.

- زملاء الابن وأصـدقاؤه من الجـيران وزمـلاؤه وأصدقاؤه فـي المدرسة وسائر أماكن التجمعات كمكاتب تحفيظ القرآن وغيرها .

- معلموا الأبناء ومدرسوهم والمشرفون على تربيتهم من الخدم ونحوهم.

- وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة .

- طبيعة البلدان التي يعيش فيها الطفل بما فيها من أخلاق وعادات وآداب ومناظر وأحوال.

- الأماكن التي يقـضي فيهـا الطفل أغلب أوقاته، وهل هي المسـاجد أم غيرها فكلٌ يؤثِّر بحسبه .

- الأضياف الذين يأتون إلى البيت والزوار الذين يزورونه.

- الرحلات والزيارات التي يقوم بها الطفل .

فكل هذه مـؤثرات تؤثر على تربية الطفل - إضـافة إلى تأثيـر الوالدين - فعلى الوالدين مـلاحظة هذه المؤثرات وتوجيـهها بما ينفع ولا يضـر فليلاحظ وليراعى الآتي:

سلوك الولد مع إخوانه وأخواته

على الأبوين ملاحظة تصرفات الأبناء وسلوكهم مع بعضهم البعض والإصلاح في ذلك قدر الاستطاعة ، فليُغرس في الصغير احترام الكبير وليُغرس في الكبير العطف على الصغير وذاك لحديث رسول الله ﷺ : «**ليسَ منَّا مَن لَم يعرفْ حَقَّ كَبيرنَا ويَرحَمْ صَغيرَنَا**»[١].

وليعلَّموا جميعا الأدب مع بعضهم البعض وترك السخرية والاستهزاء من بعضهم البعض لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾. [الحجرات: ١١]

وفرقوا بينهم في المضاجع

نعم نُفرِّق بينهم في المضاجع ، إذ قد أمرنا بذلك رسولنا محمد ﷺ وخاصة بين المراهقين ومن ناهزوا الاحتلام وقاربوا البلوغ .

قال ﷺ : «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»[٢].

ويتم التفريق في المضاجع أولا لأن نبينا ﷺ أمرنا بذلك ثم لأن في

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

(٢) أبو داود (٤٩٥) وقد تقدم الكلام عليه وهو حسن بمجموع طرقه .

اتحاد المضجع تكشفُ للعورات واحتكاك بين الأجسام بما يهيج على الشر والفساد خاصة بين المراهقين والمراهقات ، وبين المراهقين أنفسهم ، وبين المراهقات أنفسهن .

وفضلاً عن هذا وذاك فالأنفاس والروائح والأمراض تنتقل من هذا إلى ذاك وحديث الرسول ﷺ عام ولم يُبين العلة منه حيث قال: «**وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ**» ولم يذكر لذلك سبباً فتندرج تحته كل الأسباب المذكورة، بل وغيرها كذلك .

وها هي بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال المناوي في فتح القدير شرح الجامع الصغير[1]: أي فرِّقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشراً حذراً من غوائل الشهوة ، وإن كُن أخوات .

قال الطيبي: جمع بين الأمر بالصلاة والفرق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديباً لهم ومحافظةً لأمر الله كله وتعليماً لهم المعاشرة بين الخلق ، وأن لا يقفوا مواقف التهم فيجتنبوا المحارم. انتهى قاله الخطابي .

وفي التعليق على سنن أبي داود مع معالم السنن[2] : قال الشافعي في المختصر: وعلى الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم على ذلك إذا عقلوا، ويعرفوهم سائر الواجبات الدينية ويعرفوهم تحريم الزنا واللواط والخمر والكذب والغيبة. . . الخ.

(١) نقلا عن عون المعبود (٢ / ١٦٢) .

(٢) (١/ ٣٣٤ تحقيق عزت الدعاس) .

وفي العارضة [١] **شرح الترمذي**: وهذا على طريق التمرين على الطاعة واعتقاد العبادة ليبلغ حد الوجوب فيسهل عليه .

أما متى يُفرَّق بين الأبناء في المضجع

فالنظر في قوله ﷺ : «**مُرُوا أَوْلادَكُم بالصَّلاة وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُم فِي المَضَاجِعِ**» .

وهل قوله ﷺ : «**وَفَرِّقُوا بَيْنَهُم فِي المَضَاجِعِ**» هل يرجع إلى قوله: «**وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْر**» أم يرجع إلى قوله: «**وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْع**» أم أن قوله: «**وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ**» أمرٌ مستقلٌ لا تعلَّق بالسنين ، بمعنى أن الحديث يصلح أن يكون معناه فيه تقديم وتأخير ويكون قوله: «**وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ**» غير مقيد بسنٍ معين؟

فكل قولٍ من القولين له وجه والظاهر عندي أن التفريق في المضجع محله إذا وجد الشر والفساد ، وإذا وجد المرض والأذى في أي سنٍ كان ذلك، والله أعلم .

ولا يترك الولد مع البنت، بل ولا مع أخيه، بل ولا مع نفسه أمام شاشات الفيديو والتلفزيون التي تنشر الأفلام الرذيلة وتبث الأغاني الخليعة، فكم من مصيبةٍ حدثت بين المحارم بسبب ذلك.

وكذلك فلتراعى ثياب الفتيات في البيوت فلا تكن ثياباً يُفتن بها إخوانهن الذكور وتلفت أنظارهم إلى المُحرَّم وتُهيِّج فيهم الكامن .

---

(١) العارضة (٢ / ١٩٨) .

وليست ثياب الفتيات فحسب، بل لتراعي الأم نفسيات أبنائها وليراعي الأب نفسيات بناته ، فلا تخرج الأم بقميص النوم أمام أبنائها المميزين والمراهقين أو البالغين ، ولا يخرج الأب كذلك بثياب يثير انتباه بناته ، فلا يخرج بسروال قصير (شورت) يحدد عوراته أمام بناته ، فإن هذا كله يُثير الشر ويُهيِّج على الفواحش ، والله لا يحب الفساد .

وثمَّ أدبٌ جليل ـ قد نبهت عليه في كتابي فقه التعامل بين الزوجين ـ على الأبوين أن يلاحظانه ويقيمانه في الأسرة ، ألا وهو ما أمر الله به حيث قال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ . [النور : ٥٨ ، ٥٩] ، فأرشد الله سبحانه وتعالى الأبوين إلى أدب رفيع وهو تعليم أبنائهما المميزين الذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوا عليهما في هذه الأوقات الثلاثة التي هي مظنة انكشاف العورات وخلع الثياب ، وهي :

ـ من قبل صلاة الفجر .

ـ حين تضعون ثيابكم من الظهيرة .

ـ من بعد صلاة العشاء .

فالغالب أن الرجل وزوجته يتكشفان في هذه الأوقات ، وهي أوقات

مظنة للجماع ، فأمر الأبوان أن يعلما الأطفال المميزين الذين لم يبلغوا الحلم الاستئذان عليهما في هذه الأوقات الثلاثة ، فقد يدخل الولد أو تدخل البنت على أبويهما في هذه الأوقات فيجدا الوالدين على حالة يكرها أن يُريا عليها من التكشف أو الجماع أو نحو ذلك ، فيخرج الولد وتخرج البنت وقد ارتسمت في أذهانهما المناظر التي رأوها من أمهما وأبيهما فيتلوث فكرهما ، ويخرج الطفل يبحث عن طريقة لتطبيق ذلك الذي رآه من أمه وأبيه فيطبق ذلك مع جارته ومع زميلته بل ومع أخته في بيوت الذين لا يتحفظون ولا يفرقون بين الأبناء في المضاجع طفل ينام بجوار أخته ، ويرى من أمه وأبيه منظراً مثيراً فكيف يصنع مع أخته ؟!! إن الشيطان حريص على الفساد فقد يقوده إلى الفساد والرذيلة مع أخته .

فديننا دين نظيف يحفظ تصورات الأطفال نظيفة ، ويحفظ عقولهم نظيفة ويحفظ أفئدتهم وألسنتهم كذلك نظيفة ، ألا فليمتثل المسلم والمسلمة لأوامر الله عز وجل وأوامر نبيه ﷺ ، ولتتحفظ الأم في سيرها في البيت أمام أولادها المراهقين فلا تتبرج تبرجاً زائداً أمام بنيها فالشيطان يزين لهم الحرام ، وكذلك فليتحفظ الوالد ولا يمشي في البيت بثياب تثير بناته ، كهذا الذي يمشي بالسروال القصير في البيت أو يمشي في الكلوت (الشورت القصير جداً) داخل البيت فيُحدد هذا الشورت وهذا السروال عورته أمام بناته ويقودهن ذلك إلى طريقة لا تحمد عقباها .

والاستئذان شرع من أجل البصر كما قال النبي ﷺ[1]: « **إنما جعل**

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٢/٢٤٣) ، ومسلم (حديث ٢١٥٦) من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ .

الإذن من أجل البصر » ، فإذا كان الأمر كذلك فجدير بالأبوين أن يحفظا أولادهما ـ والحفيظ هو الله سبحانه ـ من مشاهدة الأفلام السيئة التي تبث الفسق والرذيلة بل وتنشر الفحشاء والمنكر وتهيج على الدعارة والفساد فكيف بالولد المراهق إذا رأى منظر رجلٍ فوق امرأة يحتضنها ويقبلها ؟!! ألا يهيجه ذلك ويدفعه إلى الفساد ويقوده إليه ؟!

كيف بالبنت البكر المراهقة إذا رأت شاباً ممتلئاً فحولة يحتضن فتاة ويقبلها ويعلوها ، ألا تتوق نفسها إلى أن تكون مثل هذه الفتاة وتهيج فيها الشهوة بما يدفعها إلى الوقوع في المكروه والمحرم والعياذ بالله !

إن بعض العلماء يذكرون أن المرأة إذا رأت فرساً ينزو على أنثى من الفرسان أو قطاً يعلو قطة ونحو ذلك تهيج وتشتاق إلى الجماع هي الأخرى، فجدير بكل أب وكل أم أن يحفظا ويحافظا على أولادهما وبناتهما من هذا الفساد العريض والشر المستطير .

نهيب بكل أب وبكل أم أن يحملا رسالتيهما ويؤديا الأمانة التي أخذها الله عليهما في حفظ أولادهما وبناتهما، فالولد الصالح ينفع الله به أبويه في الحياة وبعد الممات قال النبي ﷺ : «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ.. أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»[(١)] .

نهيب بكل رجلٍ غيور أن يكون قواماً خيِّرًا على أهل بيته ولا يكن ديوثًا راضيًا بالفاحشة مقرًا للخبث في بيته .

(١) حسن ، أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

اصطحب ولدك إلى مواطن الصلاح يا عبد الله واصرفه عن مواطن الفساد.

قبيح من الأبوين أن يسمحا لابنتهما بالحديث الطويل مع الشباب في التليفونات مع ما يصحب ذلك من الخضوع بالقول والضحك والابتسامات ، وليس بينهما ثمَّ زواج ، بل ولا شروع في زواج !!!

قبيح من الأبوين أن يسمحا للبنات بالخروج مع شباب لا تربطهن بهم رابطة شرعية!!

وقبيح لآباء الشباب كذلك أن يسمحوا للأبناء بممارسة الفسق والفحش والعبث ببنات المسلمين!!

وما أقبحه من صنيع ، وما أقلها من مروءة وانعدام غيرة، بل وما أشد بعده عن الشرع حيث يسمح الأب لابنته أن تصطحب زميلاً من زملائها إلى بيتها ، بل وتغلق عليهما الغرف بحجة مذاكرة أحدهما مع الآخر !!

فحقاً إنها دياثةٌ حيث يسمح الأب لابنته أو ولده بهذا!!

ألم يعلم هؤلاء الآباء والأمهات حديث رسول الله ﷺ : «**لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَة، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا**»(١).

ألم يقرأوا حديث رسول الله ﷺ : «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/١٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعاً ، وانظر تحقيقه في المنتخب لعبد بن حميد (بتحقيقي ٢٣) وهو صحيح لشواهده .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٢٣٢) ومسلم (ص ١٧١١) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: يارسول الله =

هل يرضي هذا الوالد، وهل ترضى هذه الأم أن تصبح الإبنة بين عشية أو ضحاها حاملاً من الزنا، وداخلة في عداد البغايا والمومسات؟!!

هل يرضي الوالدان أن يتحول ولدهما من شاب صالح مستقيم إلى فاسقٍ من الفساق الماجنين ؟!

وفضلاً عن ذلك فهل يرضى الوالدان للأبناء أن يكونوا من المعذبين في الدنيا والآخرة وفي القبور كذلك ؟!! فعقوبة الفاحشة شديدة ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ . [الفرقان:٦٨]

إن فروج الزناة والزواني تحترق بالنار كما جاء في حديث رسول الله ﷺ في تلك الرؤيا التي رآها ففيها كما في الصحيح .

قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّهُ أَتَانِيَ اللَّيْلَةَ آتيان**... فذكر الحديث وفيه. «**فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّور**»، قَال: وأحسب أنه كان يقول: «**فَإِذَا فيه لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ، قَال: «فَاطَّلَعْنَا فيه فَإِذَا فيه رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِم لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قَالَ: قُلتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلاءِ؟**».. فذكر الحديث وفيه: «**وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي**»(١) .

= أفرأيت الحمو(١)؟ قال: «الحمو الموت».

(١) البخاري (حديث ٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب ﷺ مرفوعاً .

هذا وباب التوبة مفتوح وكذلك باب العمل الصالح مفتوح فهلموا معشر العصاة إلى طاعة الله ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [النساء:٢٧] =

(١) الحمو هو قريب الزوج كأخيه وعمه وابن عمه ونحو هؤلاء ، وقوله ﷺ: «الحمو الموت» أي أن خطره كالموت ، أي في دخول الحمو على الزوجة الهلكة والتلف لما يصاحب دخوله وتمكنه من مجالستها أكثر من غيره من فعل المحرم معها .

وقد قال الله سبحانه : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ .

{الإسراء: ٣٢}

فكل ما يُقرِّب إلى الزنا يُجنَّب ويبعد ، وليحذره الآباء ولتحذره الأمهات وليحافظ الجميع على الأبناء والبنات ، اللهم بلغت اللهم فاشهد !

وهل يبيت الولد مع والديه في غرفة نومهما ؟

في ذلك تفصيل، فإذا كان الولد غيــر مميز ولا يعرف الجماع وشؤونه وما يتعلق به من زينة المرأة أو من قبلة زوجها لهــا فلا بأس بمبيت مثل هذا الغلام مع والديه.

أما إذا كان الطفل مُميزاً ويعقل ولكنه دون البلوغ ، وكان الأب قد قضى حاجته من زوجته وليس في نومهــما تكشف وتعري فلا بأس حينئذ من نومه معهمــا مع احتياطهما وتحــفظهما حتى لا يرى منظر يثيره ويهــيج الكامن فيه وقد بات عبد الله بن عباس عند خالته ميمونة مع رسول الله ﷺ .

أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما **أنه بات عند ميمونة أم المؤمنين** رضي الله عنها **وهي خالته قال: فـاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول اللّه** ﷺ **وأهله في طولها.**

أما إ ذا كان مميزاً وبالغاً وهناك تكشف وتعــري فلا يبيت حينئذ في وسطٍ تظهر فيه العورات ويُهيج فيه الكامن ويطلع فيه على السوءات.

= و﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ {الزمر:٥٣}، فتوبةٌ وأوبةٌ قبل الحساب، فـالله غفور رحيم وهو شديد العقاب!

(١) البخاري (حديث ١١٩٨) ومسلم (مع النووي ١٧/ ٣٥) .

حث الأولاد على اختيار الأصدقاء الصالحين وتحذيرهم من أصدقاء السوء

وهذا واجب على الآباء تجاه أبنائهم واجب عليهم أن يحثوهم على اختيار الصديق واختيار الجليس واختيار الأنيس فبينوا لهم المنافع في الدنيا والآخرة من وراء مجالسة الصالحين ومصادقتهم ، ومخاطر مجالسة الشريرين وأصدقاء السوء .

على الأب أن يعلم ولده حديث رسول الله ﷺ : «إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً»(١) .

ويعلِّمه أيضا قول الله عزَّ وجل: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ . [الزخرف: ٦٧]

وأنك يا بني إذا لم تختر لنفسك صديقاً صالحاً تقيا جاء الصديق عدواً لك يوم القيامة .

اقرأ عليه قول الله عزَّ وجل : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ . [الأنعام: ٦٨]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٥٣٤ ، وحديث ٢١٠١) ومسلم(حديث رقم ٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعاً .

واذكر أيها الوالد قول نوح ﷺ لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾. { هود: ٤٢ }

فعليك أيها الوالد أن تتفقد أحوال ولدك وتسأل عن أصدقائه فكم من ولد شرير يدعو إلى المنكر والفساد ويُزين لأصدقائه الشرور والآثام، والصغير يُقلِّد في كثير من الأحيان، وتجرُّه الشهوات في أحيان أُخر، وكذلك حب المغامرات يعتريه ويجذبه.

فاحرص على أن يكون أصدقاء ولدك من الطيبين الصالحين، ومن الأسر الطيبة كذلك.

واحرص أيضًا على إكرام أصدقاء ولدك حتى يسهل عليك توجيههم ويلينوا بيديك.

قل لولدك: يا بني لا تصاحب قاطع رحم فإنه ملعون في كتاب الله عزَّ وجل قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾.

{ محمد: ٢٢، ٢٣ }

وقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾.

{الرعد: ٢٥ }

قل لولدك: يا بني: «إِنَّ الجَنَّةَ لا يَدْخُلُهَا قَاطِعٌ»[1] أي قاطع رحم.

(١) أخرجه البخاري (حديث ٥٩٨٤) ومسلم (حديث ٢٥٥٦) من حديث جبير بن مطعم ﷺ مرفوعاً.

قل لولدك : يا بني لا تصاحب عاقاً لوالديه فإن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر كما قال النبي ﷺ [١].

قـل لولـدك : يا بني لا تصاحب من يشرب الدخـان ويتعاطى المخدرات فهؤلاء شريرون مفسدون ، بيِّن لولـدك مخاطر الدخان ومخاطر المخدرات ، وجزاء أصحابها في الدنيا والآخرة .

قـل لـه : يابني لا تصادق من يسـرقون أموال الناس ويـفعلون المنكرات ويرتكبون المحرمات .

قل لولدك : يا بني لا تجالس الكذابين والذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم .

قـل لـه : يا ولدي لا تلعب القـمار ولا تُراهن الأولاد ولا تسـعى في الأرض بالفساد .

وهل يُتجسس على الصغار ويُراقبوا

إذا عُلم عن طفلٍ شرٌّ وفساد فلا بأس بتتبع أخباره وتحسس أحواله والنظر في أمره ، وإن اضطر الشخص مع ذلك إلى شيء من التجسس عليه ، وهذا إذا كان القـصد إنما هو منع الشـر والفساد فـقد قال الله سـبحـانه وتعالى : **﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾** . [البقرة:٢٠٥] وقال سـبحانه: **﴿فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾** . [هود:١١٦]

(١) أخـرج البـخـاري مع الفـتح (١٠/٤٠٥) ومـسلم (حـديث ٨٧) من حـديث أبي بكر ؓ قال: قـال رسول الله ﷺ : **«ألا أنبئكم بأكبر الكبـائر؟» قلنا بلى يا رسول الله ، قال ـ ثلاثاً ـ: «الاشراك بالله وعقوق الوالدين .... »** .

ولما علم النبيُّ ﷺ عن ابن صياد الشر ، واشتهر عنه الدَّجل والفساد ذهب النبي يتحسس أخباره ويتفقد أحواله حتى يطلع على أمره ويتبين حقيقته، وها هو الحديث بذلك :

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: انطلق رسول اللَّه ﷺ ومعه أُبي بن كعب قِبل ابن صياد فحدث به في نخل فلما دخل عليه رسول اللَّه ﷺ النخل طفق يتقى بجذوع النخل ، وابن صياد في قطفة له فيها رمرمة[٢]، فرأت أمُّ صياد رسول اللَّه ﷺ فقالت: يا صاف، هذا محمد فوثب ابن صياد فقال رسول اللَّه ﷺ : «**لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ**»[٣].

فإذا علم الأب أن ولده مثلاً يشرب الدخان فلا بأس أن يشم رائحة فمه ويسأل عن زملائه ويطلع على أخباره .

وإذا علم الأب أن ولده مثلا يعاكس الفتيات لا بأس أن يراقبه يوماً أو يومين لمنع شره ودفع ضرره وإصلاح حاله وهكذا سائر المنكرات والمفاسد تُتبع كي تُتقى .

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٣٠٣٣) معلقاً فقال قال الليث . . ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ١٦٠) وصله الاسماعيلي من طريق يحيى بن بكير وأبي صالح كلاهما عن الليث .

قلت : وأخرجه مسلم أيضا (حديث ٢٩٣٠) .

(٢) الرمرمة هي الصوت الخفي الذي لا يكاد يُفهم .

(٣) أي ليبيِّن أمره وحاله .

الحرص على المُعلم الصالح للأبناء

فقم بتعليم أبنائك وبناتك قدر استطاعتك .

واحرص على أن تدفع أبناءك إلى أيدٍ أمينة تتقي الله فيهم .

فـادفع بابنك إلى رجلٍ يصلي ويعرف ربه يعلمه كـتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ادفع بابنك إلى شخص ورع يخشى الله ويتقيه .

لا تدفعه إلى من يعبث به ويعلمه الشر والفساد وسوء الأخلاق .

لا تدفع ابنتك التي تُشتهى إلى رجل يعلمـها فيـخلو بها فـ«**مَا اجْتَمَعَ رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ إِلا وَكَانَ ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانَ**»[1] كما جاء عن النبي ﷺ .

تفقد أحوال رعيتك وأبنائك بين الحين والآخر فأنت مسؤول عنهم !!

سلهم كم حـفظتم ؟ إلى أين ذهبتم ، ومن أين أتـيتم؟ بأسلوب هادىء رفيق وشـدِّد إن كان الأمر يحتـاج إلى تشديد ، وإلا فالأصل هو الرفق فـما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه .

وكذلك الخادمات الصالحات

وبالنسبـة للخادمات فـي البيوت التي فـيها الخـدم ، يجدر بالأب ، بل ويجب عليه إن أتى بخادمة للبيت أن يأتي بها خادمـة تعرف ربها وتوقر نبيها وتقيم حـدود الله ، فإنها في البـيت بمنزلة الأم للأطفال ويقـتبس الأبناء من

(١) صحيح ، وقد تقدم معناه .

سلوكهـا ومن أخلاقهـا ومن ثقافتـها ، ثم هي جليسٌ ، إمـا جليس صالح كحامل المسك أوجليس سوء كنافخ الكير الذي يحرق الثياب .

ثم ليحـذر الأب من الخلوة بها وكذلك الأبناء الذكور البـالغون فإن النبي ﷺ قال : « **لا يَخْلُونَّ رَجُلٌ بامْرَأة فَإِنَّ ثَالثَهُمَا الشَّيْطَانُ**»(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاء**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَفَرَأَيتَ الحَمْوَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: «**الحَمْوُ المَوْتُ**»(٢) .

وسائل الإعلام وأثرها

أما وسـائل الإعلام المرئيـة والمسموعـة والمقروءة فخطـرها في كثـير من البلدان عظيم ، وضررها جسيم ، وكم من خُلُقٍ قد سـاء بسببها ، وكم من فاحشةٍ قد ارتكبت بسببـها وكم من ابنٍ قد عقَّ أبويه وكم من صديق قد غدر بأصدقائه ، وكم من امرأة قد خانـت زوجها ، وكم من زوج قد طلق زوجته كل ذلك بسببـها!! بل وكم رجـل وشاب قد وقع على مَـحرمٍ من محـارمه بسـببـها والعـياذ بالله ! فـلا حـول ولا قوة إلا بالله كم فـيهـا من إضاعـة للصلوات! وكم فـيـهـا من اتباع للـشهـوات! وكم فـيهـا من تهـيـيج على الفواحش، وكم فيها من تزيين للباطل وسخرية من الإيمان وأهله والدِّين ومن اعتنقه!!

فلابد أن يتـفقـد الأب أحوال أبنائه مـعها ! فـهي وسائل قـد غزت كل البيوت ، والاحتراز عنها من أصعب ما يكون إلا على من يسره الله عليه .

وشـأنها شـأن الجليس إما أنها جليس صالـحٍ أو جليس سوء فإن كانت

(١ ، ٢) كلاهما صحيح ، وقد تقدما .

داعية إلى الخير والمعروف لا تطرد معها الملائكة بل تُقبل إليها وتحفها ، والخير من ورائها عميم فنعما هي إن كان يستمع فيها إلى القرآن وتفسيره وإلى الحديث وفقهه وأصوله فهي خيرٌ للمستمعين إن كان يُبث فيها ما هو نافع في الدنيا والآخرة فالحمد لله ولنُقبل عليها حينئذ مالم تنتهك فيها محرمات ، وإن كان دون ذلك فالله لا يحب الفساد ولا ضرر ولا ضرار ،و السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ولا ينبغي أن نغبن فيها ونضيع فيها الأوقات ونضيع فيها الأبدان ، فكما قال عليه الصلاة والسلام: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»[1].

وكذلك إن كانت تشغل عن الصلاة وتلهي عن ذكر الله وتورث العداوات والأحقاد فأيضا ﴿ **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾. [البقرة:٢٠٥]

فلتترك حينئذ فإن الله يقول : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّين . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾. [الماعون: ٤ ، ٥]

ويقول سبحانه : ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا** ﴾. [مريم:٥٩]

وتعاملاتك أيها الأب
وأنت أيتها الأم مع الجيران تنعكس

فإن كنت محسناً إلى الجيران وإلى أبنائهم عاملوا أولادك بمقتضى هذا الإحسان والكرم ، فأكرموا أولادك ونصحوا أولادك ، وأحبوا الخير لـ

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٤١٢) من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعاً .

ولأولادك !

أما إذا كنت فظاً غليظاً مع الجيران ومع أبنائهم قابلوا أولادك أيضا بمثل هذه المقابلة وعاملوهم بمثل هذه المعاملة ففرق بين رجل يدخل بيته مثلاً يحمل الفاكهة فيرى أولاد الجيران فيكرمهم ويُحسن إليهم ويعطيهم مما أعطاه الله ورزقه ، وبين آخر يتطلع أولاد الجيران إلى مافي يديه وهو بخيل شحيح حريص جموعٌ منوع !!

ترى هل الجيران يحبون الأول وأبنائه أم يحبون هذا الشحيح الحريص البخيل ؟

لاشك أنهم يحبون من يكرمهم ويحنو عليهم ويحبون أبنائه ويحبون بناته ويحسنون إلى أبنائه وبناته ، وكل ذلك له أثرفي تربية الطفل ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

طبيعة البلدان
التي تعيش فيها الأسرة وسيرة أهلها

وللبُلدان التي تعيش فيها الأسرة وطبيعة أهلها أثر في تربية الأبناء فالبلاد التي يسكنها الشريرون والمفسدون ليست كبلاد أهل الخير والفضل والصلاح فشرور الشريرين تنعكس على الأسر والأبناء !! وكذلك فأهل الصلاح لايشقى بهم جليسهم !!

ومن ثم شرعت الهجرة من أرض الفساد إلى أرض أهل الصلاح فهذا قاتل التسعة والتسعين الذي أتمهم بقتل الراهب فقتل حينئذ مائة نفس يؤمر

بتـرك أرضه والاتجـاه إلى أرض أهلهـا يعبـدون الله عـز وجل كي يعبـد الله معهم[١] .

وقـال ﷺ[٢] : «**يُوشكُ أَنْ يَكُونَ خَيرَ مَالِ المُسْلِـمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بهَا شَعَفَ الجبَالِ وَمَوَاقِعَ القَطْرِ[٣]؛ يَفرُّ بدينه منَ الفتَنِ**» .

وقد قـال ربنا سبحـانه وتعالى : ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ . [الأنعام : ٦٨]

فالابن يخـرج من البيت فيـرى الأطفال في الشارع ينظرون إلى الفـيديو وإلى التلفزيون وإلى شاشات السينما والدشوش وما فيها من مناظر محرمة ، فتلقـائيا تهـفو نفس الطفل إلى النظر إلى هذه الشـاشات فـيتلقى منهـا الشر والفساد !

وكذلك يخرج من بيته فيـرى الأبناء يلعبون الألعاب المكروهة أو المحرمة فيلتقط ذلك منهم .

والبنت التي تخرج فتـجد أترابها متبـرجات سافرات تتعلـم منهن تلقائيا التبرج والسفور .

فعلى ذلك إذا كـان الأب يسكن في عمارة أهلهـا شريرون ، أو في حي من الأحياء عموم أهله مفـسدون ، أو في قرية الغالب على أهلها الشر ، أو

(١) حديث في البخاري (٣٤٧٠) ومسلم حديث (٢٧٦٦) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٩) من حديث أبي سعيد ﷺ مرفوعاً .

(٣) مواقع القطر هي بطون الأودية .

في دولة كافرة يتسرب إليه من فسق أهلها وكفرهم ، وكذلك يتسرب إلى أبنائه فعليه حينئذٍ أن يغادر مكانه ويذهب إلى موطن من مواطن الصلاح والمحفوظ من حفظه الله تعالى .

رحلات الأبناء وأماكن تواجدهم

للرحلات التي يقوم بها الأبناء وللأماكن التي يكثرون التواجد فيها أثرٌ قوي على تربيتهم وسلوكهم .

فالابن الذي يربى في المساجد ليس كالابن الذي يُربى في المقاهي والملاعب .

والابن الذي يجتمع مع إخوانه على تلاوة القرآن ليس كالابن الذي يجالس المدخنين وتجار المخدرات ، وهكذا سائر أماكن التواجد فلها تأثير .

فحث أبناءك على الذهاب إلى المساجد واصطحبهم إليها !

وخذهم إلى أماكن ترويح عن النفس ليس فيها آثام وليس فيها منكرات!

واحذر أن تزج بهم في رحلات إلى أماكن الشر والفساد.

فعجيبٌ أمر آباء يقولون لأبنائهم وبناتهم جائزتكم الذهاب إلى باريس أو إلى لندن أو إلى المصيف ، وغير ذلك من أماكن الشر والفساد.

فهذه الرحلات بلاشك تُرسِّخ صور الشر والفساد في أذهان الأبناء والبنات وتؤثر سلباً في تربيتهم وفي صلتهم بربهم سبحانه وتعالى ومن ثمَّ في صلاحهم.

فإذا كنت ممن وسع الله عليهم فخذ أبناءك وبناتك معك إلى بيت الله

الحرام والمسجد النبوي ، واعتمر مع أبناءك وحج معهم ، فلهذا تأثيرٌ إيجابيٌ حسن على إيمان الطفل وعلى سلوكه وصلاحه إذ تنقدح في ذهنه صورة الكعبة المشرفة عندما يراها ، وكذلك الصفا والمروة ، والصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام كل ذلك يثبت في ذهنه ، فأطلعه عليه وعرِّفه بهذه الأماكن الطيبة واذهب به إلى زمزم واسقه منها وأخبره بقصتها وقصة حفرها وماجاء في فضلها .

دع ولدك يتحدث في وسط الأبناء قائلاً لهم رأيت الكعبة وشربت من زمزم ، وقفت بعرفات ، رميت الجمرات ، نمت بمزدلفة ، طفت حول الكعبة، وذهبت إلى المنحر ، إلى غير ذلك ، حتى يشتاق زملاؤه إلى هذه الأماكن الطيبة فغيره من الأبناء يتحدثون : ذهبنا إلى المصيف ، ورأينا فيلماً في السينما وذهبنا إلى ملاعب الكرة ، فعوِّض ولدك عن هذه الأماكن خيراً منها .

إن الأولاد في كثير من الأحيان يُقلدون ، وقد يشق عليك إقناع ولدك بمسألة من المسائل وبأمر من الأمور ، لكنه لما يرى الناس يصنعونه يصنعه بلا تردد!!

قد تأتي مثلاً في وقت من الأوقات تحلق لولدك شعر رأسه لسببٍ ما فيأبى عليك الولد أشد الإباء ويمتنع أشد الامتناع ، ولكنه إذا ذهب للحج والعمرة ورأى المسلمين يحلقون شعورهم طلب منك هو نفسه أن تُحلق رأسه للأسوة التي رآها وللمناظر التي شاهدها.

ولا يمتنع أن تذهب مع أبناءك إلى حديقة حيوان مثلاً تُطلعهم فيها على

مخلوقات الله وتبيِّن له قدرة الله على الخلق وحكمته في التدبير والتقدير سبحانه ، وبين له آيات الله في اختلاف الأشكال والألوان والأصوات والطبائع والخصال ، والقوة والضعف والمشي والجري والطيران والوثب.

هذه نسورٌ جارحةُ قوية ضاربةٌ بأسها شديد وعمرها مديد لكن بيضها قليل ونسلها محدود ، كيف لو كانت تنسل كنسل العصافير ، فلو كانت كذلك لأبادت سائر الطيور ، بل ولتعدت على ابن آدم وسائر الخلق!

وهذه أسود كاسرة قوية شرسة كيف لو كان نسلها كنسل الأغنام والأرانب فلو كانت كذلك كثيرة النسل لأبادت الأخضر واليابس!

أما الذباب الضعيف فبيضه بالآلاف بل بالملايين وعمره قصير لا يتجاوز أسبوعين!

وكذلك النحل قصير العمر وتكاثره كثير أيضا .

فمن الذي ينظم الأمور ويُرتب الأحوال ؟!!

هذا عندليب حسن الصوت ، وهذا صوت الحمير أنكر الأصوات !!

هذا هدهدٌ ، وهذا طاووس ، وهذا بقٌ وذاك بعوض !!

هذه إبل مسخرة، وهذه نمور متوحشة !!

هذه الدواب منها ما يمشي على رجلين ومنها ما يمشي على أربع ومنها ما يمشي على بطنه،وتلك طيور طيرانها في الهواء!،وتلك أسماك وجودها بالماء!

والجميع إلى ربهم يحشرون ، والجميع لربهم يسبحون وله يسجدون ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم وأخبر أولادك أن هذه أممٌ أمثالنا وستحشر إلى

الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . [الأنعام:٣٨]

وما دمنا سنحشر يا ولدي وسنجمع يوم القيامة إذن فعلينا بالعمل لهذا اليوم ، عمل الصالحات والسعي في الخيرات ، وترك المنكرات .

الأبناء مع الأضياف

وللأضياف القادمين إلى البيت تأثير في الأبناء بما يصاحبهم من عادات وتقاليد وأخلاقيات .

فالضيف الصالح يؤثر بأخلاقياته على الأبناء ، والضيف الفاسد الشرير يخشى على الأبناء منه أشد الخشية .

وينبغي أن يلتفت الأب إلى أحوال أبنائه مع أضيافه من وجوه متعددة ، فمن ذلك مثلا إدخال الأبناء على الضيف ، ففي ذلك نفع في كثير من الأحيان لما في اختلاط الصغير بالكبير واقتباسه من أخلاقه وتعود إكرامه وإجلاله وتقديره ، والترحيب به، والأخذ من علمه وتجاربه .

ولكن كما لايخفى أن هناك من في قلوبهم مرض من الناس وقد قال تعالى : ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ . [الأحزاب:٣٢] ، وقال سبحانه عن أقوام آخرين : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ . [البقرة: ١٠] فهذه الطائفة التي في قلبها مرض إذا دخلت بيت شخص طمعت في كل شيء ، فقد يُزَيِّن الرجل ولده أو تُزين الأم ابنتها للدخول على الضيف ، ويكون الولد يشتهي والبنت تشتهي فيلعب الشيطان في هذا القلب المريض ، ويحرك شهوته تجاه البنت وتجاه الغلام الأمرد ،فمن كانت هذه حاله فلاينبغي

أن نمكنه من الفساد ولا ينبغي أن نساعده على الشر ، بل علينا أن نحفظ أبناءنا وبناتنا من مثل هذا الشرير مريض القلب .

فجدير بالأب وبالأم أن يحافظا على أبناءهما وبناتهما وأن يحفظاهما من مثل هذا وهذه مسألة تقدر بقدرها وتضبط بضوابطها إذ هي تختلف من ضيف إلى ضيف ومن ولد إلى آخر ، ومن فتاة إلى أخرى ، ومن بيت إلى بيت آخر .

ثم إن دخول البنت والفتاة الحسناء ـ التي هي دون البلوغ ـ بثياب شفافة أو بثياب تبرز مفاتنها وتصف جسمها ، وتحدد حجم عظامها كل ذلك يثير الفتن ويحرك الكامن في كثيرٍ من الأنفس ، فجديرٌ بكل أب وبكل أم أن تلتفت إلى مثل هذا وتراعيه .

وانظر إلى هذا المفتون الذي أصابته دعوة المبارك سعد بن أبي وقاص ﷺ انظر إليه مع كبر سنه وإنحناء ظهره وسقوط حاجبيه كيف يصنع مع الفتيات؟!

ها هي قصته :

أخرج البخاري[1]من حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: «شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر ﷺ فعزله واستعمل عليهم عماراً فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى قال أبو إسحاق: أما أنا واللَّه فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول اللَّه ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء فأركد في الأولين

(١) البخاري (حديث ٧٥٥) .

وأخف في الأخريين قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلاً ـ أو رجالاً ـ إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه ويثنون معروفاً حتى دخل مسجداً لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة ابن قتادة يكنى أبا سعدة قال : أما إذ ناشدتنا فإن سعداً كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث اللهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد . قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزهن».

وينظر الأب إلى حال أبنائه مع الأضياف أيضا عند الطعام والناس في هذا طرفان ووسط ، طرف متشدد يمنع الأطفال ويشجبهم ويحجبهم تماماً عن الأضياف ، وطرف متسيب متساهل في هذا الباب والوسط خير فقد تذهب إلى شخص ويقذف إليك بأطفاله ويعبثون بالطعام ويمدون أيديهم إلى الطعام الذي أمام غيرهم ويلوثون الطعام ولا يسمون الله عند طعامهم ، وذلك مما يسبب حرجاً شديداً للأضياف وحياءً لهم وإيثاراً للأطفال على أنفسهم ، وهذا مما يبخس الضيف حقه .

وينظر إلى سائر تصرفات أولاده مع الضيف، فيحثهم على الترحيب بهم والإحتفاء بهم والاعتناء بهم .

وثمَّ أطفال تعودوا سؤال الناس، فبمجرد دخول الضيف إلي بيتهم يحرجه الأطفال بمسائلهم أعطني كذا أعطني كذا. . فهذا مما قد يوقع الضيف في

حرج، وهذا بلاشك يختلف من ضيف إلى ضيف آخر، فرب ضيف عزيز على أهل البيت ، والكلفة بينه وبينهم مرفوعة في كثير من المسائل فهذا يختلف عن ضيف آخر بلاشك فلتراعى أحوال كل ضيف وأخلاقيات كل ضيف ومشاعر كل ضيف .

وهل يُضرب الابن لتأديبه؟

وهذه مسألة مهمة لها فقهها، فالمواقف تختلف وكذلك الأحوال وأيضا المسائل التي سيؤدب من أجلها هل هي مسائل مستبشعة مستقبحة ومستهجنة؟ أم هي دون ذلك؟ وهل هو يعقل هذه المسائل ويعرف مدى إثمها وشرِّها وخطورتها أم أنه جاهل بها وبأحكامها؟ ولكن في الجملة فالأمر كما قال رسول الله ﷺ : «**إنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيءٍ إلا زَانَهُ وَمَا يُنزَعُ مِنْ شَيءٍ إلا شَانَهُ**»(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الخَيْرَ**»(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظُّهُ مِنْ خَيرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»(٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْراً أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ الرِّفْقَ**»(٤) .

---

(١) ملسم (حديث ٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

(٢) مسلم (حديث ٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) أحمد (المسند٦/ ١٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وانظر أيضا سنن الترمذي (حديث٢٠١٣) .

(٤) أحمد في المسند (٦/ ٧١) و(٦/ ١٠٤ ـ ١٠٥) وهو صحيح بمجموع طرقه .

و«**إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ**» [١] كما قال النبي ﷺ فمادام التوصل إلى الإصلاح بغير الضرب ممكن ، فلا يُصار إلى الضرب فإن النبي ﷺ : «**مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إلا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مالم يكن إثمًا**»[٢] .

وقد ورد أيضا أنه عليه الصلاة والسلام : « **ماضرب شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل اللَّه ..** » [٣] .

فحينئذ علينا بالكلمات إذا أردنا الإصلاح وعلينا بأنواع الترغيب، فإذا لم تُجد الكلماتُ الطيبة في الإصلاح استعملت الكلمات التي تحمل نوعاً من الزجر واستعمل الترهيب بحسب نوع الخطأ والجُرم المرتكب وإذا لم تُجد ولم تنفع كلماتُ الزجر هذه فحينئذ قد يُجدي الضرب، فأحوال الأبناء تختلف وطبائعهم تتنوع فمنهم من تكفيه نظرةٌ بالعين لتأديبه وتوبيخه وتأنيبه ! وتؤثر فيه هذه النظرة تأثيراً بالغاً لا حدود له وتكون سبباً في كفِّه عن مثل هذا الخطأ الذي ارتكب!

ومنهم من إذا حولت وجهك عنه عرف مرادك وفهمه وانكف عن خطئه.

ومنهم من تُجدي معه الكلمات الطيبة ، فعليك بالكلمات الطيبة مع مثل هذا.

ومنهم من لا يُصلحه إلا الضرب ولا تنفع معه إلا الشدة فحينئذ نتجه

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٩٣) من حديث عائشة ﵂ مرفوعاً ، وتمامه « **ويُعطي على الرِّفق ما لا يُعطي على العُنْف وما لا يعطي على ما سواه**».

(٢) البخاري (حديث ٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة ﵂ مرفوعاً .

(٣) مسلم (حديث ٢٣٢٨) من حديث عائشة ﵂.

للضرب والشدة بالـقدر الذي يُصلح فقط ولا نتعداه ، كـالطبيب الذي يعطي للمريض حقنة ، والحقنة تؤلمه ، ولكنها بقدر المرض فحسب .

فللرجل أن يشتد مع أبنائه إذا رأى منهم قصوراً أو وجد فيهم خللاً .

أخرج البخـاري ومسلم(*)من حديث عبـد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: أن أصحاب الصُّفة كانوا ناساً فقراء وإن رسول اللَّه ﷺ قال مرة: «**من كان عنده طعـام اثنين فليـذهب بثـلاثة. ومن كان عـنده طعام أربعـة فليـذهب بخـامس، بسـادس**» أو كما قال، وإن أبا بكر جـاء بثلاثة، وانطلق نبي اللَّه ﷺ بعشرة وأبو بكر بثـلاثة، قال: فـهـو وأنا وأبي وأمي ـ ولا أدري هل قال : وامـرأتي وخادم بين بيـتنا وبيت أبي بكر ـ قال: وإن أبا بكر تعـشى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صليت العـشاء . ثم رجع فلبث حتى نعس رسول الـلَّه ﷺ فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء اللَّه قـالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ أو قالت: ضيفك؟ قال: أوما عشيـتهم؟ قالت: أَبَوْا حتى تجيء قد عرضوا عليهم فغلبوهم قال: فذهبت أنا فاختبأت وقال: يا غنثر! فجدع وسب(١). وقال: كلوا لا هنيئاً(٢). وقال: واللَّه لا أطعمه أبداً قال: فايم اللَّه! ماكنا نأخذ من لُقمةٍ إلا

(*) البخاري من (حديث ٦١٤٠ ، ٦١٤١) ومسلم (حديث ٢٠٥٧) .

(١) (يا غنثر ! فـجدع وسب) غنثر بثـاء مـفتـوحـة ومضـمـومة ، لغـتـان . هذه هي الرواية المشهورة في ضبطه . قالوا : وهو الثقيل الوخـيم . وقيل : هو الجاهل . مأخوذ من الغثارة ، وهي الجهل، والنون فيـه زائدة . وقيل : هو السفيه مأخوذ من الـغثر وهو اللؤم . وجدع أي دعا بالجدع وهو قنف وغيره من الأعضاء . والسب الشتم .

(٢) (كلوا . لا هنيئـا) إنما قاله لما حصـل من الحرج والغيظ بتـركهم العشـاء بسببـه . وقيل : إنه ليس بدعاء ، إنما هو خبر ، أي لم تتهينوا به في وقته .

ربا من أسفلها أكثر منها قال حتى شبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك. فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر. قال لامرأته: ياأخت بني فراس! ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني[١]! لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار. قال فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان. يعني يمينه. ثم أكل منها لُقمة ثم حملها إلى رسول اللَّه ﷺ فأصبحت عنده. قال وكنا بيننا وبين قوم عقدٌ فمضى الأجل فَعرَّفْنا[٢]اثنا عشر رجلا[٣]مع كل رجل منهم أناس اللَّه أعلم كم مع كل رجل. إلا أنه بعث معهم فأكلوا منها أجمعون أو كما قال.

وأخرج مسلم[٤]من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ المَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَّكُمْ إِلَيْهَا**».

قال فقال بلال بن عبد الله[٥]: واللَّه لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبدُ اللَّه

---

(١) (لا . وقرة عيني) قال أهل اللغة : قرة العين يعبّر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه . قيل : إنما قيل ذلك لأن عينه تقر لبلوغه أمنيته ، فلا يستشرف لشيء ، فيكون مأخوذا من القرار . وقيل : مأخوذ من القُر ، بالضم ، وهو البرد . أي أن عينه باردة لسرورها وعدم مُقلقها . قال الأصمعي وغيره : أقر الله عينه أي أبرد دمعته ، لأن دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة . ولهذا يقال في ضده : أسخن الله عينه . ولا زائدة .

(٢) (فعرّفنا) هكذا هو في معظم النسخ : فعرَّفنا ، بالعين وتشديد الراء ، أي جعلنا عرفاء . وفي كثير من النسخ : فعرّقنا ، من التفريق . أي جعل كل من الاثنى عشر مع فرقة . وهما صحيحان .

(٣) (اثنا عشر رجلا) هكذا هو في معظم النسخ . وفي نادر منها : اثنى عشر . وكلاهما صحيح. والأول جار على لغة من جعل المثنى بالألف في الرفع والنصب والجر .

(٤) مسلم (ص ٣٢٧) .

(٥) هو بلال بن عبد الله بن عمر .

فسبَّه سباً سيئاً ما سمعته سبَّه مثله قطُّ، وقال: أُخبرك عن رسول اللَّه ﷺ ، وتقول: واللَّه لنمنعهُن؟!

وفي رواية[١]: فَزَبَرَهُ ابن عمر وقال : أقول : قال رسول اللَّه ﷺ وتقول لا ندعُهنَّ !

وها هي بعض الأدلة التي يستدل بها على مسألة التأديب بالضرب إن احتيج إليه مع بعض الأبناء لعدم طاعتهم في المعروف ، أو لعدم استجابتهم لفعل الخير ، أو لإصرارهم على العصيان والتمرد والظلم .

وهناك أولا بعض النصوص العامة التي يُستدل بها على جواز الضرب للتأديب إذا لم يُجد غيره، ومن هذه النصوص قول الله سبحانه وتعالى : **﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾**. [البقرة: ٢٠٥] وقوله سبحانه : **﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾**. [هود: ١١٦] فإذا كان الفساد والشر الوارد من الطفل لا يزول إلا بالضرب فحينئذ يلزم الضرب. وكذلك النصوص الواردة في النهي عن المنكر لقوله تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾** [آل عمران: ١١٠] فلو كان المنكر لا يزول إلا بالضرب ـ مع اتقاء المفاسد أيضا ـ فحينئذ يُتجه إلى الضرب .

وأيضا النصوص الواردة في التعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الإثم والعدوان .

---

(١) وهي عند مسلم أيضاً وزبره أي نهره .

وثَمَّ جملة أدلة أخر

فهـا هو الرسول ﷺ يـحث على تعليم الأولاد الصلاة ، ومن امـتنع عن أدائها ، وهو ابن عشر سنين ـ فحينئذ يُضرب .

قال عليه الـصلاة والسلام(1): **«مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّـلاة وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سنِينَ، وَاضْـرِبُوهُمْ عَلَيْـهَـا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَـشْـر (سِنِينَ) وَفَـرِّقُـوا بَيْـنَهُمْ في المَضَاجِعِ»** .

وها هو عبد الله بن عـباس ﷺ لما يرى في عكرمة نباهةً وفهمـاً ونبوغاً وعقلاً ، وعكرمةصغير آنذاك يحب اللعب كـما يحبه غيره ويرغب في الجري كما يرغـب غيره ، فحينئـذ يُقيده ابن عبـاس ويوثقه ابن عباس حـتى يتعلم القرآن ويتعلم سنة الرسول ﷺ .

قـال عكرمـة : **كان ابـن عباس يجـعل في رجلي الكبل يُعلمني الـقرآن والسُّنة ، وفي رواية يعلمني القرآن والفرائض** (2).

فمـاذا كان من شـأن عكرمة بعـد هذا القيـد ، أصبح عكرمة تـابغة من

---

(1) أخرجـه أبو داود (حديث ٤٩٥) بإسناد حـسن من طريق عمرو بن شـعيب عن أبيـه عن جده مرفوعاً ، وله شاهد عند أبي داود أيضا (٤٩) والترمذي (٤٠٧) من حديث سبرة ﷺ قال : قـال النبي ﷺ : **«مُروا الصـبي بالصلاة إذا بلغ سبع سـنين ، وإذا بلغ عشر سنين فـاضربوه عليها»** .

(2) صـحيح ، وقـد أخرجـه البيـهقي (السنن الكـبرى ٦/٢٠٩) والبـخاري مـعلقاً (مع الفـتح ٥/ ٧٥) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٢٦) وابن سعـد في الطبقات (٥/ ٢١٩) وغيرهم وانظر سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢) .

النوابغ وأصبح محدثاً من المحدثين ، وراويةً عن ابن عباس لعددٍ هائل من الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، ومفسراً كبيراً من المفسرين .

وها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يضرب ابنته عائشة رضي الله عنها لما تأخر الجيش بسببها وتأخر رسول الله ﷺ بسببها وشكاها الناس إلى أبي بكر .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : **خرجنا مع رسول اللّه ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء (أو بذات الجيش) انقطع عقد لي فأقام رسول اللّه ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا : ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ؟ أقامت برسول اللّه ﷺ وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول اللّه ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال : حبست رسول اللّه ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني أبو بكر . وقال ما شاء اللّه أن يقول . وجعل يطعن بيده في خاصرتي . فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول اللّه ﷺ على فخذي . فنام رسول اللّه ﷺ على فخذي ، فنام حتى أصبح على غير ماء . فأنزل اللّه آية التيمم فتيمموا . فقال أسيد بن الحضير (وهو أحد النقباء) : ماهي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. فقالت عائشة : فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته .**

وأبو بكر أيضا في موقف آخر يضرب ابنته عائشة رضي الله عنها وكذلك عمر ، وهاهو الحديث بذلك .

---

(١) البخاري (حديث ٣٣٤) ومسلم (حديث ٣٦٧) .

أخرج مسلم في[١]**صحيحه** من حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول اللَّه ﷺ فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر. فدخل. ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له. فوجد النبي ﷺ جالسا، حوله نساؤه واجماً[٢] ساكتاً. قال فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي ﷺ فقال: يارسول اللَّه لو رأيت بنت خارجة! سألتني النفقة إليها فوجأت عُنُقها[٣]. فضحك رسول اللَّه ﷺ وقال: «**هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَى يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**». فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عُنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها. كلاهما يقول: تسألن رسول اللَّه ﷺ ماليس عنده. فقلت: واللَّه لا نسأل رسول اللَّه ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده. ثم اعتزلهن شهراً أوتسعاً وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ...**﴾ حتى بلغ ﴿**لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيماً**﴾. قال : فبدأ بعائشة فقال: «**يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيك أَمْراً أُحِبُّ أَنْ لا تَعْجَلِي فِيه حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوْيكِ**» قالت: وما هو يارسول اللَّه؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يارسول اللَّه أستشير أبويَّ؟ بل أختار اللَّه ورسوله والدار الآخرة. وأسألك أن لا تخبرامرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «**لا تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلا أَخْبَرْتُهَا. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلا مُتَعَنِّتاً**[٤] **وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّماً مُيَسِّرًا**».

وابن عمر ﷺ يرى غلاماً نصب طائر وجعل يرميه بالأحجار فقال

(١) مسلم (حديث ١٤٧٨) .

(٢) الواجم هو الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام .

(٣) وجأت عنقها أي طعنت في عنقها .

(٤) معنتاً أي مُشدداً ، ومتعنتاً طالبا زلات الناس .

لأهله: ازجروا غلامكم عن فعل هذا .

أخرج البخاري[١]من حديث ابن عمر رضي الله عنهما **أنه دخل على يحيى بن سعيد وغلامٌ من بني يحيى رابطٌ دجاجة يرميها فمشى إليها ابن عمر حتى حلَّها ثم أقبل بها وبالغلام معه فقال : ازجروا غلامكم عن أن يصبر هذا الطير للقتل فإني سمعت النبيَّ ﷺ نهى أن تُصبر**[٢] **بهيمة أوغيرها للقتل .**

ويقول إبراهيم النخعي : وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار[٣] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وقال أبوعمر ابن عبد البر : معناه عندهم النهي عن مبادرة الرجل بقول أشهد بالله ، وعليَّ عهد الله لقد كان كذا ، ونحو ذلك وإنما كانوا يضربونهم على ذلك حتى لا يصير لهم به عادة

---

(١) البخاري (حديث ٥٥١٤) .

(٢) تُصبر أي تُحبس لترمى حتى تموت .

(٣) أخرجه البخاري (عقب حديث ٢٦٥٢) ، (عقب ٣٦٥١) ، ومسلم (ص ١٩٦٣) ، ولفظ مسلم كان ينهوننا ونحن غلمان عن العهد والشهادات .

وقد وردت في هذا الباب أحاديث لا تخلو من مقال كحديث علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ، وفي بعض الروايات فإنه لهم أدب .

وهذا الحديث قد أخرجه عبد الرزاق (المصنف ٢٠١٢٣) والطبراني في الكبير (١٠٦٧٠ ، ١٠٦٧١، ١٠٦٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً وفي إسناده ضعيف .

ونحوه عند أبي نعيم في الحلية ، وفي إسناده من تكلم فيه أيضا ، وهو هناك من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (الحلية ٧ / ٣٣٢) .

وحديث آخر فيه ضعف أيضا وهو (أدب أهلك ، وأنفق عليهم من طولك ، ولا ترفع عنهم عصاك، أخفهم في الله عزَّ وجل وقد أخرجه عبد الرزاق (المصنف ٢٠١٢٢) ، وانظر عبد بن حميد في المنتخب (بتحقيقي ١٥٩٢) وأبو نعيم في الحلية (٧ / ٣٣٢) .

فيحلفوا في كل ما يصلح ومالا يصلح ، **قلت** (الحافظ): ويحتمل أن يكون الأمر في الشهادة على ما قال ويحتمل أن يكون المراد النهي عن تعاطي الشهادات والتصدي لها لما في تحملها من الحرج ، ولا سيما عند أدائها لأن الإنسان معرضٌ للنسيان والسهو ولاسيما ، وهم إذ ذاك غالباً لا يكتبون ، ويحتمل أن يكون المراد بالنهي عن العهد الدخول في الوصية لما يترتب على ذلك من المفاسد ، والوصية تسمى العهد .

واتق ضرب الأولاد على وجوههم فإن النبي ﷺ قد نهى عن ذلك

قال عليه الصلاة والسلام[1]: «**إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ**».

وفي رواية: «**فَلْيَتَّقِ الوَجْهَ**» .

وفي رواية: «**إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ...**».

الأبناء وأركان الإيمان والإسلام

ويجب أن يتعلم الأبناء أصول الإيمان وأركان الدين والإسلام من معرفة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن يتعلمواالإيمان بالقدر خيره وشره وأن يتعلموا النطق بالشهادتين وكذلك الصلاة والصيام وما يخصهم من أحكام الزكاة والحج وأن يأخذوا بحظٍ وافرٍ من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وسير أهل الفضل

(١) أخرج ذلك كله مسلم (حديث ٢٦١٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

والصلاح ، وسائر مايقربهم إلى الله وإلى جنته ورضوانه ، وما يباعدهم من سخط الله وغضبه وعقابه ومايباعدهم من النار .

فحدِّث أولادك دائماً عن أصول الإيمان والإسلام وعرِّفهم بها فإن هذا أنفع شيءٍ لهم ، بل ولك أيضا ـ في الدين والدنيا والآخرة .

علم أولادك هذا الحديث الشريف الجامع الذي جاء به جبريل ، وعلمهم الأمور الواردة فيه ، فقد جاء جبريل يسأل عنها رسول الله ﷺ حتى يتعلمها الصحابة رضوان الله عليهم .

أخرج الإمام مسلم(١) **في صحيحه** من حديث أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول اللَّه ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه(٢) وقال : يامحمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول اللَّه ﷺ : «**الإسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إلَهَ إلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمّداً رَسُولُ اللَّه** ﷺ ، **وتُقيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتيَ الزَّكاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إن اسْتَطَعْتَ إلَيْه سَبِيلاً**» قال : صدقت قال فعجبنا له . يسأله ويصدقه قال : فأخبرني عن الإيمان . قال: «**أَنْ تُؤْمنَ باللَّه وَمَلائكَته، وَكُتُبه، وَرُسُله، وَاليَوْم الآخر، وتُؤْمنَ بالقَدَر خَيْره وَشَرِّه**» قال: صدقتَ. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: « **أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإنَّهُ يَرَاكَ**» قال:

---

(١) مسلم (حديث ٨) .

(٢) يعني أن جبريل وضع يديه على فخذي نفسه وجلس على هيئة المتعلم .

فأخبرني عن الساعة. قال: «مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ منَ السَّائل» قال: فأخبرني عن أماراتها[١]. قال: «أَنْ تَلدَ الأَمَةُ رَبَّتهَا[٢]. وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رعَاءَ الشَّاء يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيَان»[٣] قال: ثم انطلق فلبثت مَلياً[٤]. ثم قال لي: «يا عُمَرُ، أَتَدْري مَن السَّائلُ؟» قلت: اللَّه ورسوله أعلم قال: «فَإنَّهُ جبْريلُ. أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دينكُمْ».

اشرح لهم هذا الحديث شرحاً مختصراً.

فحدثهم عن الإيمان باللَّه، وعرِّفهم بربهم عزَّ وجل وعلمهم هذه السورة الكريمة: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾. [الإخلاص: ١-٤]

فأخبرهم وعلمهم أن الله واحد لا شريك له، لم يكن له شريك في الملك وليس معه إله ثان، فلو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وكما قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً ﴾.

[الاسراء: ٤٢]

﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا ﴾. [الجن: ٣]

﴿ هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾. [غافر: ٦٥]

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾. [آل عمران: ٢]

---

(١) أماراتها أي علاماتها.

(٢) يعني أن تلد الأمة مالكها وسيدها.

(٣) العالة الفقراء، ورعاء الشاء أي رعاة الغنم.

(٤) لبثت مليا أي مكثت وقتا طويلا.

﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ . {طه : ٩٨}

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ . {طه : ١٤}

وحذر أولادك من الشرك بالله وعلمهم التوحيد .

فإن الله حرم الجنة على المشرك .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ . {المائدة : ٧٢}

والشرك يحبط الأعمال .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . {الزمر : ٦٥}

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . {الأنعام : ٨٨}

وقال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ .

{الفرقان : ٢٣}

والشرك أعظم ذنب:

فقد سئل النبي ﷺ أي الذنب أعظم يارسول الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[١] .

عَرِّف أولادك بربهم وأنه الخالق الرازق المحيي المميت يعز ويذل ، يقبض ويبسط ، ويرفع ويخفض .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٤٧٧) ومسلم (حديث ٨٦) .

علِّم أولادك أن غير الله لا يُدعى، وغير الله لا يُرجى، وغير الله لا يُعبد.

ودعاء غير الله شرك ، والذبح لغير الله شرك والحلف بغير الله شرك ، والطواف بغير بيت الله شرك ، وكذلك النذر لغير الله .

علِّم أولادك أن الحكم لله وأن الأمر لله.

وكما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ . [الأنعام: ١٦٢ , ١٦٣]

وكذلك علِّم أولادك أسماء الله الحسنى وأخبرهم عن صفاته العلى كل ذلك وفق منهج أهل السنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ومن جاء من بعدهم من التابعين الذين ساروا على نهجهم واتبعوا سبيلهم .

وكذلك علمهم معنى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ .

[طه: ٥]

وقوله تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ . [الملك: ١٦]

وقوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ . [فاطر: ١٠]

وحديث تلك الجارية التي سألها الرسول ﷺ أين الله؟ قالت في السماء! فقال لسيدها: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» .

وسائر معتقدات أهل السنة والجماعة بأسلوب سهلٍ مُيسر يفهمه الأبناء ويتقبلونه.

وحدثهم عن الملائكة وأن الإيمان بهم واجب والتصديق بوجودهم لازم ، ولا يتحقق الإيمان إلا بذلك .

وأن هؤلاء الملائكة عبادٌ مكرمون ، يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ، لا يستكبرون عن طاعة الله ولا عن عبادته ، بل هم من خشيته مشفقون .

وأنهم خلقوا من نور، وأن لهم أعمال يقومون بها خير قيام ويؤدونها خير أداء ، فمنهم حملة العرش ، ومنهم الرسل والسفراء بين الله وأنبيائه ، ومنهم الحفظة والكتبة الذين يسجلون أعمال العباد ويكتبونها ويحصونها ، ومنهم ملك الموت الذي يقبض الأرواح عندما ينتهي أجل العبد ومنهم ملك الجبال وملك السحاب ومنهم الذين يحضرون مجالس الذكر ، ومجالس العلم ، وكذلك يشهدون الصلوات والجُمع ، ويؤيدون أهل الإيمان عند القتال بإذن الله ويطمئنون أهل الإيمان ويبشرونهم عند الممات ، ويعذبون أهل الكفر عند خروج الأرواح ويصعدون بالأرواح إلى السماء ويسألون العبد في قبره ، ويستغفرون كذلك للذين آمنوا ويدعون لهم بدخول الجنان ، وأن منهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار وأن خزنة النار هؤلاء غلاظ شداد لا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ، وأن الملائكة تستمع لتلاوة القرآن إلى غير ذلك من أعمالهم التي وكِّلُوا بها .

وأن هؤلاء الملائكة يشهدون لله سبحانه وتعالى بالوحدانية ولرسله بالرسالة ، ويتولون أولياء الله بالنصر والتأييد بإذن الله .

وأن هؤلاء الملائكة ليسوا بإناث كما يزعم أهل الكفر والافتراء .

وأن هؤلاء الملائكة يشفعون لأهل الإيمان والتوحيد يوم القيامة ولكنهم لا

يشفعون إلا لمن أذن الله لهم فيه بالشفاعة كما قال تعالى: ﴿**وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى**﴾.

[النجم: ٢٦]

وكما قدمنا فليعلّم الأبناء أن هؤلاء الملائكة يراقبوننا ويسجلون علينا أعمالنا ويكتبون ما نتلفظ به من أقوال ، كما قال تعالى : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾. [ق: ١٨]

وأن الله يصطفي من هؤلاء الملائكة رسلاً كجبريل عليه السلام .

عداوة الشيطان

[illegible] لأولادك ووضح لهم **عداوة الشيطان لهم** فهو الذي أخرج أبويهم آدم وحواء من الجنة ، ويسعى لإخراج كل بني آدم من الجنة وقد حذرنا الله منه فقال سبحانه ﴿ **يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** ﴾. [الأعراف: ٢٧]

وحذرهم أن الشيطان لهم عدو مبين وأنه خلق من نار ، وأنه يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم .

وليُعلَّم أنَّ الشيطان يحرص غاية الحرص على إغواء الأبناء وإضلالهم كما ذكر الله سبحانه وتعالى عنه إذ قال : ﴿ **قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً . قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم**

بخَيْلكَ وَرَجلكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً . إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾ .

{الإسراء: ٦٢-٦٥}

وبيِّن لهم أن كيد الشيطان كان ضعيفا . وأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . وأن الشيطان يهرب عند الأذان ، ويخنس ويختفي عند ذكر الله عز وجل وينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، ولا يقربك حتى تصبح إذا قرأت آية الكرسي عند نومك .

وأن قول لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة يحفظ الله بها ابن آدم من الشيطان .

وحدِّث الأولاد عن الجن، لا تحدثهم عن الجن ذلك الحديث المزعج ، بل حدثهم عن خلق الجن وعن طبيعة الجن وعمل الجن ، وأن منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، وعلمهم الحروز التي يحترزون بها من الجن والشياطين.

الإيمان بالكتب

وكذلك الكتب حدِّث أولادك عنها فقد أنزل الله على رسله كتباً فيها أمره لهم سبحانه وتعالى بتوحيده والإيمان به وبرسله وتعريفهم بالحلال والحرام، وفيها خبر ماقبلهم وحكم ما بينهم ونبأ ما بعدهم، وفيها الدعوة إلى كل خير وصلاحٍ وهدى، والتحذير من كل شر وكفر وضلالٍ.

والإيمان بهذه الكتب واجب والجحود بها كفرٌ وخروجٌ عن الاسلام .

ومن هذه الكتب التوراة وقد نزلت على موسى عليه السلام . والإنجيل وقد نزل على عيسى عليه السلام. والقرآن وقد نزل على نبينا محمد ﷺ .

وذكرت أيضا الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى، وذكرت الألواح كذلك ، وذكرت زُبر الأولين كذلك.

الإيمان بالرسل

حدِّث أبناءك عن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأنهم عباد لله سبحانه وتعالى ، وهم من البشر ، وهم من الرجال وأن الله أرسلهم إلى خلقه يأمرونهم بتوحيد الله ويبشرونهم بالجنة لمن أطاع ، ويحذرونهم من الشرك ويحذرونهم من العصيان فالعاصي النار مثواه .

وأن الله سبحانه وتعالى اصطفى من هؤلاء الرسل أولي العزم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ .

وأن الإيمان بجميع الرسل والأنبياء واجب ، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بالجميع .

وأن هؤلاءالرسل أفضل الخلق من البشر وأعقلهم وأحلمهم وأحكمهم ، وأشد البشر طاعة لله سبحانه وتعالى .

وأن طاعة هؤلاء الرسل واجبة، وفي عصيانهم الخسران المبين .

وأن هؤلاء الرسل يخشون ربهم ويخافونه ويعبدونه ويطيعونه .

وأنهم يشفعون لأهل الإيمان والتوحيد يوم القيامة ، ولكنهم لا يشفعون إلا بإذن الله ولمن أراد الله لهم أن يشفعوا فيه .

وأن هؤلاء الرسل عبيدٌ لله سبحانه وتعالى ، وبشر مثل سائر البشر .

وأن هـؤلاء الرسـل تتنزل عليـهم الملائكة بالوحي من عند الله سبـحانه وتعالى فتبلغ الرسل أممها بأمر الله عز وجل .

وأن هـؤلاء الـرسـل لا يربطهم بالله نسب ولا مـصاهرة ، سبـحان الله وتعالى عن ذلك فربنا لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

وأن هـؤلاء الـرسـل لا يُدعـون من دون الله ، بـل الذي يُدعى هو الله سبحانه وتعالى .

وأن توقير هؤلاء الرسل وتبجيلهم وامتثال أمرهم واجب.

وأن كل الـرسل اجتمعوا في دعـوتهم على شيء واحد وهو الأمر بعبادة الله واجتناب الطواغـيت والشرك ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون ﴾. [الأنبياء: ٢٥]

وأن لكل رسول شريعة تتناسب مع أحوال القوم الذين بُعث فيهم .

وأن الذي يكفر برسول من هؤلاء الرسل فقد كفر بهم جميعاً، ومن كذَّب واحداً منهم فقد كذبهم جميعاً .

وأن خاتم هؤلاء الرسل والنبيين جـميعاً هو محمـد ﷺ فلا نبي بعده صلوات الله وسلامه عليه .

تذكير الأبناء باليوم الآخر

وأكثر من تذكير أولادك باليوم الاخر .

فقد كثر التذكير به في كتاب الله ، فإن الولد إذا علم أن هناك حساب ، وثواب وعقاب أقبل على الخير وترك الشر ، وسلامة العمل تبنى على سلامة المعتقد .

فحدِّث أولادك عن اليوم الاخر، وأنه يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، والأقربين والأبعدين .

وأنه يوم تؤدى فيه الحقوق إلى أهلها ، ويؤخذ فيه للمظلوم من الظالم .

وفي هذا اليوم يُثاب المطيعون بالفوز بالجنان ، ويعاقب المجرمون بدخول النيران .

وحدِّث أولادك وعرِّفهم وخبِّرهم بما في هذا اليوم من الصراط والميزان وحوض النبي عليه الصلاة والسلام .

حدثهم عن الجنة وما أعد فيها من النعيم المقيم لأهل الصلاح المتقين وكذلك النار وما أُعد فيها من العذاب الأليم للعصاة المجرمين .

الإيمان بالقدر

علِّم أبناءك الإيمان بالقدر.

فالإيمانُ به واجبٌ على كل مسلم، ولا يكمل للشخص إيمان إلا إذا آمن بالقدر والأمور التي تجري في هذه الحياة كلها مقدرة ومكتوبة على العبد فعلّم

أولادك هذا ، وعلمهم قول النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : «**يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»(١) .

فعلِّم أولادك هذا ، وعلمهم حديث رسول الله ﷺ الذي فيه : «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٢) .

علِّم ولدك أن الخير والشر كلاهما مقدرٌ ، وكذلك الأرزاق مقدرة ومقسومة وعلمهم أن الهادي هو الله وأن الحفظ من الله والآجال والأعمار مقدرة ، وأن لكل أجلٍ كتاب ، وأن المصائب مكتوبة ومقدرة وعلمهم الرضا بقضاء الله في كل الأحوال .

إذا مرض ولد أو أصيب بشيء أو فقد شيئاً . . . فعلمه حينئذٍ أن الأمور مقدرة .

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٥١٦) بإسناد يصح لشواهده ، وقد ذكر شواهده ابن رجب في جامع العلوم والحكم .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٦٤) .

تلقين الأبناء الشهادتين

ولقن أبناءك الشهادتين « **لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه** » وعلمهم معناها وأن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحقٍ إلا الله .

ورغبهم في قولها وبين لهم عظيم أجرها ، ووضح لهم معناها وفضلها .

الأبناء والصلاة

قال النبي ﷺ : «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بالصَّلاة وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُم فِي الْمَضَاجِعِ**»[1].

وقال تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ . [طه: ١٣٢]

وقال سبحانه : ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا . وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا** ﴾ .

[مريم: ٥٤ ـ ٥٥]

وقال لقمان لابنه : ﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾ . [لقمان: ١٧]

فجديرٌ بكل أب أن يحث ولده على الصلاة ويُدرِّبه عليها ويعرفه على

---

(١) ولا يعني قوله عليه الصلاة والسلام : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع** » أن ما دون السبع لا يُعلَّم ، بل لك أن تعلِّم من هو دون السبع ، ولكن المراد لا تأتي على الولد سبع وإلا وتعلمه بعدها الصلاة .

والحديث صحيح ، وقد تقدم ، وقد أخرجه أبو داود (٤٩٥) وغيره ، وانظر أيضا سنن أبي داود (٤٩٤) .

بيوت الله ويصطحبه إليها إن كان الولد لا يفسد فيها ، وقد كان الأطفال والغلمان متواجدين في المساجد على عهد رسول الله ﷺ .

قال النبي ﷺ : «**إِنِّي لأَقُومُ إِلَى الصَّلاة وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا فَأَسْمَعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزَ فِي صَلاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّه**»[١] . فدل ذلك على وجود الطفل بالمسجد .

وكان النبيُّ ﷺ **يحمل أُمامة بنت ابنته زينب في الصلاة فإذا سجد وضعها** [٢] .

وقد كان الحسن والحسين يأتيان إلى مسجد رسول الله ﷺ وهما صغيران[٣] .

أما حديث «**جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم**» فهو ضعيف واهٍ [٤] .

وليعلِّم الأبناء أن الصلاة نور ، وأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

وأن الصلاة من أركان الإسلام وأنها عمود الدين ، وأن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِين** ﴾ . [هود : ١١٤]

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٨٦٨) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥١٦) ومسلم (٢/ ١٨١) من حديث أبي قتادة ﷺ مرفوعاً .

(٣) أنظر البخاري (حديث ٣٧٤٦) وأبو يعلي في المسند (٨/ ٤٣٤) .

(٤) أخرجه ابن ماجة (حديث ٧٥٠) بإسناد ضعيف جداً .

وقال سبحانه: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. [النساء: ١٦٢]

وليذكّر الأبناء بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ . لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. [فاطر: ٢٩ - ٣٠]

وبيِّن لأبنائك إثم تارك الصلاة وعقوبة تاركها:

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ . فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ الْمُجْرِمِينَ . مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾. [المدثر: ٣٨- ٤٦]

وليعلم أن الويل لتارك الصلاة والمفرط فيها والمفوت لوقتها قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. [الماعون: ٤-٥]

وقال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾. [مريم: ٥٩]

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاةِ**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

فاحرص على تعليم أبنائك الصلاة وصحبتهم إلى المساجد، وإيقاظهم

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) صحيح أخرجه (٥/٣٤٦) من حديث ابن بريدة رضي الله عنه مرفوعاً .

لصلاة الفجر ، وتعليمهم أذكار الصباح والمساء .

والعجب من آباء مسلمين وأمهات مسلمات يحرصون غاية الحرص على إيقاظ أولادهم للدروس الخصوصية مبكرين ويبالغون في الاهتمام بذلك بل إيقاع العقوبات على الأبناء إن تخلفوا عن ذلك ، وهذا في الوقت الذي لا يبالي فيه هؤلاء الآباء والأمهات بإيقاظ الأولاد للصلاة وتحريضهم عليها ، وقد علم هؤلاء أن الآخرة خيرٌ وأبقى، وعلموا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. [العنكبوت: ٦٤]، وعلموا قوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ﴾. [الرعد: ٢٦]

ويُسنُّ في صفوف الصلاة ـ كما هو معلوم ـ أن يتقدم أولوا الأحلام والنهى كما قال النبي ﷺ : «لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...»(١).

فليتقدم الرجال وليتأخر الصغار، ولكن ليكن تأخيرهم بأسلوب مهذب مؤدب لا يُضايق ولا يُنفِّر، فليقل لهم يا أبنائي إنها سنة رسول الله ﷺ ! إنه هدي رسول الله ﷺ ، وليُعلِّموا الحكمة من ذلك فإن هذا يطمئن قلوبهم ويُهدِّئ من روعهم ويُذهب غضبهم بإذن الله .

الأبناء والصيام

ويشرع تدريب الأولاد علي الصيام وتعويدهم عليه ، وقد كان الصحابة كذلك يفعلون مع أبنائهم .

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٣٢) من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعاً .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث الرُّبَيِّع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: أرسل رسولُ اللَّه ﷺ غداةَ عاشوراءَ إلي قُرَى الأنصار، التي حولَ المدينة **«مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائماً، فـلـيُتِمَّ صَوْمَـهُ، وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُـفْطِراً، فَلْيُتِمَّ بَقـيَّةَ يَوْمه»**.

فكُنَّا بعد ذلـك نصُومُهُ، ونُصـوِّمُ صبيـاننا الَّصغارَ مـنهُمْ - إن شاءَ اللهُ - ونذهبُ إلى المسجد، فنجعلُ لهُمُ اللُّعبةَ من العهنِ[٢]. فإذا بكى أحدُهُمْ علَى الطعامِ أعطيناها إياهُ عندَ الإفطَار .

وعند البخارى مُعـلَّقًا[٣] عن عـمـر رضي الله عنه **أنه قـال لنشـوان - أي لرجلٍ سكران - فى رمضان: ويلك وصبياننا صيام؟!**

الأبناء والصدقة

درِّب الأولاد على الصدقه و حثهم عليها وبَيِّنْ لهـم فضلها علمهم قول الله عزَّ وجل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَنفقُوا ممَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فيه وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافرُونَ هُمُ الظَّالمُونَ** ﴾ . {البقرة: ٢٥٤}

علمـهم حديث رسـول الله ﷺ : **«مَنْ تَصَـدَّقَ بعَـدْل تَمْرَةَ من كَـسْب طَيِّب - وَلا يَصْـعَـدُ إِلَى اللَّه إلا الطَّيِّبُ - فَـإِنَّ اللَّهَ يَتَقَـبَّلُهَـا بيَـمينه ثُـمَّ يُرْبِيهَـا لِصَاحِبهَا كَمَا يُربِي أَحَدُكُم فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مثْلَ الجَبَل»**[٤].

---

(١) البخاري (حديث ١٩٦٠) ومسلم(حديث ١١٣٦) .

(٢) العهن هو الصوف ، وقيل الصوف المصبوغ .

(٣) البخاري معلقاً (مع الفتح ٤/ ٢٠٠) .

(٤) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٠) ومسلم(حديث ١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وكذلك حديث النبي ﷺ : «فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمْ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[١].

وعليك بإخراج زكاة الفطر عن أبنائك فقد فرضها رسول الله ﷺ على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين[٢].

الأبناء والحج والعمرة

اصطحب ولدك معك إلي الحج والعمرة إن كان ذلك بوسعك ومقدورك فإن صور الكعبة والبيت الحرام والصفا والمروة وسائر المشاعر تنطبع في ذهنه وتعلق به ، وكذلك ما يسمعه من تلبيات الملبين وأدعية الطائفين وصلاة الأوابين وسؤال السائلين كل ذلك يؤثر فيه بإذن الله ، وفضلاً عن ذلك فأنت مأجور على اصطحابه معك ، فقد رفعت امرأة صبياً لها عند رسول الله ﷺ وقالت يا رسول الله ألهذا حج ؟ قال نعم ولك أجر[٣].

الأبناء والإحسان ومراقبة الله عَزَّ وَجَلَّ

وكذلك علّم أبناءك الإحسان:

وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٤١٣) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه: «. . ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا تَرجمان يُترجم له ، ثم ليقولن له : ألم أوتك مالاً فيقولن بلى ، ثم ليقولن : ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فليقولن بلى : فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة ، فإن لم يجد فبكلمة طيبة».

(٢) البخاري حديث (١٥٠٣) ومسلم ٠ حديث ٩٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٣٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

حدثهم عن قول الله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾. [الشعراء: ٢١٨- ٢١٩]

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾. [محمد: ١٩]

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. [المجادله: ٧]

وكذلك قول الرسول ﷺ لأبي بكر وهما في الغار: «يَا أَبَا بَكْر، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[1] مع قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. [التوبة: ٤٠] وقوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

[هود: ٥]

وكذلك سائر الآيات التي تنمي عند ولدك مراقبة الله عز وجل وخشيته في السر والعلن.

موعظة لقمان لولده

ولهذا جاءت وصية لقمان وموعظته لولده جامعة لأكثر هذه الأمور الجليلة قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا

(١) البخاري (حديث ٣٦٥٣) ومسلم (٣٤٨١) من حديث أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً.

عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ .

{لقمان: ١٢ـ٨١}

وجاء في ثنايا هذه الوصية أيضا الوصية بالوالدين ومصاحبتهما بالمعروف فليذكر الأبناء ببر الوالدين وماجاء فيه من الفضل ، وقد تقدمت جملة من الآيات والأحاديث في ذلك .

لفتةٌ : إن الناظر إلي موعظة لقمان لابنه يجد تحولاً في سياق الخطاب قال الله سبحانه : ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ . {لقمان: ١٣}

ثم حدث تحول في الخطاب فقال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ .

{ لقمان: ١٤}

ثم بعد ذلك: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ**

في السَّمَوَات أَوْ في الأَرْضِ يَأْت بهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ .

[لقمان: ١٦-١٧]

فلقمان عليه السلام يخاطب ولده ويعظه ولما جاء الأمر ببر الوالدين لا يليق بالوالد أن يقول لولده برني واعطف عليَّ وتحنن عليَّ واستوص بي فالوالد أجل من أن يطلب من ولده هذا الطلب وأدفع

فكان من المناسب واللائق أن يتحول سياق الخطاب عند التذكير بحق الوالدين فيقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ . [لقمان: ١٤]

ثم لما انتهى التذكير بحق الوالدين رجع سياق الخطاب إلي لقمان عليه السلام.

فالذي أفهمه من ذلك - والله هو العليم الخبير الحكيم - أن الوالد لا يطلب من ولده مباشرة برِّه والإحسان إليه ، بل يعلمه حقوق الوالدين في سياق جميل وأسلوب ذكي بعيد عن استعطاف الولد ، فذكر أبناءك بهذه القصص الطيبه ذات المعاني والمغازي النبيلة وركز لهم على ما فيها مما يتعلق بالوالدين وبِرِّهم .

أخرج الامام مسلم[1] في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « لَم يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إلا ثَلاثَةٌ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ،

(١) مسلم (٥/ ٤١٤) ورواه البخاري أيضا (٦/ ٤٧٦ مع الفتح) .

وكَانَ جُرَيْج رَجُلاً عَابداً فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فيهَا فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّى فَقَالَتْ: يَا جُرَيجُ. فَقَالَ: يارب، أُمِّى وَصَلاتى فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاته فَانْصَرَفَتْ فلما كَانَ منَ الغَد أَتَتْهُ وهُوَ يُصَلِّي فقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: يَارَبِّ أُمِّي وَصَلاتى فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاته فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ منَ الغَد أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ: يَا جُرَيجُ. فَقَال: أي يَا رَبِّ أُمِّى وَصَلاتي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاته فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لا تُمتهُ حَتَّى يَنْظُرَ إلَى وُجُوه المُومسَات[١] فَتَذَاكَرَ بَنُو إسْرَائيلَ جُرَيجاً وَعبَادَتَهُ وَكَانَتْ امرأَةٌ بَغِىٌ يُتَمَثَّلُ[٢] بحُسْنهَا فقَالَت: إنْ شئْتُمْ لأَفْتنَنَّهُ لَكُم. قَالَ فَتَعَرَّضَتْ لَهُ فَلَم يَلْتَفتْ إليهَا فَأَتَتْ رَاعياً كَانَ يَأوي إلَى صَومعَته فَأَمْكَنَتْهُ من نَفْسهَا فَوَقَعَ عَلَيها فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ منْ جُريج. فَأَتَوْهُ فاستَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ وَجَعَلُوا يَضْربُونَهُ؟ فَقَالَ: مَا شَأْنُكُم؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بهَذه البَغىِّ فَوَلَدَتْ منْكَ!! فَقَالَ: أَيْنَ الصَّبىُّ؟ فَجَاءُوا به فَقَالَ: دَعُونى حَتَّى أُصَلِّىَ، فَصَلَّى فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصبىَّ فَطَعَنَ فى بَطْنه وَقَالَ: يَا غُلامُ، مَن أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلانٌ الرَّاعى. قَالَ: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ به وَقَالُوا: نَبْنى لَكَ صَوْمَعَتَكَ منْ ذَهَب؟ قَالَ:لا، أَعيدُوهَا منْ طين كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا».

وذكّرهم أيضا بفضل بر الوالدين والانتفاع بذلك عن المآزق والكربات من خلال القصص النبوي الطيب الجميل

أخرج البخارى ومسلم[٣] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَاشَونَ أَخَذَهُمُ المَطَرُ فَمَالُوا إلَى غَارٍ فى الجَبَلِ**

(١) المومسات هن الزواني .

(٢) أي يضرب بحسنها المثل .

(٣) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٠٤) .

فَانْحَطَّتْ على فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ من الجَبَلِ فأطْبَقَتْ عليهم فقال بعضُهُم لبعْضٍ: انظروا أعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا للَّه صالحةً فادْعُوا اللَّهَ بهَا لعلَّهُ يُفَرِّجُهَا. قال أحدهُمْ: اللَّهُمَّ إنَّهُ كانَ لِي والدان شَيخَان كَبيران ولِي صِبْيَةٌ صغارٌ كُنتُ أَرعَى عليهم فَإِذَا رُحْتُ عليهم فحَلَبْتُ بدأتُ بوالديَّ أسقيهمَا قَبلَ وَلَدي، وإنَّهُ ناءَ بي الشجرُ فما أتيتُ حَتَّى أَمْسَيتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قد ناما فَحَلَبْتُ كما كُنتُ أَحْلُبُ فَجِئتُ بالحلاب فَقُمتُ عند رُءُوسهمَا، أَكْرَهُ أن أُوقظَهُمَا من نومهمَا، وأَكْرَهُ أن أَبْدَأَ بالصِّبْيَة قَبلَهُمَا، والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عند قَدَمَيَّ فلم يَزَلْ ذلك دَأْبي ودَأْبهم حَتَّى طَلَعَ الفجرُ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلكَ ابتغاءَ وَجْهكَ فَافْرُجْ لنا فُرجةً نَرَى منها السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللَّهُ لَهُم فُرْجَةً حَتَّى يَرونَ منْهَا السَّماءَ وَقَالَ الثَّاني: اللَّهُمَّ إنَّهُ كَانَتْ لي ابنةُ عَمٍّ أُحبُّها كَأَشَدِّ ما يُحبُّ الرِّجَالُ النساءَ فطلبْتُ إليهَا نفسَهَا فأبتْ حتى آتيها بمائَةَ دينَار فسعيتُ حَتَّى جمعتُ مائَةَ دينار فلقيتُهَا بهَا فَلَمَّا قعدتُ بين رجْلَيْهَا قالتْ: يا عبدَ اللَّه، اتَّق اللَّهَ ولا تَفْتَحِ الخَاتَمَ إلا بحَقِّه فقُمْتُ عنها، اللَّهُمَّ فَإِنْ كنتَ تَعلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلكَ ابتغاءَ وَجهكَ فافْرُجْ لَنَا منْهَا؛ فَفَرَجَ لَهُم فُرْجَة. وقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إنِّي كنتُ اسْتَأجَرْتُ أجيرًا بفَرقِ أُرز، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطني حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيه حَقَّهُ فَتَرَكَهُ وَرَغبَ عنه فلم أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ منهُ بَقَرًا وَرَاعيهَا فَجَاءَني وقال: اتَّق اللَّهَ ولا تَظْلمني وأَعطيني حَقِّي فقلتُ اذْهَبْ إلَى تلكَ البقر ورَاعيهَا. فقال اتَّق اللَّهَ ولاَ تَهْزَأْ بي. فَقُلْتُ إنِّي لا أَهْزَأُ بكَ فَخُذْ تلكَ البَقَرَ وَرَاعيهَا، فَأَخَذَهُ فَانطَلَقَ، فَإِنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلكَ ابْتغَاءَ وَجْهكَ فَافْرُجْ مَا بَقيَ؛ فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ».

وكذلك ذكرهم بفضل بر الوالدين من خلال هذه القصه الطيبه المتمثلة

فى هذا الرجل الصالح البار بوالدته، وكيف يطلب منه أمير المؤمنين عمر ﷺ أن يستغفر له، وذلك بوصية من رسول الله ﷺ لعمر وغيره من الصحابة.

أخرج الإمام مسلم[١] **فى صحيحه** من حديث أسير بن جابر ﷺ قال: كان عمرُ بن الخطاب إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم أفيكم أُويسُ بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال نعم قال: من مُراد ثم من قرن؟ قال: نعم قال: فكان بك بَرَصُ فَبَرأتَ منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتى عَلَيْكُمْ أُوَيسُ بنُ عَامر مَعَ أَمْدَاد أَهْلِ اليَمَن منْ مُراد ثُمَّ منْ قَرَن كَانَ به بَرَصٌ فَبَرَأَ منهُ إلا مَوْضعَ درْهَمٍ، لَهُ وَالدَةٌ هُوَ بهَا بَرٌ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لأَبَرَّهُ، فَإن اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفر لَكَ فَافْعَلْ**». فاستغفر لي فاستغفر له فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون فى غبراء الناس أحب إلىَّ قال: فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال تركته رث البيت قليل المتاع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يأتى عَلَيْكُمْ أُوَيسُ بنُ عَامر مَعَ أَمْدَاد أَهْل اليَمَن منْ مُراد ثُمَّ منْ قَرَن كَانَ به بَرَصٌ فَبَرَأَ منهُ إلا مَوْضعَ درْهَمٍ، لَهُ وَالدَةٌ هُوَ بهَا بَرٌ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّه لأَبَرَّهُ، فَإن اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفرَ لَكَ فَافْعَلْ**» فأتى أويسا فقال استغفر لى قال أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لي قال: لقيت عمر؟ قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه. قال أُسير: وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال من أين لأويس هذه البردة؟

---

(١) مسلم (٥/٤٠٣) النووي طبعة الشعب).

ولُيحذر الأبناء من العقوق وليبين لهم خطره وضرره على الأبناء فى دنياهم وأخراهم

وقد ورد فى ذلك عن رسول الله ﷺ ما أخرجه البخارى ومسلم[١]من حديث المغيره بن شعبة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ**. . . ».

وما أخرجه البخارى ومسلم[٢] أيضا من حديث أبى بكر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «**أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ**»، قلنا بلى يارسول اللَّه؟ قال: (ثلاثاً) : «**الإِشْرَاكُ بِاللَّه وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** وكان متكئاً فجلس فقال: ـ **أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**» فما زال يقولها حتى قلت لايسكت.

وفى صحيح مسلم[٣] من حديث أبى هريره رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ**» قيل: من يا رسول اللَّه ؟ قال: «**مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**».

الأمر باتباع طريق أهل الصلاح

وفى ثنايا هذه الوصية أمر باتباع طريق أهل الايمان والصلاح، ومصادقة الصالحين ،فليرشد الأبناء إلى هذا قال الله سبحانه: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾. [القمان: ١٥] أي من رجع إلى طريقي واهتدى بهداي، أسلك سبيلهم واتبع طريقهم وسر على نهجهم.

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٥) ومسلم (٥٩٣) .

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/٤٠٥) ومسلم (حديث ٨٧) .

(٣) مسلم (٥/٤١٦) .

سائر ما فى موعظة لقمان لولده

وفى ثناياها أيضـا التذكير باليوم الأخـر وبالحساب، فليذكِّر بذلك الأبناء قال سبحانه : ﴿ **ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ . {القمان: ١٥}

وفى ثناياها أيضا التحذير من المعاصي والترغيب فى فعل الخير .

قـال لقمـان لولده : ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾ .

{القمان: ١٦}

فقوله (إنها) قال جمهور المفـسرين إن المراد بها الخطيئة، أى أن الخطيئة مهما صغر حجمها ومهمـا أخفاها فاعلها فإن الله يأت بها يوم القيامة ويطلع عليهـا فى الدنيا لاتخفى عليـه خافية سـبحانه وتعـالي ، فليعلم الأبناء هذا ويعلموا قـول الله تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه** ﴾ . {الزلزله: ٧-٨}

وكذلك قـوله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ . { الأنبياء: ٤٧}

وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾ . {القمان: ١٦} قال ابن كثير رحمه الله: أى لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، (خبير) بدبيب النمل فى الليل البهيم .

ويوصي لقمان ولده أيضاً فيقول :﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ**

عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

أما وصية الأبناء بالصلاة وتعليمهم إياها فقد تقدم .

وقوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ . [لقمان: ١٧] حث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الجهد والطاقة كما قال النبيُّ ﷺ : «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» (١) فليعلم الأولاد فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهل سيؤدي الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر إلى منكر أعظم من المنكر المتواجد أم لا ؟ فإن كان هناك منكر أعظم سيحدث فحينئذ يؤجل الأمر والنهي إلى وقت تتحقق فيه المصلحة مع انعدام الضرر أو مع أخف الأضرار، فلهذا فقه ينبغي أن يعلَّم ويُفهَّم فالله لا يحب الفساد .

ثم هناك حث على الصبر بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرا ما يصحبه ابتلاء ، فيلزم الصبر لمواجهة هذا البلاء ، كما قال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال بعض العلماء : أي مما عزمه الله وأمر به .

وقال آخرون : يعني من مكارم الأخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة.

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً .

وقال غيرهم: أي مما جعله الله عزيمة وأوجبه على عباده وحتمه على المكلفين ولم يرخص في تركه .

وفي وصية لقمان لولده كذلك: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ . [لقمان:١٨] أي لا تتكبر وتحتقر العباد وتعرض عن الناس بوجهك إذا كلمتهم احتقاراً لهم واستكباراً عليهم ، ولكن أقبل عليهم ووجهك منبسط ومقبلٌ عليهم .

فعلِّم أولادك التواضع والبشاشة في وجوه الناس والإقبال على الناس وعدم احتقارهم وازدرائهم .

وكذلك في وصية لقمان لولده: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ . [لقمان:١٨]

أي لا تمشي متبختراً متكبراً مختالاً فخوراً متطاولاً على الناس فإنك إن فعلت فإن الله يبغضك ولا يحبك .

فعلِّم أولادك هذا ، وعلمهم قوله تعالى : ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ . [الاسراء:٣٧]

وفي وصية لقمان لولده كذلك: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ . [لقمان:١٩]

أي توسط فيه ، والقصد ما بين الإسراع والبطء ، والمراد الحث على التوسط في المشي والمشي بسكينةٍ ووقار .

وفي موعظة لقمان لابنه كذلك: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ . [لقمان:١٩]

أي اخفض من صوتك وانقص منه ولا تتكلف رفعه ، فإن رفعه أكثر من

الحاجة يؤذي السامع ، ورفع الصوت ـ بما لا فائدة فيه ـ من شأنه أن يجعل الرجل مشابهاً للحمير التي أصواتها هي أنكر الأصوات وأقبح الأصوات كما قال تعالى ﴿ **إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ . [لقمان ١٩]

تعليم الأبناء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

فهذا من أفضل العلوم على الإطلاق ، وهذا من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربِّه سبحانه وتعالى :

ولدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية أجر عظيم وفيها فضل جليل وقد حث عليها ربنا سبحانه وتعالى ورغَّب فيها نبينا محمد ﷺ .

قال الله عز وجل : ﴿ **وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾ . [آل عمران : ٧٩]

وقال سبحانه : ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً** ﴾ . [البقرة : ٢٦٩]

وقال سبحانه : ﴿ **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا** ﴾ . [المزمل]

وقال عز وجل ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً** ﴾ . [طه ١١٤]

وقال عز وجل : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ . [المائدة : ١٥ ـ ١٦]

فاحرص على تعليم أبنائك القرآن .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾ . [فاطر : ٢٩]

فلك في ذلك أجر ، والدال على الخير كفاعله ، وقد أوصى النبي ﷺ بكتاب الله[١] ، والأحاديث الواردة في فضل حفظ القرآن وتعلمه كثيرةٌ معلومةٌ.

قال النبيُّ ﷺ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٢]، وفي رواية: «إن أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه » [٣] .

«وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ»[٤] كما قال النبي ﷺ .

وقال ﷺ : «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[٥] .

---

(١) أخرج البخاري (٩/٦٧) ومسلم (١:٦) من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال أوصى (النبي ﷺ) بكتاب الله .

وأخرج الإمام مسلم (حديث ٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خُماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكَّر ثم قال : أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم ثقلين أولهما كتابُ الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أُذكركم الله في أهل بيتي أُذكركم الله في أهل بيتي... الحديث.

(٢) البخاري (مع الفتح ٩ / ٧٤) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) البخاري (٩ / ٧٤) .

(٤) البخاري (مع الفتح ٩ / ٦٥) ومسلم (مع النووي ٦ / ٨٣) .

(٥) مسلم (٦ / ٨٤) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

ولفظ البخاري لهذا الحديث: «مَثَلُ الَّذي يَقْرَأُ القُرآنَ وَهُوَ حَافظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْه شَديدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»[١] .

ومنازل حملة القرآن ترتفع يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا منكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾. [المجادلة: ١١]

وقال النبي ﷺ[٢]: «يُقَالُ لصَاحبِ القُرْآنِ: اقْرَأ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتُكَ عندَ آخِرِ آيَة تَقْرَؤُهَا».

وأهل القرآن هم[٣] أهل اللّه وخاصته، كما قال النبيُّ ﷺ .

وأخرج الحاكم[٤] في المستدرك من حديث بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَملَ به أُلْبسَ يَومَ القيَامَة تَاجاً منْ نُور ضَوْؤُهُ مثْلُ ضَوْء الشَّمْس ويُكْسَى وَالدَيْه حُلَّتَان لا يَقُومُ بهمَا الدُّنْيَا فَيَقُولانِ بمَا كُسينَا هَذَا فيُقَالُ بأَخْذ وَلَدكُمَا القُرْآنَ».

والسكينة تتنزل للقرآن[٥] كما قال النبي ﷺ .

---

(١) البخاري (٤٩٣٧) من حديث عائشة مرفوعاً أيضاً .

(٢) أبو داود (٢/ ١٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ بإسناد حسن .

(٣) قال النبي ﷺ : «إن لله عزَّ وجل أهلين من الناس، قيل من هم يارسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» أخرجه أحمد (٣/ ١٢٧) بإسناد حسن من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «إن لله عزَّ وجل أهلين من الناس، قال قيل من هم يارسول الله؟ قال «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» .

(٤) الحاكم (١/ ٥٦٨) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٥) أخرج البخاري (مع الفتح٩/ ٥٧) من حديث البراء ﷺ قال: فقال النبي ﷺ : «تلك =

والرحمة تغشى من يتلون كتاب الله ويتدارسونه[١]، والملائكة تحفهم بل وتستمع لقراءتهم، واللسان يُرطَّب بالقرآن[٢].

فليُعلّم الأبناء إذن القرآن ، كلٌ بحسب طاقته ، وكلٌ على قدر استيعابه وذكائه ، وقد تقدم أن ابن عباس كان يضع الكبل في رجل عكرمة حتى يتعلم القرآن والسُّنة .

وها هو ابن عباس ﵄ هو الآخر يجمع المحكم وهو صغير .

أخرج البخاري[٣] من حديث ابن عباس ﵄ قال: **توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين [٤] وقد قرأت المحكُم »** [٥].

= **السكينة تنزلت بالقرآن** » وأخرجه مسلم أيضا .

(١) أخرج مسلم مع النووي (٢١/١٧) من حديث أبي هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : «**مااجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**».

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٧٩٣) وأحمد (١٨٨/٤) والترمذي (٣١٤/٩) من حديث عبد الله بن بسر ﵁ وهو صحيح بمجموع طرقه .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٣٦) .

(٤) استشكل بعض العلماء هذا الحديث لقول ابن عباس **توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين** وذلك لما رواه البخاري (٤٩٣) وغيره من حديث ابن عباس أنه قال **أقبلت راكباً على حمار أتان وأنا يومئذٍ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله ﷺ يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار** . .
وأجاب بعضهم على هذا الإشكال بأن قال : يحتمل أن قوله « **وأنا ابن عشر سنين** » راجع إلى حفظ القرآن لا إلى وفاة النبي ﷺ ، ويكون تقدير الكلام : **توفى النبي ﷺ وقد جمعت المحكم وأنا ابن عشر سنين ففيه تقديم وتأخير** (انظر فتح ٨٤/٩) .

(٥) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : والمراد بالمحكم الذي ليس فيه منسوخ .

وقد بوَّب الإمام البخاري لهذا الأثر بباب (**تعليم الصبيان القرآن**) .

وقال الحافظ في الفتح : لعل المصنف أشار في الترجمة إلى قول ابن عباس سلوني عن التفسير فإني حفظت القرآن وأنا صغير . وقال الحافظ أخرجه ابن سعد وغيره بإسناد صحيح .

وها هو ابن عباس يقيد عكرمة بالقيود حتى يتعلم القرآن .

قال عكرمة « **لقد رأيتني وابن عباس موثقي على تعلم القرآن** » .

وأيضا علِّم أولادك العقيدة الصحيحة والإيمان وسنة رسول الله ﷺ فالتوحيد أصل ديننا ، ولا يقبل من شخص عملاً إلا مع الإخلاص وتوحيد الله سبحانه وتعالى ، فعلِّم أبناءك ذلك من خلال كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

وقد تقدمت تلك الكلمات العظيمة التي علمها رسول الله ﷺ لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما وفيها أن النبي ﷺ قال له: «**يَا غُلامُ إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلمَات احْفَظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظ اللَّهَ تَجِدهُ تُجَاهَكَ، إذَا سَأَلْتَ فَاسْأَل اللَّهَ، وَإذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعنْ باللَّه، واعْلَم أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بشَيء لَم يَنْفَعُوكَ إلا بشَيء قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، ولَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بشَيء لَمْ يَضُرُّوكَ إلا بشَيء قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيك، رُفعَت الأقْلامُ وَجَفَّت الصُّحُفُ**»[١] .

وأخرج ابن ماجه[٢] من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : **كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم**

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٢٥١٦) بإسناد صحيح لشواهده .

(٢) ابن ماجة حديث (٦١) .

تعلَّمنا القرآن فازددنا به إيمانًا » .

ورسولنا ﷺ يُعلِّم الحسن بن على كلمات يسيرات سهلة في حفظها قوية في معناها ومبناها كي يقولها في الوتر قال الحسن بن علي رضي الله عنهما علمني رسول الله ﷺ أن أقول في الوتر : « **اللَّهُمَّ اهْدني فيمَنْ هَدَيتَ وتَوَلَّني فيمَنْ تَوَلَّيتَ وعَافني فيمَنْ عَافَيتَ وبَارِكْ لي فيمَا أَعْطَيتَ وقني شرَّ مَا قَضَيتَ إنَّكَ تَقْضي ولا يُقْضَى عَلَيكَ إنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلا يَعِزُّ مَن عَادَيتَ تَبَارَكْتَ وتَعَالَيتَ**»[1] .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعلمون أبناءهم سنة رسول الله ﷺ فها هو سعد بن أبي وقاص يُعلم بنيه أذكاراً سمعها من رسول الله ﷺ .

أخرج البخاري[2] من طريق عمرو بن ميمونة الأودي قال: كان سعد يُعلِّم بنيه هؤلاء الكلمات كما يُعلِّم المعلم الغلمان الكتابة ويقول: إن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوَّذ منهن دبر الصلاة : «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ منْ الجُبن، وَأَعُوذُ بكَ أَنْ أُرَدَّ إلَى أَرْذَل العُمُر، وَأَعُوذُ بكَ منْ فتْنَة الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بكَ منْ عَذَاب القَبْر**» .

وأبو بكر كذلك:

أخرج النسائي[3] بإسناد حسنٍ من حديث مسلم بن أبي بكرة أنه سمع

---

(١) صحيح أخرجه الطبراني (٣/ ٧٥ رقم ٢٧٠٧ ٩ وأحمد (١/ ١٩٩ـ ٢٠٠) وأبو داود (١٤٢٥) والترمذي (٤٠٦٤) وغيرهم .

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥ حديث ٢٨٢٢) .

(٣) النسائي (٨/ ٢٣٠).

والده يقول في دبر الصلاة: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالفَقْرِ وَعَذَابِ القَبْرِ**»، **فَجَعَلْتُ أَدْعُو بِهِنَّ فَقَالَ يَا بُنَيّ أَنَّى عُلِّمت هؤلاء الكلمات؟ قلت: ياأبت سمعتك تدعو بهن في دبر الصلاة فأخذتهن عنك، قال فالزمهن يا بني فإن نبي اللَّه ﷺ كان يدعو بهن في دبر الصلاة** .

وقد كان النبيُّ ﷺ **يعلِّم أصحابه الأذكار كذلك:**

فعند أبي داود باسناد صحيح[1] من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللَّه إِنِّي لأُحِبُّكُ، وَاللَّه إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَة تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

وكذلك فعلِّم **أولادك الأحاديث** التي تحث على جميل الخلق وكريم الخصال وجيد الطباع وكذلك علمهم ما يحتاجون إليه من أحاديث الأحكام ونحو ذلك .

وكذلك فعلِّم أبناءك الفقه في الدين، فإن النبي ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[2].

وهذه بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ التي ينبغي أن تُحفظ ، وقد دعا النبي ﷺ لحملة سنته وحافظيها فقال: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ**»[3].

---

(١) أبو داود (٢/ ١٨٠) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧١) ومسلم (حديث ١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) صحيح متواتر ، وقد أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٥/ ١٨٣).

وقال رسول الله ﷺ : «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»(١).

وقال النبي ﷺ لأبي موسى: «**يَا أَبَا مُوسَى أَلا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟**» فقلت: بلى يا رسول اللَّه، قال: «**قُلْ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ**»(٢).

وكان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»، وإِذَا اسْتَيْقَظَ قال: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»(٣).

وكان إذا دخل الخلاء قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**»(٤).

وعلَّم النبي ﷺ أبا بكر دعاءً يدعو به في صلاته فقال له: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٥).

وهذا سيد الإستغفار:

أخرج البخاري من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: سيد الاستغفار أن تقول: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا**

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٧٥٦٣) وهو آخر حديث أخرجه البخاري في صحيحه وأخرجه أيضا مسلم (مع النووي ١٧/ ١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) البخاري (حديث ٦٦١٠) ومسلم (حديث ٢٧٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) البخاري (مع الفتح١١/ ١١٣) ومسلم (مع النووي ١٧/ ٣٥) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا.

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ١/ ٢٤٢) ومسلم (٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً .

(٥) البخاري(مع الفتح ٢/ ٣١٧) ومسلم (مع النووي ١٧/ ٢٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً .

عَبْدُكَ، وأَنَا عَلَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ»[1].

وعلمهم أيضا معـاني الكلمات والمفردات السهلة واليسيرة من كتاب الله وتدرج معـهم في ذلك على حسب أعـمارهم وأفهـامهم وقدراتهم، ولتـبدأ معهم بالذي هو أكـثر تلاوة وقراءة ألا وهو جزء « **عـم** » فعلِّمهم شـيئًا من معاني مفـرداته السهلة اليسيرة ثم ترقى مـعهم شيئاً فشيـئًا، فلا يليق بك أن تجهل معنى قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾ [الفلق: ١]

وقوله : ﴿**ومِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾ [الفلق: ٣]

وقوله : ﴿**ومِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ [الفلق: ٤]

ولا يليق بك أن تجهل مـعنى العاديات والقارعة والنازعـات وعبس ونحو ذلك، فعلِّم أولادك هذه المعاني المتكررة السهلة اليسيرة .

وكذلك روِّح علـيهم بذكر قصص الأنبيـاء وأهل الفضل والصلاح تلكم القصص التي تحمل معاني عظيمـة وتؤصل أصولاً طيبة كتلكم القصص التي تبين فضل الصـبر وعاقـبة الصبر، والـقصص التي تبين فضل العـفو وعظيم أثره، والقصص التي تحمل مـعنى الصدق والشجاعة والكرم والوفاء والـتذكير باليوم الآخر والتعريف بربهم وبنبيهم محمد ﷺ وبأمور دينهم .

وكذلك قصص الفـتيان ذوي العقول والأفئدة والشجعان من أهل الإيمان وأصحاب البطولات منهم :

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/٩٧) .

فتيان وغلمان لهم ذكرٌ وشأن

﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ .

إنه خليل الرحمن إبراهيم ﷺ الذي وفيٌّ فتى آتاه الله رشده في صباه.

وجد قومه في تيه وضلال ، وغيٍّ وخسران فأبى أن يكون مع الجاهلين!! فكَّر في أحجار يعبدها قومه فوجدها لا تنفع ولا تضر ، ولا تسمع ولا تبصر، لا تغني عنه شيئاً فقرر اعتزالها وقرر تركها وهجرانها ، بل قرر تدميرها وراغ عليها ضرباً باليمين ، وجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون ، هكذا صنع الفتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

فكر إبراهيم ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ {الأنعام:٧٦} إذ هو أفضل من الحجر والصنم، فأفل الكوكب فقال ابراهيم لا أحب الآفلين.

ثم رأي القمر بازغاً فقال هذا ربي إذ هو أعظم من الكوكب ولكن القمر هو الآخر أفل فقال : ﴿ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ .

{الأنعام: ٧٧ }

فرأى الشمس بازغة فقال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت أعلنها صريحة مدوية في الآفاق : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾. { الأنعام: ٧٨ـ ٧٩ }

فحينئذٍ حاجه قومه فحاجهم وناظروه فناظرهم وقلب الحجة عليهم قال

عليه السلام : ﴿ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ . وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ . { الأنعام : ٨٠ ـ ٨٢ }

هكذا قال إبراهيم الخليل ﷺ ، فكَّر ولم يقلِّد ، لم يُقلِّد أباً في ضلاله ولم يتبع قوماً على باطل ، بل نصح وذكَّر .

قال لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا . يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا . يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ . { مريم ٤٢ ـ ٤٥ }

ويهدده أبوه فيأبى التهديد ولا يقبل الرجوع إلى الباطل بحال يقول له أبوه : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ . {مريم : ٤٦ }

فيقول الخليل : ﴿ قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ ﴾ !! . { مريم : ٤٧ }

يبين لقو ـ ـ يوضح لهم غاية البيان والإيضاح : ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ .

{ الصافات : ٩٥ }

﴿أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ . {الصافات : ٨٦ }

ويقذف في النار وهو صابر محتسب يقول حسبي الله ونعم الوكيل [١] فينجيه الله من النار وتكون عليه برداً وسلاماً .

يخرج إبراهيم فيقرر ترك الديار ومفارقة القوم والأصحاب إذ هم على غير دينه وعلى غير طريقته ، ويقول : ﴿ **إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ . [الصافات: ٩٩-١٠٠]

فيخرج صلوات الله وسلامه عليه فيتولاه الله بنصره وتأييده وحفظه ورعايته وكان عليه السلام للمتقين إماماً !!!

وهذا ولده إسماعيل عليه السلام

انظر إلى هذه السكينة التي أنزلها الله عليه والطمأنينة التي أسكنها الله في قلبه وأبوه يخاطبه فيقول له: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ** ﴾ . [الصافات: ١٠٢] فماذا يقول هذا الابن البار الراشد ؟!

قال مقولةً هي والله نعم المقولة والجواب: ﴿ **قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ . [الصافات: ١٠٢]

إنه الأدب ، إنه الإيمان ، إنه الصبر والاحتساب ﴿ **أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ** ﴾ . [الصافات: ١٠٣] استسلم ابراهيم وابنه اسماعيل لأمر الله عز وجل طَرحَ إسماعيل على وجهه على الأرض ، وأتى أبوه بالسكين ، ولكن الله أنزل الفداء وفديناه بذبح عظيم ! إنه الفرج بعد الكرب، والنصر بعد الصبر ،

---

(١) أخرج البخاري (٤٥٦٤) من حديث ابن عباس ﷺ قال: «**كان اخر قول إبراهيم حين ألقي في النار حسبي الله ونعم الوكيل**».

واليسر بعد العسر ! فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين !

يشارك إسماعيل أباه في فعل الخير يرفع قواعد البيت الحرام مع أبيه **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** . { البقرة: ١٢٧ـ ١٢٨ }

هكذا يشارك الولد أباه في فعل الخير ويسأل الله القبول !!

وهذا الصديق يوسف ﷺ

نال أوفر حظ وأعظم نصيب من حديث رسول الله ﷺ : «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ**»(١) فله من كل فقرة في هذا الحديث أعظم نصيب وأعظم ذلك وأجله معه إنه دعته امرأة ذات منصب وجمال فامتنع وأبى مع مطاردتها له في بيتها وإغلاقها الأبواب ، وهو يقول : **﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾** . {يوسف: ٢٣ }

فحقاً إنه عفيف متعفف ، بعيدٌ عن الخنا والزنا والغدر والفواحش صلوات الله وسلامه عليه ، فليعلَّم الأبناء قصته ويذكروا بسيرته صلوات ربي وسلامه عليه .

وهذا يحيى بن زكريا عليهما السلام

هذا يحيى الذي لم يجعل الله له من قبله سميا: **﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾** . {مريم: ٧ }

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري (حديث ١٤٢٣) ومسلم(حديث ١٠٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ .

لم يُسمَّ أحدٌ قبله بيحيى!!!

لم يجعل الله له شبيهاً من قبله ولا مثيلاً .

هذا يحيى الذي آتاه الله الحكم صبيا : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .

[مريم : ١٢]

رزقه الله الفهم والحكمة والعقل والجد والعزم والاجتهاد في العبادة والإقبال على الخير منذ الصغر .

أورد الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ وغيره عن معمر قال : **قال الصبيان ليحيى ابن زكريا عليهما السلام اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقنا قال فلهذا قال ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ .** [مريم: ١٢]

فهذا هو يحيى عليه السلام فلننظر كيف رزق به أبوه وكيف جاء ، فمرحباً به ولنعم المجيء جاء !!

أبوه زكرياء عليه السلام ، وخالته مريم ابنة عمران عليهما السلام ، وابن خالته عيسى عليه السلام! فحقاً إنه بيت نبوة وحقاً إنها ذرية صالحة بعضها من بعض كما قال الله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** .

[آل عمران: ٣٣ـ٣٤]

ترى كيف جاء؟

أبوه كان لا يولد له، وقد بلغ من الكبر عتيا وهن عظمه واشتعل رأسه شيبا وأمه كانت عاقراً.

ولكن أباه لم ييأس من روح الله ، ولم يقنط من رحمة ربِّه ومولاه !'

دخل زكرياء على مريم عليها السلام فوجد عندها رزقا (كما قال العلماء فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف)

فسألها زكريا : ﴿ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ . { آل عمران: ٣٧ }

قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحينئذ ، وعندئذ دعا زكرياء ربه الذي رزق مريم أن يرزقه هو الآخر ، الذي منَّ على مريم بالرزق بغير حساب قادر على أن يمن عليَّ بالولد ، وإن كبرت ، وإن وهن العظم مني ، وإن اشتعل الرأس شيبا فالله قادر على أن يرزقني بالولد ، وبالولد الصالح فـ ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . { آل عمران: ٣٨ }

فهكذا يتأتى الفضل من وراء مجالسة الصالحين ، تشجع زكرياء ودعا ربه لما رأى الرزق الغزير يتدفق على مريم عليها السلام .

دعا زكريا عليه السلام ، وكان من دعائه أيضا : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ . { الأنبياء: ٨٩ }

وها هنا علمنا زكرياء عليه السلام آداباً للدعاء :

فأولها : ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ . { مريم: ٣ } أسر زكرياء بالدعاء وهكذا ينبغي أن يكون الأغلب من أمر الدعاء ألا وهو الإخفاء قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ . { الأعراف: ٥٥ }

ثانيا : أظهر ضعفه واتكساره لخالقه ومولاه ، بقوله : ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ . [مريم : ٤]

ثالثا : توسل إلى الله بسابق إحسانه إليه ، بقوله : ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ . [مريم : ٤] أي يارب إنك كريم جواد لم تجعلني شقيا بالرد والحرمان ، فكل شيء سألتك أعطيتني منه .

وكل ما دعوتك به فقد أجبتني ، فلا تمنعني ياصاحب الفضل وياصاحب الإحسان من فضلك وإحسانك .

رابعاً : بيَّن العلة من سؤاله وأوضحها ، وهي علة شرعية لها وجه محمود ألا وهي ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي ﴾ . [مريم: ٥] أي خفت من أقاربي وعصبتي أن لا يقيموا الدِّين من بعدي ولا يقوموا بأمرك فأردت يارب ولياً من ذريتي يرث علمي ونبوتي ويقوم في قومي بالعدل والإحسان ويقيم أمرك ويراعي حدودك .

خامسا: بين حال امرأته أيضا لله ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ . [مريم: ٥]، فهي وإن كانت عاقراً لكني لا أقنط أبداً من رحمتك ولا أيأس أبداً من روحك .

سادساً : لم يطلب الولد للتباهي به والافتخار والتعالي على الناس ولا للأشر والبطر والكبر والغرور ، ولكنه طلب الولد كما قال : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ . [مريم: ٦] ولم يطلب ولداً شريراً بل قال : ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . [مريم: ٦]

فحينئذٍ صـدرت هذه الدعوة الصالحة ـ ليس فيهـا إثم ولا قطيعة رحم ـ صدرت هذه الدعوة الطيبة من نبي تقي خاشع لله يدعوه رغباً ورهباً ، يدعوه متـذللاً منكسـراً ، يدعو ربَّه بصـلاح الذرية ، يدعوه كي يُقـام الدين وتعلو كلمة الله ، يدعـوه متوسلاً إليه بسـابق الإحسان فحـرى بمثل هذه الدعوة أن تُجاب ، فإنما يتقبل الله من المتقين .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ . [غافر : ٦٠]

وقد قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ . [البقرة : ١٨٦]

فأجيبت دعوة زكرياء عليـه السلام ، وأُعطي أفضل مما سأل وخـيراً مما سأل وأكثر مما سأل .

قـال تعـالى : ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ . [مريم : ٧]

﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ . [مريم : ١٢]

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ . [مريم : ١٣] أي جـعلناه ذا حنان وذا زكـاة ، والحنان هو المحـبة والـشفـقـة لوالديه ولأهل الإيمان ، والزكـاة الطهارة من الذنوب والآثام والزكاة كـذلك العمل الصالح ﴿ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ . [مريم : ١٣] قال ابن كثير : طَهُرَ فلم يعمل بذنب .

وإضافة إلى ذلك : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ . [مريم : ١٤] وأيضا : ﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ . [مريم : ١٥]

فـهكذا فضل الله ، وهـكذا نعم الله ، وبمثل هذا تجـاب دعوات المتـقين فليعقل ذلك العالمون ، وليفهم ذلك المتقون وليذكر ذلك العابدون !!!

وفتية آخرون آمنوا بربهم فزادهم الله هدى

إنهم أصحاب الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ .

[الكهف : ١٣]

فتيةٌ وجدوا أقوامهم على ضلال فأبوا المسير في الضلال .

وقرروا مـفارقة الأهل والأوطان والأصـدقاء والخلان ، مادام الأصـدقاء والخـلان في غي وضلال وشـر وفسـاد ، وشرك وكـفران ، فـالخلة لا تنفع والصـداقة لا تشـفع يوم يأتي يوم لا يـنفع فيـه مـال ولا بنون ولا خلة ولا شفـاعة، بل تتحـول الخلة إلى عداوة ، والصداقـة إلى لعنات مادامت الخلة والصداقة ليست وفق أمر الله وليـست للوصول إلى طريق الله ، قال تعالى : ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ . [الزخرف : ٦٧]

قرر هؤلاء الفتية ترك الكفر ومفارقة أهله ودياره والفرار بدينهم فآووا إلى كهف واستقروا فيه كمـا ذكر الله شأنهم في كتابه حيث قال : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ . [الكهف : ١٣]

وهذا غلام أصحاب الأخدود

هذا غلام آتاه الله رشده ففكر واختار الخير وآثر الحق على الباطل ، وآثر الإيمان على السحـر والكفر، وضحى بنفـسه في سبـيل الله وفي الدعوة إلى طريق الله هذا حديثه وتلك قصته .

أخرج الإمام مسلم [١] في صحيحه من حديث صهيب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ مَلكٌ فيمَنْ كَانَ قَبْلَكُم وكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلمَّا كَبُرَ قَالَ للمَلك: إنِّي قد كَبِرْتُ فَابْعَثْ إلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمُهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إليه غُلامًا يُعَلِّمُهُ، فكَانَ في طَريقه إذَا سَلَكَ رَاهبٌ فَقَعَدَ إليه وسَمعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ فكَانَ إذَا أَتَى السَّاحرَ مَرَّ بالرَّاهب وقَعَدَ إلَيه فَإذَا أَتَى السَّاحرَ ضَرَبَهُ. فَشَكَا ذَلكَ إلَى الرَّاهب فقَالَ: إذَا خَشيتَ السَّاحرَ فَقُلْ: حَبَسَني أَهْلي. وإذَا خَشيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَني السَّاحرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلكَ إذْ أَتَى عَلَى دَابَّة عَظيمَة قَدْ حَبَسَت النَّاسَ. فَقَالَ: اليومَ أَعْلَمُ السَّاحرَ أَفْضَلَ أم الرَّاهبَ أَفْضَل؟ فَأَخَذَ حَجَراً فقَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهب أَحَبَّ إلَيكَ منْ أَمْر السَّاحر فَاقْتُل هَذه الدَّابَة حَتَّى يَمْضي النَّاسُ فرَمَاهَا فَقَتَلَهَا ومَضَى النَّاسُ فَأتَى الرَّاهبَ فَأَخْبَرَهُ فقَالَ لَهُ الرَّاهبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ اليَوْمَ أَفْضَلُ منِّي. قَدْ بَلَغَ منْ أَمْركَ مَا أَرَى وإنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإنْ ابْتُليتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ. وكَانَ الغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ[٢] والأَبْرَصَ ويُدَاوي النَّاسَ منْ سَائر الأدْوَاء، فَسَمعَ جليسٌ للمَلك كَانَ قَدْ عَمىَ فَأَتَاهُ بهَدَايَا كَثيرة فقَالَ مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إنْ أَنْتَ شَفَيْتَني. فَقَالَ: إنِّي لا أَشْفي أَحَداً إنَّمَا يَشْفي اللَّهُ فَإنْ أَنْتَ آمَنْتَ باللَّه دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ؛ فَآمَنَ باللَّه فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى المَلكَ فَجَلَسَ إلَيْه كمَا كَانَ يَجْلسُ فقَالَ لَهُ المَلكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: ولَكَ رَبٌّ غَيْري؟ قَالَ: رَبِّي ورَبُّكَ اللَّهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلام. فَجيءَ بالغُلام. فَقَالَ لَهُ المَلكُ: أَيْ بُنَيَّ قَد بَلَغَ منْ سحْركَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وتَفْعَلُ. فقَالَ: إنِّي لا أَشْفي أَحَداً. إنَّمَا

---

(١) مسلم (حديث ٣٠٠٥) .

(٢) الأكمه هو الذي ولد أعمى .

يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبْهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِع عَنْ دِينِك فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ[1] فَوُضِعَ الْمِئْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِع عَنْ دِينِك فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ. فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِع عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِن أَصْحَابِهِ فقالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ فإذَا بَلَغْتُم ذِرْوَتَه[2]، فَإِنْ رَجَعَ عن دِينِه وَإِلاَّفَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الجَبَلَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبَلُ[3] فَسَقَطُوا وجَاءَ يمشي إِلَى الملك فقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَل أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلى نَفَرٍ من أَصْحَابِه فقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ[4]، فَتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ. فَإِن رَجَعَ عَن دِينِه وَإِلا فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ: فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ[5] فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلى المَلِك فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَل أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِه. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ[6] وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي. ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ

(١) (بالمئشار) مهموز في رواية الأكثرين: ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء. وروى: المنشار، بالنون وهما لغتان صحيحتان.

(٢) (ذروته) ذروة الجبل أعلاه ، وهي بضم الذال وكسرها .

(٣) (فرجف بهم الجبل) أي اضطرب وتحرك حركة شديدة .

(٤) (قرقور) القرقورة السفينة الصغيرة . وقيل : الكبيرة . واختار القاضي الصغيرة ، بعد حكايته خلافا كثيرا .

(٥) (فانكفأت بهم السفينة) أي انقلب .

(٦) (صعيد) الصعيد ، هنا ، الأرض البارزة .

في كَبِد القَوس(١) ثُمَّ قُل: باسْمِ اللَّه، رَبِّ الغُلام ثُمَّ ارْمني فَإِنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذَلكَ قَتَلْتَني فَجَمَعَ النَّاسَ في صَعيد وَاحد وَصَلَبَهُ عَلَى جذْع ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا من كنَانَته ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبِد القَوْس ثُمَّ قَالَ: باسم اللَّه رَبِّ الغُلام ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغه فَوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغه في مَوْضع السَّهم فَمَاتَ؛ فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا برَبِّ الغُلَام. آمنَّا برَبِّ الغُلام. آمَنَّا برَبِّ الغُلام. فَأُتيَ المَلكُ فَقيلَ لَهُ: أَرَأَيتَ مَا كُنتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللَّه نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ(٢) قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بالأُخْدُود(٣) في أَفْوَاه السِّكَك(٤) فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِع عَنْ دينه فَأَحْمُوهُ فيهَا(٥) أَوْ قيلَ لَهُ: اقْتَحمْ. فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَت امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ(٦) أَنْ تَقَعَ فيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلامُ: يَا أُمَّهْ اصْبري فَإِنَّك عَلَى الحَقِّ».

وهذا عليٌّ رضي الله عنه !!

هذا عليٌّ الذي يحب اللَّهَ وَرَسُولَهُ ويحبه اللَّهُ وَرَسُولُهُ!!

هذا عليٌّ رضي الله عنه في صباه، وهذا شيء من شجاعته في صغره وتضحيته

(١) (كبد القوس) مقبضها عند الرمي .

(٢) (نزل بك حذرك) أي ما كنت تحذر وتخاف .

(٣) (بالأخدود) الأخدود هو الشق العظيم في الأرض ، وجمعه أخاديد .

(٤) (أفواه السكك) أي أبواب الطرق .

(٥) (فأحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ : فأحموه بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا ووقع في بعض نسخ بلادنا : فأقحموه ، بالقاف . وهذا ظاهر . ومعناه اطرحوه فيها كرها . ومعنى الرواية الأولى ارموه فيها . من قولهم : أحميت الحديدة وغيرها ، إذا أدخلتها النار لتحمى .

(٦) (فتقاعست) أي توقفت ولزمت موضعها ، وكرهت الدخول في النار .

من أجل الإسلام ومن أجل رسول الله ﷺ .

أخرج الإمام أحمد [١] بإسناد صحيح لشواهده عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه رهطٌ فقالوا يا بن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن تخلونا هؤلاء قال فقال ابن عباس بل أقوم معكم قال وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى قال فابتدؤا فتحدثوا فلا ندري ماقالوا قال فجاء ينفض ثوبه ويقول أف وتف وقعوا في رجل له عشر وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ : **«لأبْعَثَنَّ رَجُلاً لا يُخْزِيه اللَّهُ أَبَدًا يُحبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»** قال: فاستشرف لها من استشرف قال: **«أيْنَ عَلَيٌّ؟»** قالوا هو في الرحل يطحن قال: **«وَمَا كَانَ أَحَدُكُمْ لَيَطحَن»** قال: فجاءوا وهو أرمد لايكاد يبصر قال فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثا فأعطاها إياه فجاء بصفية بنت حيي قال ثم بعث فلانا بسورة التوبة فبعث عليا خلفه فأخذها منه قال: **«لا يَذْهَبُ بهَا إلا رَجُلٌ منِّى وأَنَامنْهُ»** قال: وقال لبني عمه: **«أَيُّكُمْ يُوَالِيني في الدُّنْيَا وَالآخرَة»** قال: فتركه ثم أقبل على رجل منهم فقال: **«أَيُّكُمْ يُوَالِيني في الدُّنْيَا وَالآخرَة»** فأبوا قال: فقال عليٌّ: أنا أواليك في الدنيا والآخرة. فقال: **«أَنْتَ وَليٌّ في الدُّنْيَا وَالآخرَة»** قال: وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة قال وأخذ رسول اللَّه ﷺ ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال: **«إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ليُذْهبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْت وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيرًا»** قال وشرى عليٌّ نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه قال وكان المشركون يرمون رسول اللَّه ﷺ فجاء أبو بكر وعلي نائم قال وأبو بكر يحسب أنه نبي اللَّه قال فقال يا نبي قال فقال له علي إن نبي

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠ـ٣٣١) ، وله شواهد انظر المسند (١/ ٣٤٨) ، وثمَّ شواهد أخر وفيها مقال .

اللَّه ﷺ قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه قال فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال وجعل يرمي بالحجارة كما يرمي نبي اللَّه وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا إنك للئيم كان صاحبك نراميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك قال وخرج بالناس في غزوة تبوك قال فقال له على أخرج معك قال فقال له نبي اللَّه: «**لا**» فبكى على فقال له: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ من مُوسَى إلا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، أَنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إلا وأَنْتَ خَلِيفَتِي**» قال: وقال له رسول اللَّه ﷺ: «**أَنْتَ وَلِيّ فِي كُلِّ مُؤْمِن بَعْدِي**» وقال: «**سُدُّوا أَبْوابَ المَسْجِدِ غَيرَ بَابِ عَلِي**» فقال: فيدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره قال: وقال: «**مَنْ كُنتُ مَوْلاهُ فَإِنَّ مَوْلاهُ عَلِيٌّ**» قال: وأخبرنا اللَّه عز وجل في القرآن أنه قد رضي عنهم عن أصحاب الشجرة فعلم مافي قلوبهم هل حدثنا أنه سخط عليهم بعد ما قال وقال نبي اللَّه ﷺ لعمر حين قال ائذن لي فلأضرب عنقه قال: «**أَوَ كُنتَ فَاعِلا! وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَد اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**» حدثنا عبد اللَّه حدثني أبي ثنا أبو مالك كثير بن يحيى قال ثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو ابن ميمون عن ابن عباس نحوه.

معاذ ومعوذ ابنا عفراء

وهما اللذان قتلا أباجهل بن هشام، فانظر إلى قوة العزيمة فيهما، والإصرار على الانتقام من عدو الله أبي جهل أو الموت دون ذلك.

أخرج البخاري ومسلم [1] من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ قال: «**إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا**

(١) البخاري (حديث ٣٩٨٨) ومسلم (حديث ١٧٥٢).

السن فكأني لم آمن بمكانهما ، إذ قال لي أحدهما سراً من صاحبه : ياعم أرني أبا جهل . فقلت : يا ابن أخي وما تصنع به ؟ قال : عاهدت اللَّه إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سراً من صاحبه مثله . قال فما سرني أني بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتي ضرباه وهما ابنا عفراء » [1] .

أما حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

الذي دعا له رسول الله ﷺ بالفقه في الدين ، فهذا شيء من سيرته في صغره ، وهذا شيء من نباهته وحرصه على طلب العلم رضي الله عنه وأرضاه.

أخرج الدارمي[2] باسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«لما توفي رسول اللَّه ﷺ قلت لرجل من الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت علي المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه فتسفى الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني فيقول : ياابن عم رسول اللَّه ما جاءبك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ !فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث قال: فبقى الرجل حتى رآني وقد اجتمع**

(١) عند البخاري (٣١٤١)من الزيادة : ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال : « **أيكما قتله؟ » قال كل واحد منهما : أنا قتلته فقال : « هل مسحتما سيفيكما » قالا : لا فنظر في السيفين فقال : « كلاكما قتله » . سلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، وكانا معاذ بن عفراء ومعاذ ابن عمرو بن الجموح .**

(٢) سنن الدارمي (١/ ١٤١ ـ ١٤٢).

الناس عليٍّ فقال: كان هذا الفتى أعقل مني » .

ولهذا نبغ ابن عباس وتفوق وفـاق الأقران ﷺ وأرضاه، فالعلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يؤته ، ومن يتق الشر يُوقه !؟

ولهذا أثنى عليه الصحابة ﷺ والتابعون كذلك ، وقد تقدم أن عمر كان يُدخله عليه مع الأشياخ .

وقال ابن مسعود في شأنه: « نعم ترجمان القرآن ابن عباس » [١] .

وقال أيضا: « **لو أدرك ابن عباس أسناننا ماعاشره منا رجل** » [٢] .

وقال مجاهد: « **كان ابن عباس إذا فسَّر الشيء رأيت عليه نوراً** » [٣] .

وقال يزيد بن الأصم : « **خرج معاوية حاجاً وخرج معه ابن عباس فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يسأل عن الفقه** » [٤] .

وقـال شقـيق: «**كان ابن عبـاس على الموسم فخطب فافتـتح سورة النور فجعل يقرأ ثم يُفسر، فقال شـيخ من الحي : سبحان اللَّه ما رأيت كلاماً يخرج من رأس رجل لو سمعته الترك لأسلمت**» [٥] .

فحقاً إن الإمامة لا تُنال إلا بالصبر !

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (المصنف ١٢٢٦٩) وأحمد في فضائل الصحابة (١٨٦٣) .

(٢) ابن أبي شيبة (المصنف ٦٨/١٢٢) ، وهو صحيح .

(٣) زوائد فضائل الصحابة لعبد الله بن أحمد (١٩٣٥) ، وهو صحيح .

(٤) عبد الله بن أحمد (في الزوائد على فضائل الصحابة ١٩٤٧) باسناد صحيح .

(٥) عبد الله بن أحمد في الزوائد على فضائل الصحابة (١٩٣٤) باسناد صحيح .

لم يركن ابن عباس على دعوة الرسول ﷺ له بقوله: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّين وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**».

ولا على قوله ﷺ «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الحِكْمَةَ**».

لم يركن على هذا فحسب بل صبر أيضا وصابر وثابر على تحمل المشاق والمتاعب والصعاب من أجل تحصيل العلم .

وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾. { السجدة: ٢٤ }

وقد أحسن من قال إن الإمامة لا تُنال إلا بالصبر !

وكذلك علّمهم الورع وترك المشتبه والمحرم

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : «**حفظت من رسول الله** ﷺ : «**دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَالا يُرِيبُكَ**» »[1] .

أي الأمر الذي يشغلك وتشك فيه فاتركه واذهب إلى الأمور التي ليس فيها شبهٌ ولا شكوك ولا ارتياب .

إذا رأيت قرشاً تشك فيه هل هو لك أو لغيرك فاتركه لغيرك .

ها هو الرسول ﷺ يرى في فم الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة والصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ﷺ ، فيستخرجها من فيه

(١) صحيح أخرج الترمذي (حديث ٢٥١٨) وقال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أيضا أحمد (١/ ٢٠٠) .

ويقول له: «كِخْ! كِخْ! أَمَا عَلِمتَ أَنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَةَ؟!»[١].

حقا إنها تربية صالحة، وتعويدٌ على الطاعات وتنشئةٌ على الحلال فمن ثمَّ خرج الحسن بن عليٍّ سيد من السادات، بل سيد شباب أهل الجنة مع أخيه الحسين !!

مطعم طيب من الصغر، ومشرب طيب وملبسٌ طيبٌ، وقد أحسن من قال:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا ... عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

وللرجل أن يختار لأولاده الأفضل والأكمل من أمر دينهم ويرشدهم إليه ويدلهم عليه، وخاصة إذا وجد منهم استعداداً وقبولاً لذلك.

أخرج البخاري[٢] من حديث ابن عمر ﷺ قال: **أتى النبي ﷺ بيت فاطمة فلم يدخل عليها، وجاء عليٌّ فذكرت له ذلك، فذكره للنبي ﷺ قال: «إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى بَابِهَا سِتْراً مُوشياً»[٣] فَقَالَ: مَالِي وَللدُّنيا؟ فأتاها عليٌّ فذكر ذلك لها فقالت ليأمرني فيه بما شاء، قال «تُرسلي به إِلَى فُلانٍ أَهْلَ بَيْتٍ فيهِمْ حَاجَةٌ».**

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٤٩١) ومسلم (حديث ١٠٦٩) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: **أخذ الحسن بن علي تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال رسول الله ﷺ كِخْ كِخْ ارم بها، أما علمت أنَّا لا نأكل الصدقة».**

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣/ ٣٥٤) في بيان فوائد هذا الحديث، وفيه جواز إدخال الأطفال المساجد، وتأديبهم بما ينفعهم ومنعهم مما يضرهم، ومن تناول المحرمات، وإن كانوا غير مكلفين ليتدربوا بذلك.

(٢) البخاري (٢٦١٣).

(٣) الموشي هو المزخرف المنقوش.

وفي الصحيحين[1] من حديث عليٍّ ﷺ أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى في يدها وأتى النبي ﷺ سبيٌ فانطلقت فلم تجده ، ولقيت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة إليها فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال النبي ﷺ : «**عَلَى مَكَانِكُمَا**» فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري ثم قال: «**أَلا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا أَنْ تُكَبِّرَا اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ وَتُسَبِّحَاهُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتَحْمَدَاهُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ. فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**» .

الأبناء وسائر الآداب الإسلامية

وليؤدب الأب ابنه بسائر الآداب الإسلامية وما فيها من أخلاقٍ ساميةٍ رفيعة كآداب الطعام والشراب واللباس وصدق الحديث والوفاء بالوعد والشجاعة والكرم .

وهذا طرف من ذلك:

من آداب الطعام

ولا يترك الغلمان والأولاد لكونهم صغاراً يُخلُّون بآداب الطعام والشراب بل يؤدبون بالآداب الواردة عن رسول الله ﷺ في هذا الباب ماداموا يطيقونها ويفهمونها ، فها هو الرسول ﷺ يُعلِّم عمر بن أبي سلمة ويؤدبه لما كانت يده تطيش في الصحفة .

---

(١) البخاري (حديث ٦٣١٨) ومسلم (٢٧٢٧) .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال : كنت في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش[٢] في الصحفة . فقال لي : **«يَا غُلامُ! سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»** .

ولا يتحرج النبي ﷺ من رفع يد جارية ويد غلام من الطعام لما وضعاها بدون تسمية الله عز وجل .

أخرج الإمام مسلم[٣] **في صحيحه** من حديث حذيفة رضي الله عنه قال : كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده وإنا حضرنا معه مرة طعاماً فجاءت جارية كأنها تُدفعُ[٤] فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها . ثم جاء أعرابي كأنما يُدفعُ فأخذ بيده ، فقال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لا يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيهِ وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا فَجَاءَ بِهَذَا الأَعْرَابِي لِيَسْتَحِلَّ بِهِ. فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا**» .

وإذا نسي الآكل أن يذكر الله في أول طعامه فليقل حين يذكر بسم الله أوله وآخره لما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«مَنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَوَّلِ طَعَامِهِ فَلْيَقُلْ حِينَ يَذْكُرُ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ**

---

(١) البخاري (حديث ٥٣٧٦) ومسلم (حديث ٢٠٢٢) .

(٢) تطيش أي تتحرك وتمتد إلى نواحي الصحفة ولا تقتصر على موضع واحد .

(٣) مسلم (حديث ٢٠١٧) .

(٤) تدفع أي لشدة سرعتها كأن شيئاً يدفعها .

طَعَاماً جَدِيداً أَوْ يَمْتَنِعُ الخَبِيثُ مِمَّا كَانَ يُصِيبُ مِنْهُ»[١].

فليعلّم الولد هذا.

وليجتمع الأبوان مع أبنائهما على الطعام ففي الاجتماع أُلفة، وفي الاجتماع على الطعام بركة كما قال الرسول ﷺ: «**طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَينِ وَطَعَامُ الاثْنَينِ يَكْفِي الأَرْبَعَةِ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**» أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه[٢].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله ﷺ**: «**طَعَامُ الاثْنَينِ كَافِي الثَّلاثَةَ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**»[٣].

ثم إن الآباء عند أكلهم مع الأبناءيعلمونهم آداب الطعام ويرشدونهم إلى أخلاق النبي ﷺ وطريقته في طعامه وشرابه، وهديه في كل ذلك.

وبمجالستك للأبناء تعرف خصالهم الطيبة والسيئة، وتقوِّم المعوِّج منهم بإذن الله.

فمن الأولاد من هو طماعٌ جَشِعٌ يحب نفسه أكثر من غيره ويؤثرها في كل شيء على إخوانه فترى يديه تمتد إلى مافي أيدي إخوانه، وتراه لا يقنع بقسمة أبيه ولا بنصيبه من الطعام والشراب، فمثل هذا يحتاج إلى تقويم وإرشاد وتعديل.

فمثلا إذا وضعت بين الأبناء تمراً يأكلونه ترى بعض الأبناء يأخذ

---

(١) ابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٦١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) مسلم (حديث ٢٠٥٩).

(٣) البخاري (حديث ٥٣٩٢) ومسلم (حديث ٢٠٥٨).

بكلتا يديه ، وبعضهم يأخذ بيده أكثر من تمرة فمثل هؤلاء ينبغي أن يعلموا حديث رسول الله ﷺ الوارد في هذا الباب ألا وهو ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : **نهى رسول اللّه ﷺ أن يقرن الرجل بين التمرتين حتى يستأذن أصحابه** [١] .

وينسحب هذا على كل مافي معنى التمر، فقد يكون هناك مثلا برتقال موضوع أو موز فترى الجشع من الأولاد يمد يديه إلى اثنتين أو ثلاث ويأخذ حق إخوانه فإذا فعل ذلك فجدير بك أن تمنعه من ذلك وتؤدبه على ذلك .

والطعام قد يكون كثيراً فيجتمع الجميع عليه ويمدون الأيدى إليه جميعهم، وقد يحتاج الأمر أحيانا إلى أن يُقسم بعض الطعام فقد يستحى بعض الأبناءمن مدٍّ يديه وقد يمدها الآخر ، فإذا احتاج الأمر إلى تقسيم الطعام قُسِّم ولا حرج، ففي الصحيحين[٢] من حديث أبي بكر رضي الله عنه قال: **كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة فقال النبي ﷺ : «هَل مَعَ أَحَد منْكُمْ طَعَامٌ؟» فإذا مع رجلٍ صاعٌ من طعام أو نحوه ، فعُجن ثم جاء رجل مُشرك مُشعان طويلٌ بغنم يسوقها ، فقال النبي ﷺ : «أبيعٌ أم عَطيَّةٌ ـ أو قال هبةٌ؟» قال لا بل بيع، قال فاشترى منه شاةً فصنُعت فأمر نبي اللّه ﷺ بسواد البطن يُشوى، وأيم اللّه ما من الثلاثين ومائة إلا قد حزَّ له حزةً من سوادِ بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه إياه وإن كان غائباً خبأها له .**

قد يُقدَّم طعامٌ للأبناء فيعيبه بعضهم، فحينئذ ينبغي أن يُعلَّم فيقال له يا بني

(١) البخاري (حديث ٥٤٤٦) ومسلم (حديث ٢٠٤٥) والقران هنا أخذ تمرتين (أثناء الأكل مع الجماعة).

(٢) البخاري (حديث ٥٣٨٢) ومسلم (حديث ٢٠٥٦) .

لا تعب الطعـام، إن أردت الأكل منه أكلت وإلا أتيناك بطعـام آخر أما العـيب فلا، وليُذكر حينئذ بما في الصحيحين[١] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: «**ما عاب رسول اللَّه ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه**».

وأثناء الشرب قد يأتي أحد الأبناء يشرب فيتنفس في الإناء (يخرج هواء من الأنف والفم في الشراب) فليـمنع الابن من هذا وليُذكَّر بحـديث رسول الله ﷺ [٢]: «**إذَا شَرِبَ أَحـدُكُم فَلا يَتَنَفَّسْ في الإِنَاء**[٣] **وإذَا بَالَ أحـدُكُم فَلا يَمْسَحْ ذَكَرَهُ بيَمينه، وإذَا تَمَسَّحَ أَحَدُكُم فَلا يَتَمَسَّحْ بيَمينه**».

وكذلك فليُذَكَّـر الأبناء بحديث رسول الله ﷺ : «**إذَا أَكَلَ أَحَـدُكُم طَعَاماً فَلا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَو يُلْعِقَهَا**» [٤].

وفي رواية لمسلم من حديث جابر ﷺ قـال : قال رسول الله ﷺ : «**إذَا وَقَـعَتْ لُقْمَـةُ أَحَـدكُم فَلْيَأخُـذْهَا فَلْيُـمط مَا كَـانَ بهَـا من أَذَىً ولْيَأكُلْهَـا وَلاَيَدَعْهَـا للشَّيْطَان ولاَ يَمْسَحْ يَدَهُ بالمنديل حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابعَـهُ فَإنَّهُ لا يَدْري في أَي طَعَامه البَرَكَةُ**»[٥].

والأكول الشَّره من الأبناء يضبط ويُذكر بحديث رسول الله ﷺ : «**المؤْمنُ**

---

(١) البخاري (حديث ٥٤٠٩) ومسلم (حديث ٢٠٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٦٣٠) ومسلم (٢٦٧) .

(٣) أما مـا ورد في البخـاري (٥٦٣١) ومسلم (٢٠٢٨) من حـديث أنس ﷺ قال : «**كـان رسول الله ﷺ يتنفس في الشـراب ثلاثا**» فهو محـمول على أخذ النفس خارج الإناء أثناء الشراب أما إخراج النفس داخل الإناء فهو المنهي عنه والله أعلم .

(٤) البخاري (حديث ٥٤٥٦) ومسلم (حديث ٢٠٣١) من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعاً.

(٥) مسلم (ص ١٦٠٦) .

يَأكُلُ في مَعيٍّ واحد وَالكَافرُ يَأكُلُ في سَبْعَة أمْعَاء».

أخرجه البخاري ومسلم[1] من طريق نافع قال: «**كان ابن عمر لا يأكل حتى يُؤتى بمسكين يأكل معه فأدخلت رجلاً يأكل معه فأكل كثيرا فقال يا نافع لا تدخل هذا عليَّ سمعت النبي ﷺ يقول**... فذكر الحديث.

وفي رواية لمسلم: « **رأى ابن عمر مسكيناً فجعل يضع بين يديه ويضع بين يديه، قال فجعل يأكل أكلاً كثيراً، قال فقال: لا يدخلن هذا على فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الكَافرَ يَأكُلُ في سَبعَة أمْعَاء»**.

وكذلك فليذكَّر بحديث رسول الله ﷺ: «**مَا مَلأ ابنُ آدَمَ وعَاءً شراً منْ بَطْنه، بحَسْب ابن آدَمَ أكَلات يُقمنَ صُلْبَهُ فَإنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لطَعَامه وثُلُثٌ لشَرَابه وَثُلثٌ لنَفَسه**» [2].

وكذلك فعلمهم حديث رسول الله ﷺ: «**إذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بيتَهُ فَذَكَرَ اللَّهَ عندَ دُخُوله وَعندَ طَعَامه قَالَ الشَّيْطَانُ لا مَبيتَ لَكُم ولا عَشَاءَ وإذَا دَخَلَ فلَمْ يَذْكُر اللَّهَ عندَ دُخُوله قَالَ الشَّيْطَانُ أدْرَكْتُمْ المَبيتَ وإذَا لَمْ يَذْكُر اللَّهَ عندَ طَعَامه قَالَ أدْرَكْتُمْ المَبيتَ وَالعَشَاءَ**»[3].

وكذلك علِّم الأبناء حديث رسول الله ﷺ: «**إذَا أكَلَ أحَدُكُمْ فَليَأكُلْ بيَمينه، وإذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بيَمينه فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَأكُلُ بشمَاله وَيَشْرَبُ بشمَاله**»[4].

(١) البخاري (٥٣٩٣) ومسلم (٢٠٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠) وقال هذا حديث حسن صحيح قلت: وهو حسن لشواهده.

(٣) مسلم (حديث ٢٠١٨).

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٢٠) من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعاً.

وفي رواية: «لا يَأكُلَنَّ أحدٌ منكُم بِشِمَالِه ولا يَشْرَبَنَّ بِهَا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأكُلُ بِشِمَالِه وَيَشْرَبُ بِهَا»[١] .

وليعلِّم الأبناء سائر الآداب المتعلقة بالطعام والشراب ، ومن ذلك : حمد الله عند الانتهاء من الطعام والشراب .

ففي صحيح مسلم[٢] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأكُلَ الأكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيهَا أَو يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيهَا» .

ومن صيغ الحمد الواردة في هذا الباب:

ما أخرجه البخاري[٣] من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه ، وفي رواية إذا رفع مائدته قال: «الحَمْدُ للَّه الَّذي كَفَانَا وَأَرْوَانَا غَيرَ مَكْفِيٍّ وَلا مَكْفُورٍ» .

وفي رواية للبخاري من حديث أبي أمامة أيضا أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «الحَمْدُ للَّه كَثيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ غَيرَ مَكْفِيٍّ وَلا مُوَدَّعٍ وَلا مُسْتَغْنيً عَنهُ رَبَّنَا» .

وعند أبي داود بإسناد صحيح[٤] عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: «الحَمْدُ للَّه الَّذي أَطْعَمَ وَسَقَى

---

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٢٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٢) مسلم (مع النووي ١٧/ ٥٠) .

(٣) البخاري (مع الفتح ٩/ ٥٨٠) .

(٤) أبو داود (٤/ ١٨٧) .

وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا».

وليعلِّم أيضا الدعـاء لمن قدَّم الطعام، ولذلك صيـغ وردت عن رسول الله ﷺ فـمن ذلك: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُم الصَّائِمُـونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلائِكَةُ**»[1].

ومن ذلـك أيضـــا: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُـم فِيـمَـا رَزَقْـتَـهُمْ وَاغْـفِـرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ**»[2].

ولا تخلف موعداً مع الأطفال ولا تكذب عليهم

فإنهم يتعلمون منك الكذب وإخلاف المواعيـد فإن إخلاف الوعد مخالفة لسنة رسـول الله ﷺ، قـال النبي ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِـقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَـدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[3]. وقال عليه الـصلاة والسلام: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيـه كَانَ مُنَافِقاً خَـالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِـيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِـيه خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَـتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَـدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»[4].

ثم إن في إخلاف الوعد فقدان للثقة، فـفضلاً عن كونهم يتعلمون منك إخلاف الوعود والاستهتار بها، فإنهم أيضا لا يصدقونك فيما هو آت.

---

(١) أبو داود باسناد صحيح لشواهده (٤/١٨٩) من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

(٢) مسلم (مع النووي ١٣/٢٢٥) من حديث عبد الله بن بسر عن النبي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٣٣) ومسلم (حديث ٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) أخـرجه البـخاري (حـديث ٣٤) ومسلم (حـديث ٥٨) من حـديث عبـد الله بن عمـرو رضي الله عنهما مرفوعاً.

لا يأتي إلى بيتك من يسأل عنك فترسل ولدك وتقول له أخبره أني غير موجود ! ففي ذلك إثم وتعليم الكذب للأبناء وأنت لا تشعر.

لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم

كلمةٌ ومقولةٌ قالها رسول الله ﷺ يؤخذ منها أدبٌ وفقهٌ في إصلاح ألسنة الأطفال وتحسين لغة الأطفال ، بل والكبار كذلك ماهي مناسبة هذه الكلمة «**لا تَغْلِبَنَّكُمْ الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلاتِكُمْ؟**» وماهو المستفاد منها في بحثنا هذا؟

إنها كلمة تنم عن معاني أصيلة في التربية.

أما مناسبتها ، فكما لا يخفى أن صلاة العشاء لها اسمان : أحدهما وأشهرهما (العشاء) كما قال الله سبحانه: ﴿**ومن بعد صلاة العشاء**﴾.

والآخر هو العتمة كما قال رسول الله ﷺ : «**وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً**».

فلصلاة العشاء إذن اسمان «**العشاء**» و«**العتمة**».

ولكن الاسم الأكثر استعمالاً والأحب إلى رسول الله ﷺ هو العشاء، وهو الذي جاء في كتاب الله.

أما «العتمة» فهي لغة الأعراب، وإن كان النبيُّ ﷺ تكلَّم بها أحياناً، بل وذكرها في حديث، لكنه لم يحب أن تغلَّب هذه اللغة على اللغة الأصح والأفضل والأشهر في أهل المدينة فحينئذ قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه «**لا تَغْلِبَنَّكُمُ الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلاتِكُمْ فَيَقُولُونَ العَتَمَةَ، وَإِنَّمَا هِيَ العِشَاءُ**».

فالذي ينبغي أن يسود ويعلو وينتشر هي تلك الكلمة التي جاءت في كتاب الله ، والتي هي لغة قريش وأهل المدينة وكذلك فليكن الأمر في سائر الكلمات وفي سائر الألفاظ .

أما ماهو المستفاد من هذه الكلمة في بحثنا ها هنا؟

المستفاد في بحثنا في هذا كثير فإذا كان النبي ﷺ لم يحب أن تغلب لغة الأعراب وهم عرب على لغة قريش وأهل المدينة فهل يحب رسول الله ﷺ أن تغلب لغة الفرنسيين والانجليز على لغة المسلمين ؟

هل يحب أن تُغلَّب (بابا) و(ماما) على (أبي) و (أمي) و (أبت) و(أماه) و(أمتاه)؟!

هل يحب أن تغلَّب (أُنكل) على (عمي) و(خالي)؟!

أو تغلَّب (تانت) على (عمتي) و (هالتي)؟!

هل يحب أن تسود وتطغى هذه الكلمات على لغة القرآن وعلى لغة المسلمين؟!

إن الخليل إبراهيم عليه السلام يقول لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ . [مريم: ٤٣]

﴿ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ . [مريم: ٤٤]

ويقول : ﴿ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ . [الشعراء: ٨٦]

ويوسف يقول : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ . [يوسف ٤]

ويقول : ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ﴾ . [يوسف : ١٠٠]

ويقول الرسول ﷺ : «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَزُورَ قَبْرَ أُمِّي» .

فهل يليق أن تقول : واغفر (لبابا) ؟! أو استأذنت ربي أن أزور قبر (ماما) ؟! والرسول يقول لأبي طالب يا عم قل لا إله إلا الله ، فهل يليق أن يُقال (يا أُنكل) قل لا إله إلا الله ؟!!

أظن ، بل أوقن أن هذا لا يليق .

وللأسف فمن يتقلد هذه الألفاظ الآن (أبي وأمي وأبتاه وأمتاه وأختاه) يُعدُّ في هذا الزمان غريبا ، ومن حاز المناصب في الدنيا يتفنن في استبدال (أبي وأمي و . . .) بألفاظ جديده (بابا ـ ماما)!!

فلينتبه الآباء لمثل هذه الألفاظ ، وليُحي الآباء والأمهات لغة القرآن ولغة النبي ﷺ !

وكذلك لا ينبغي أن تغلب لغة أهل الاسكندرية وما جاورهم حيث يجمعون المفرد، وأيضا يغيرون في الألفاظ فيقول أحدهم لابنه هذا عمو فلان، وهذا خالو فلان، بدلاً من هذا عمك فلان، وهذا خالك فلان، فما أدري من أين أتى هؤلاء بـ (عموا، وخالوا) و(وعمتو، وخالتو)؟!!

فلينتبه الآباء والأمهات للألفاظ التي تجري على ألسنة أبنائهم وخاصة الألفاظ والعبارات التي تحمل في ثناياها شركاً وبدعاً وجهلاً وخرافات ، كقول الأبناءفي بعض البلدان عند نزول المطر (علي يا أبو مُخ خلِّي الدنيا ترخ) فهذا مبنيٌ على اعتقاد زائغ فحواه أن علياً في السحاب وهو الذي ينزل

الأمطار، وكذلك قولهم: (علي يا أبو مركب خلِّي الدنيا تكركب) عند سماع الرعد.

وكذلك فليحذر من سائر الألفاظ الشركية والأيمان بغير الله والألفاظ القبيحة التي تجري على ألسنة الطفل ، والمحفوظ من حفظه الله.

وليتعلم منك ولدك عند تناولك سماعة الهاتف (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ولا يتعلمن منك كلمة (آلو) فلك في السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثلاثون حسنة كما جاء عن رسول الله ﷺ .

ويجدر بالأب أن يعلِّم أولاده عند التعريف بأنفسهم وذكر أسمائهم اسمي فلان بن فلان ، وفلانة بنت فلان فهكذا سمتنا وعلى هذا درج سلفنا (باثبات كلمة ابن) والله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم : ﴿ **وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾ [التحريم: ١٢] ولم يقل (ومريم عمران).

ومعلوم لدى الجميع أن نبينا محمد ﷺ هو محمد بن عبد الله ويستهجن من يقول (محمد عبد الله) وهنا أنقل لفتة لفت النظر إليها فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في رسالته «**تسمية المولود**»، فقال حفظه الله :

وهنا أذكرُ دقيقة تاريخية مهمة، هي: أن التزام لفظة (ابن) بين اسم الابن وأبيه مثلاً كانت لا يعرف سواها على اختلاف الأمم ، ثمَّ لظاهرة تبنِّي

---

(١) صح ذلك عند أبي داود (٥١٩٥) وغيره من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) تسمية المولود ص١٤ـ ١٥ الطبعة الثانية (دار الراية) .

غيـر الرشدة في أوربا صار المُتـبني يفرق بين ابنه لصلبـه فيقـول: (فلان ابن فلان) ، وبين ابنه لغير صلبه فيقول: (فلان فلان) ، بإسقاط لفظه (ابن)، ثم أسقطت في الجـميع، ثم سـرى هذا الإسقاط إلى المسلمـين في القرن الرابع عشر الهجري، فصاروا يقولون مثلا: محمد عبد الله !

وهذا أسلوب مولد، دخـيل، لا تعرفه العـرب ، ولا يُقره لسانهـا ،فلا محل له من الإعراب عندها .

وهل سمعت الدنيا فـيمن يذكر نسب النبي ﷺ فيقول : محـمد عبد الله! ولو قالها قائل لهُجن وأدب، فلماذا نعدل عن الاقتداء وهو أهدى طريقا وأعدل سبيلا وأقوم قيلا ؟!

وانظر إلى هذا الإسقاط كيف كان داعيـة الاشتباه عند اشتراك الاسم بين الذكور والإناث، مثل أسماء وخـارجة، فلا يتبين على الورق إلا بذكر وصلة النسب: (ابن) فلان، أو (بنت) فلان.

ووُفّق حفظه الله فـيما أرشد إليـه فقراءتنا والحمـد لله مستمـرة في كتب الحديث فعمـر هو عمر بن الخطاب وعثمان هو عثـمان بن عفان ، وعلي هو علي بن أبي طالب فقبيح ومـستهجن أن يُقال عمر الخطاب ، وعـثمان عفان وعلي أبو طالب !

وكذلك التابعـون عروة الزبير ولا سعيد المسيب وكـذلك من جاء بعدهم كعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس وغيرهم .

فلا يقال عمر عبد العزيز ولا مالك أنس!

والنساء كذلك لا يقال عائشة أبو بكر، ولكن يُقال عائشة بنت أبي بكر،

ولا يُقال زينب جحش بل يقال زينب بنت جحش .

هذه هي سنة المسلمين في الأسماء أما أهل الكفر ميخائيل جورباتشوف جيمي كارتر ـ شارل ديجول ـ مناحم بيجين .

تلك هي سنتهم في أسمائهم فلم نعدل عن هدي نبينا إلى هدي غيره؟!

ولم نترك سنته ونلهث وراء سنة من سواه ؟!!

الأبناء واللباس

وينبغي أن يهتم بلباس الأبناء والبنات، ولتراعى فيه الأعمار والأجسام ومدى الافتتان بهم .

فينبغي ألا يكون الثوب مما يختص الكفار والفسقة بلبسه .

وينبغي ألا يظهر العورات ويجسدها بطريقة تبعث على الشر والفساد .

ثم من أهل العلم من كره لباس الصبيان الحرير لعموم نهي النبي ﷺ عن الحرير إذ قال في الذهب والحرير : «**هَذَانِ حَرَامٌ عَلَىَ ذُكُورِ أُمَّتِي**[1] **حِلٌ لإِنَاثِهِمْ**» .

(١) أخرج أبو داود (٤٠٥٧) والنسائي (٥١٤٤) وابن ماجة (٣٥٩٥) وأحمد (١/ ١١٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه **قال إن نبي الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال (إن هذين حرامٌ على ذكور أمتي)** زاد ابن ماجه **(حلٌ لإناثهم)** .

كراهية لبس الغلمان الذهب

وذلك للوارد عن رسول الله ﷺ في النهي عن لبس الذهب .

فأخرج البخاري ومسلم(١)من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال : **نهانا النبي ﷺ عن سبع ، نهى عن خاتم الذهب .**

وقولي بالكراهية لأن الطفل غير مكلف ، وإنما رأيت المنع من الذهب حتى يشب على كراهيته فيسهل عليه اتقاؤه بعد بلوغه .

وقد قال الإمام مالك رحمه الله في الموطأ(٢):وأنا أكره أن يلبس الغلمان شيئاً من الذهب لأنه بلغني أن رسول الله ﷺ نهى عن تختم الذهب ، فأنا أكرهه للرجال ، الكبير منهم والصغير .

ومِن متى تؤمر البنت بالحجاب

القواعد الشرعية تقتضي أن أمر الفتاة بالحجاب يكون إذا بلغت المحيض وهكذا سائر الأوامر الشرعية والمناهي والتكاليف ولكن التدريج معها قبل بلوغها المحيض يُسهِّل عليها التكاليف ويهوِّن عليها الطاعات إذا بلغت المحيض فيستحب للوالدين تدريب البنات على التحجب والبعد عن الرجال قبل بلوغهن المحيض أما إذا كانت الفتاة قبل بلوغها المحيض تشتهي لحسنها وجمالها وشبابها ، والفتنة من ورائها قائمة فتحجب قبل البلوغ دفعاً للمنكر وإبعاداً للشر والفساد ، **فالله** لا يحب الفساد .

---

(١) البخاري (حديث ٥٨٦٣) ومسلم (حديث ٢٠٦٦).

(٢) الموطأ ص ٩١٢ .

الأبناء وعلوم الدنيا

وكـذلك فليـأخذ الأبناء حظَّـهم ونصيبـهم مما ينفـعهم من أمـور الدنيـا وعلومـها وما يقويهم الله به على عـدوهم ، وقد قال النبي ﷺ : «أَنْتُـمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[١].

فكل ما يحتـاج إليه الناس في دنياهم لهم أن يتعلموه مـاداموا في حاجة إليه ، والناظر إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ يرى أن أصول المهن

---

(١) أخرجه مسـلم (حديث ٢٣٦٣)من حـديث عائشـة وأنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مـرَّ بقـوم يلَقِّحون ، فـقال « لو لم تفعلوا لَصَلُحَ» قال: فخرج شـيصاً [١]فمـرَّ بهم فقال: «وما لنخلكم؟» قالوا قلت كذا وكذا ، قال: « أنتم أعلم بأمر دنياكم » .

وفي صحيح مسلم (٢٣٦١) من طريق مـوسى بن طلحة عن أبيه قال مـررت مع رسـول الله ﷺ بقوم على رؤس النخل . فقال « ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا : يُلقحُونه [٢]. يجعلون الذكر في الأنثى فيلقحُ . فقال رسول الله « مـا أظن يغني ذلك شيئا » قال فأخبروا بذلك فتـركوه فأخبر رسـول الله ﷺ بذلك فقـال : « إن كان ينفعـهم ذلك فليصنعوه ، فـإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخـذوني بالظن . ولكن إذا حـدثتكم عن الله شيـئـا ، فخـذوا به فـإني لن أكذب على الله عـزَّ وجل» .

وعند مسلم أيضا (٢٣٦٢) من حـديث رافع ابن خديج قال : قـدم نبي الله ﷺ المدينـة . وهم يأبرون النخل يقـولون يُلَقِّحُون النخل فـقـال : « ما تصنعـون ؟ » قـالوا كنا نصنعهُ. قـال «لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً » فـتركوه فنفضت أو فنقصت [٣]. قال فذكـروا ذلك له فقال « إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر .

---

(١) الشيص هو البسر الرديء ، أي التمر الرديء .

(٢) يلقحونه اي يابرونه اي يدخلون شيئا من طلع الذكر في طلع الأنثى فتعلق بإذن الله .

(٣) نفصت اي اسقطت ثمرها .

قد ذُكرت فيهما .

ففي الحساب قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** ﴾ .
[الإسراء: ١٢]

وفي الصناعات الحديدية، يقول الله سبحانه في شأن داود عليه السلام:
﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ .

[الأنبياء: ٨٠]

وقال تعالى: ﴿**أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**﴾ .

[سبأ: ١١]

وفي تعلم اللغة العربية فقد أمرنا الله بتدبر القرآن قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ . [محمد: ٢٤]

والقرآن قد نزل بلسان عربي مبين .

وفي تعلم اللغات الأخرى فقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم السريانية فتعلمها زيد في خمسة عشر يوماً [(١)].

---

(١) أخرج الترمذي (٢٧١٥) بإسناد حسن لشواهده من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه **قال** : **أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلَّم له كتاب اليهود ، فقال: «إني والله ما آمن يهود على كتاب» قال : فما مرَّ بي نصف شهر حتى تعلمته له ، قال : فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم ، وإذاكتبوا إليه قرأت له كتابهم .**

وله شاهد عند ابن سعد في الطبقات (٢/٢/١١٥) من حديث زيد بن ثابت قال : **قال لي رسول الله ﷺ : «إنه يأتيني كتب من أُناس لا أحب أن يقرأها أحد فهل. تستطيع أن تعلَّم كتاب العبرانية ؟ أو قال السريانية؟». فقلت: نعم. قال: فتعلمتها في سبع عشرة ليلة .**

وفي مجال الطب يقول النبي ﷺ : «**تَدَاوُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ: الهَرَمُ**»(١) ، وقد أرسل النبي ﷺ إلى أُبي بن كعب طبيبا فكواه (٢) .

والحجامة كانت على عهد رسول الله ﷺ وكذلك الحجامون وقد احتجم النبي ﷺ (٣).

والهندسة والبناء كذلك، قال الله تعالى : ﴿ **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ** ﴾. [سبأ : ١٣]

وكذلك الغوص في البحار قال الله تعالى: ﴿**وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ**﴾. [الأنبياء : ٨٢]

وقال سبحانه : ﴿ **يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾. [الرحمن : ٢٢]

وكذلك الفواخير قال تعالى : ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾. [الرحمن : ١٤]

والنجارة كذلك: «كان زكريا عليه السلام نجاراً » .

وأمر الله نوحاً فقال له : ﴿ **وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** ﴾. [هود : ٣٧]

ويدخل في هذا الترسانة البحرية .

---

(١) صحيح أخرجه أبو داود (٣٨٥٥)والترمذي (٢٠٣٨) والنسائي في السنن الكبرى (٣٦٨/٤)وابن ماجة (٣٤٣٦)من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه مرفوعاً .

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٢٢٠٧) من حديث جابر رضي الله عنه قال : **بعث رسول الله ﷺ إلى أُبي بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه عليه** .

(٣) انظر البخاري (٥٦٩٨ ، ٥٦٩٩ ، ٥٧٠٤) ومسلم (٢٢٠٥ ، ٢٢٠٦ ، ٢٢٠٨).

وكذلك **الأسفار** بما فيها من مهن القيادة والريادة والدلالة قال تعالى : **﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾** . {الملك : ١٥}

وقال تعالى : **﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾** .

{ المزمل : ٢٠ }

أما الأعمال العسكرية وسد الثغور أمام الأعداء، وأعمال الهجوم والدفاع والغزوات والسرايا والمعارك فقد امتلأ بذكرها كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ويكفي منها قوله تعالى : **﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾** .

{الأنفال : ٦٠}

وقوله تعالى : **﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾** . {التوبة : ٢٩}

وقال تعالى : **﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾** .

{البقرة : ٢٤٩}

أما أعمال الرعي والزراعة هي أعمال القوم في بلادهم وقال تعالى : **﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾** . { الأنعام : ١٤٢ }

وقال سبحانه : **﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُم ﴾** . {طه : ٥٤}

وهذا باب لايكاد ينتهي قصدنا من إيراده أن الابن له حق في أن يمتهن إحدى المهن ويتعلمها ولا يكن عالة يتكفف الناس فاليد العليا خير من اليد السفلى فليأخذ الابن حقه وحظه من تعلم العلوم التي يحتاج إليها عموم الناس في دنياهم من قراءةٍ وكتابة وحساب ولغةٍ إلى غير ذلك مما يحتاج إليه

الناس ،ويتأتى هـذا في أغلب الأحيان وعـموم البلدان بدفـعه إلى المدارس، ولا بأس بذلك فلنأخـذ ما فـيهـا من خيـر مع أخذ الاحـتيـاطات ومراعـاة التحفظات التي ينبغي أن نحتاط بها ونتحفظ من جهتها .

فمن ذلك اختـيار المدرسة التي تقوم مناهجـها على نشر الخيـر والفضيلة ـ مع بثـها للعلوم الدنيـوية ـ والابتعـاد عن المدارس التي تبث الكفـر والإلحاد وتدعو إلى التنصير والفساد .

وكذلك اختيار المدرسـة التي يقودها أهل الخير والصلاح ، ويُعلِّـم الأبناء فيها مـدرسون أكفاء ذوو أخلاق حسنة يعرفون الله ويتـقونه ويراقبون الله في الأبناء .

وتفـقد المناهج التي تدرس بين الحين والآخـر والتنبيه عـلى الموضوعات المخالفـة للشرع ، فكم مدرسة تدرس الـنظريات الإلحادية وتصور أشخـاصاً خائنين لله ورسوله على أنهم أبطال ومغاوير وشجعان .

وكذلك عـلى الأب أن يبتـعد بأبنائه وبناته عن المدارس المخـتلطة الـتـي يختلط فيها الفتيان بالفتيات لما يجره هذا الاختلاط من شرٍ وفساد .

وكذلك على الأب أن يعـرف زملاء أبنائه وأصدقاءهم وسلوكيات هؤلاء الزملاء والأصـدقاء ، فجليس السـوء كنافخ الكير والجليس الصالح كـحامل المسك كـــمـا جــاء عن رسـول الله ﷺ ، ومـن ثم يصـرف عـن أبنائه جلساءالسوء وقرناء الشر والفساد ويحببه في أصدقائه من الصالحين والطيبين، ففي هذا عون للأب على تربية أبنائه بإذن الله .

ولينبه الابن على عدم الغش في الامتحانات فإن النبي ﷺ قال: «مَنْ

غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، وعلى عدم الحقد على إخوانه واغتيابهم ويُحذَّر من عموم المخالفات الشرعية .

وليكن الأب على صلة بالمدرسة ومدرس الأبناء، دائم السؤال عن أبنائه وعن سلوكياتهم حتى يتيسر له إصلاح الأخطاء قبل استفحالها وتدارك الأمور قبل وقوعها ، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

تزويج الأبناء

ومن المعروف الذي يقدمه الرجل لأبنائه المبادرة بتزويجهم إذا رآهم يتحملون الزواج وأعباءه ، ففي تزويجه لهم إعفاف وإحصان وقد قال الله سبحانه : ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ**﴾ .[النور: ٣٢] والأيم من لا زوج له ذكراً كان أو أنثى .

وقال النبي ﷺ : «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ**»[١].

فكما هو معلوم ومشاهد أن افتتان الرجال بالنساء أمرٌ عظيم وكذلك افتتان النساء بالرجال ، وقد قال الله تبارك وتعالى﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ . [آل عمران: ١٤]

وقال النبي ﷺ : «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[٢].

فالولد إذا بلغ وتحركت فيه الشهوة ، وكله قوة وحيوية ونشاط يتجه إلى إمضاء هذه الشهوة ، إما بمعاكسة الفتيات والتسكع في الطرقات لملاحقة هذه

(٤) البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعاً .

(٢) البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠)من حديث أسامة ابن زيد ﷺ مرفوعاً .

والنظر إلى تلك ، وإما بالإستمناء المستقبح الذي يفعله العادون من الشباب والفسقة منهم ، وإما بالوقوع في الفاحشة المحرمة .

وقليل من الشباب الذي يمتثل أمر الله سبحانه بالتعفف إذ قال: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ . [النور :٣٣]

وقليل منهم الذي يمتثل أمر رسول الله ﷺ إذ قال: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**» .

وكذلك الفتيات إذاحضن ودبت فيهن الشهوة ولعبت بهن ، القليلات منهن التي تتقي الله وتحافظ على نفسها ، بل وكثيرات منهن تفعل ما تفعله شرار الفتيات من المعاكسات والمغازلات واللقاء بالفتيان، والعبث بأنفسهن.

فجدير بكل أب مستطيع قادر قد وسع الله عليه أن يبادر بتزويج أبنائه وبناته قدر استطاعته وبمساعدتهم قدر استطاعته باختيار الصالحين والصالحات، ومساعدتهم قدر استطاعته بما يحتاجون إليه من مال وأثاث ، وإن لم يكن هذا الأخير بواجب عليه لكنه مستحب له ومرغب فيه، إذ هو نوع من أنواع التعاون على البر والتقوى .

وقد قال النبيُّ ﷺ : «**ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: النَّاكِحُ يُرِيدُ العَفَافَ وَالْمُكَاتَبُ يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[١] .

وقد زوَّج النبي ﷺ عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ، والفضل بن عباس رضي الله عنهما وأمر بإعطاء الصداق عنهما من الخُمس[٢].

---

(١) حسن ، أخرجه النسائي (٦/ ٦١) وأحمد (٢/ ٢٥١) .

(٢) قال النووي : يحتمل أنه يريد سهم ذوي القربى من الخمس لأنهما من ذوي القربى ، ويحتمل أن يريد من سهم النبي ﷺ من الخمس .

أخرج الإمام مسلم[١] **في صحيحه** من حديث عبد المطلب بن ربيعة ابن الحارث قال: اجتمع ربيعة بن الحارث والعباس بن عبد المطلب. فقالا: واللَّه لو بعثنا هذين الغلامين (قالا لي وللفضل بن عباس) إلى رسول اللَّه ﷺ فكلماه فأمرهما على هذه الصدقات، فأديا ما يؤدي الناس، وأصابا مما يصيب الناس قال: فبينما هما في ذلك جاء علي بن أبي طالب فوقف عليهما فذكرا له ذلك فقال علي بن أبي طالب: لا تفعلا فواللَّه ماهو بفاعل فانتحاه ربيعة[٢] ابن الحارث فقال: واللَّه ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا[٣] فواللَّه لقد نلت صهر رسول اللَّه ﷺ فما نفسناه عليك[٤] قال علي: أرسلوهما فانطلقا واضطجع علي قال: فلما صلى رسول اللَّه ﷺ الظهر سبقناه إلى الحُجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا ثم قال: «**أَخْرِجَا مَا تُصَرِّرَانِ**[٥]» ثم دخل ودخلنا عليه. وهو يومئذ عند زينب بنت جحش قال: فتواكلنا الكلام[٦]. ثم تكلم أحدنا فقال: يارسول اللَّه أنت أبر الناس وأوصل الناس. وقد بلغنا النكاح[٧]. فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدي إليك

---

(١) مسلم (حديث ١٠٧٢) .

(٢) (فانتحاه ربيعة) معناه عرض له وقصده .

(٣) (إلا نفاسة منك علينا) معناه حسدا منكَ لنا .

(٤) (ما نفسناه عليك) أي ما حسدناك على ذلك .

(٥) (أخرجا ما تصرران) هكذا هو في معظم الأصول ببلادنا. وهو الذي ذكره الهروي والمازري وغيرهما من أهل الضبط: تصرران ومعناه تجمعانه في صدوركما من الكلام. وكل شيء جمعته فقد صررته ووقع في بعض النسخ: تسرران بالسين، من السر أي ما تقولانه لي سرا.

(٦) (فتواكلنا الكلام) التواكل أن يكل كل واحد أمره إلى صاحبه يعني أنا أراد كل منا أن يبتدىء صاحبه بالكلام دونه.

(٧) (وقد بلغنا النكاح) أي الحلم كقوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾.

كمـا يؤدي الناس ونصيب كمـا يصيبـون قال: فسـكت طويلا حتى أردنا أن نكلمه. قـال: وجعلت زينب تُلمع[١] علينا من وراء الحجـاب أن لا تكلماه قـال: ثم قـال: «**إنَّ الصَّدَقَةَ لا تَنْبَغِي لآل مُحَمَّد إنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاس**[٢] **ادْعُوا لي مَحْمِيَّةَ (وكَانَ عَلَى الخُمْس) ونَوفَل بْنَ الحَارث بْن عَبد المُطَّلب**» قال: فجاءاه فقـال لمحمية: «**أَنْكِحْ هَذَا الغُلامَ ابْنَتكَ**» (لي) فأنكحني وقال لمحمية: «**أَصْدِقْ عَنْهُمَا مِنَ الخُمْسِ كَذَا وكَذَا**»[٣].

قال الزهري[٤]: ولم يسمه لي.

وقد جهز النبي ﷺ ابنته فاطمة ؓ بما استطاع يومئذ، فـفي سنن النسائي[٥] بإسناد صحيح من حديث على ؓ قال: **جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل**[٦] **وقربة ووسادة حشوها إذخر**.

---

(١) (تلمع) هو بضم التاء وإسكان اللام وكسر الميم . ويجوز فتح التاء والميم يقال : ألمع ولمع، إذا أشار بثوبه أو بيده .

(٢) (إنما هي أوساخ الناس) معنى أوساخ الناس أنها تطهير لأموالهم وأنفسهم . كما قال تعالى : خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، فهي كغسالة الأوساخ .

(٣) (أصدق عنهما من الخمس) أي أدِّ عن كل منهما صداق زوجته يقال : أصدقها إذا سميت لها صداقا ، وإذا أعطيتها صداقها . وقال تعالى : ﴿ **وآتوا النساء صدقاتهن**﴾ [النساء: ٤] قال النووي: يحتمل أن يريد من سهم ذوي القربى من الخمس لأنهما من ذوي القربي ويحتمل أن يريد من سهم النبي ﷺ من الخمس .

(٤) (قال الزهرى : ولم يسمه لي) أي لم يبين لي عبد الله بن نوفل مقدار الصداق الذي سماه لهما رسول الله ﷺ .

(٥) النسائي (٦/ ١٣٥) وابن ماجة (٤١٥٢) .

(٦) الخميل كل ثوب له أهداب .

وكما أسلفنا فينبغي أن يُزوِّج الرجل بناته إذا بلغن وكن يتحملن الزواج، فهذا أنفع للفتاة في دينها وكذلك في دنياها .

أما في دينها فلصرف الفتن عنها وإعفافها وتحصين فرجها .

أمـا في دنـياها فهي في صغـرها أخصب والإنجاب عليهـا أيسر وأسهل ورغبة الرجال فيها أكثر .

وهذا كله محله إذا كانت تتحمل الزواج وتطيقه، وقد تزوج النبي ﷺ عائشة وهي بنت ست سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين.

أخرج البخاري[1] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : **تزوجني النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين ، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوعكت فتمزق شعري فوفى جُمـيمة ، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أرجوحة ومعى صواحب لي فصرخت بي فأتيتهـا ، لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدى حتى أوقفتني على باب الدار ، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجـهي ورأسي ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البـيت فـقلن : على الخـير والبـركـة وعلى خـير طائر فـأسلمـتني إليـهن فأصلحن من شـأني ، فلم يرعني إلا رسول اللّه ﷺ ضحى فأسلمـتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين** [2] .

وعلى الأب أن يختار لابنته رجلاً كفؤاً لها في دينها ودنياها وله أن يعرض ابنته على رجلٍ من أهل الصلاح ليتزوجهـا إن كان كفؤا لها، وقد دلت على

(١) البخاري (حديث ٣٨٩٤ ، ٥١٣٤) .

(٢) وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن عائشة رضي الله عنها كانت قد شبت شباباً حسناً .

ذلك جملة من الأدلة :

قال الشيخ الصالح لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ . [القصص : ٢٧]

أخرج الإمام البخاري[١] **في صحيحه** من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فتوفي بالمدينة فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال : سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال : قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا ، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت : إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر ، فصَمت أبو بكر فلم يُرجع إليَّ شيئاً ، وكنت أوْجَد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول اللَّه ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئًا ؟ قال عمر: قلت نعم، قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلا أني كنت علمت أن رسول اللَّه ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول اللَّه ﷺ ، ولو تركها رسول اللَّه ﷺ قبلتها .

وأخرج البخاري[٢] **أيضا** من حديث أم حبيبة قالت: **قلت: يارسول**

---

(١) البخاري (حديث ٥١٢٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (فتح الباري ٩/ ١٧٨): وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه لما فيه من النفع العائد على المعروضة عليه ، وأنه لا استحياء في ذلك ، وفيه أنه لابأس بعرضها عليه ولو كان متزوجاً لأن أبا بكرحينئذ متزوجاً .

(٢) البخاري (حديث ٥١٠٧) .

اللَّه، أنكح أختي بنت أبي سفيان قال: «وَتُحِبِّينَ؟» قلت نعم ، لستُ لك بمخلية، وأحبُّ من شاركني في خير أختي ، فقال النبي - ﷺ - : «إنَّ ذَلكَ لا يَحلُّ لِي» ، قلت : يارسول اللَّه فواللَّه إنا لنتحدث أنك تريد أن تنكح دُرَّة بنت أبي سلمة ، قال : «بنتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟!» فقلت نعم ، قال: «فَوَاللَّه لَو لَمْ تَكُنْ فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي، إنَّهَا لابنةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَة، أرْضَعَتْنِي وأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيبَةُ، فَلاَ تَعْرِضْنَ[١] عَلَيَّ بَنَاتكُنَّ وَلا أَخَوَاتكُنَّ».

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث علي رضي الله عنه قال: **قلت يارسول اللَّه مالك تَنوَّق[٣] في قريش وتدعنا؟ فقال: «وَعِندَكُمْ شَيءٌ؟» قلت نعم بنت حمزة، فقال رسول اللَّه ﷺ : «إنَّهَا لا تَحلُّ لِي إنَّهَا ابنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ».**

وليس في عرض الرجل ابنته على أهل الصلاح للزواج عيبٌ على الرجل ولا طعن عليه في دينه ، ولا خرمٌ في مروءته ، فقد فعله الفاروق عمر كما أسلفنا وفعله الشيخ الكبير كما قدمنا ولكن كما قدمنا فعرض الرجل ابنته يكون على أهل الصلاح والتقى الذين يعرفون معنى هذا العرض، وقيمة هذا العرض، لا عند السفهاء الجهلاء الذين يُعيِّرون الفتاة بذلك فيما بعد .

وليس للأب أن يُكره ابنته على الزواج من أصله[٤]، ولا على الزواج من

---

(١) النهي هنا عن عرض ما يحرم فقط .

(٢) مسلم (حديث ١٤٤٦) .

(٣) تنوق أي تختار وتبالغ في الاختيار ، وقال آخرون تميل .

(٤) وذلك لما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤/٣٠٣) بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري **أن رجلاً أتى بابنة له إلى النبي ﷺ فقال : إن ابنتي هذه أبت أن تزوَّج قال : فقال لها : «أطيعي أباك» ، قال : فقالت : لا حتى تُخبرني ما حق الزوج على زوجته ؟ فرددت عليه =**

شخصٍ بعينه فقد أمر النبي ﷺ باستئذان البكر واستئمار الثيب.

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه **أن النبي ﷺ قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتي تستأذن، قالوا يا رسول اللّه، وكيف إذنها؟ قال «أن تسكت»** .

وأخرج البخاري[٢] من حديث خنساء بنت خدام الأنصارية **أن أباها زوَّجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول اللّه ﷺ فردَّ نكاحها** .

ثم إن تزويجها من شخص لا تحبه قد يفسد عليها معيشتها وقد يفسد عليها دينها وذلك لكونها لن تقنع به ومن ثمَّ ستتجه ببصرها وقلبها إلى غيره، وأيضا فلن تؤدي له حقه، ومن ثمَّ سيتسرب الشر وينتشر الفساد في البيت، وتجد المغاضبات مستمرة والمشاكل قائمة، وكل هذا من شؤم المعصية والمخالفة لرسول الله ﷺ .

= **مقالتها. قال: فقال: «حق الزوج على زوجته أن لو كان به قرحة فلحستها أو ابتدر منخراه صديداً أو دماً ثم لحسته (*) ما أدت حقه قال: فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوج أبداً قال: فقال لا تُنكحوها إلا بإذنها»** .

(١) البخاري (٥١٣٦) ومسلم (حديث ١٤١٩) .

(٢) البخاري (حديث ٥١٣٨) .

(*) هذا الحديث يوضح عظيم حق الزوج على زوجته، ولكن لابد من ضبطه بالنصوص الأخر، وعمومات الشريعة، واصولها، فطاعة الزوجة لزوجها لها أحوال فقد تجب أحياناً وقد تستحب احياناً وقد تحرم احياناً اخرى، فإذا دعا الرجل زوجته لفراشه - ولم يكن هناك مانع شرعي يمنعها - وجب عليها طاعته، وإذا سالها شيئاً من مالها عند احتياجه أو شيئاً من مجهودها لمعاونته استحب لها طاعته، وإذا أمرها بمعصية يحرم عليها طاعته، فمثلاً: إذا دعاها للجماع في لقُبل وهي حائض واطاعته اثمت .

ولا تسمح أيها الأب
للخاطب بحالٍ من الأحوال أن يخلو بابنتك

فهو مازال أجنبياً عنها، لا تحل له الخلوة بها، ولا يحل له مس يدها ولا تقبيلها! ولا يجوز أن يسافر بها.

بل ويجوز له أن يتركها ويتزوج بأختها، وكذلك يجوز له أن يتزوج بأمها إن أنت طلقتها!!

فانتبه أيها الأب، ثم مايدريك لعله يعبث بها ثم يتركها ويُشهِّر بها !

فإياك أن تتعدى حدود الله ، إياك أن تنتهك محارم الله .

وليس للابنة أن تزوِّج نفسها بغير إذن وليها لقول النبي ﷺ : «**لا نِكَاحَ إلا بِوَلِيٍّ**»[1].

ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيرِ إِذْنِ مَوَالِيهَا فَنِكَاحِهَا بَاطِلٌ** - ثلاثا»[2].

أما الابن فهل لأبيه أن يتدخل في زواجه؟

نعم للأب ذلك، فابتداء ليس للأب أن يجبر ولده على الزواج بمن لا يحبها ولا يهواها ، وليس للابن كذلك أن يختار امرأة يكرها الأب ويبغضها

---

(١) أبو داود (حديث ٢٠٨٥) وإسناده صحيح .

(٢) أحمد في المسند (٦/١٥٦) وهو صحيح ، استفضت في الكلام على الحديثين في كتابي «**جامع أحكام النساء**» فليرجع إليه من شاء .

ولا يحبهــا ، فقد أمر عمــر ابنه بتطليق تلك المرأة التي كان يحبهــا ابن عمر ويكرهها عمر [(١)].

ولذلك فقه بلا شك فينُظر إلى الحـامل للوالد على الأمر بالطلاق ، فإذا كان الأب يرى في زوجة ابنه مـخالفات شرعـية وإضاعة لحدود الله سـبحانه وتعالى ، ولم تُجد معها النصـائح فحينئذ يُطع الولد أباه في أمره بالطلاق ، وقد حث إبراهيم ولده اسـماعيل عليـهما السلام على تغـيير عتـبة بابه « أي فراق زوجته » [(٢)].

أما إذا كـان الأب يريد طلاق زوجة ابنه لدينهـا أو لتحفظهـا عن الحرام وامتناعها من الحرام فلا يطاع الوالد حينئذ ، فالله يقول: ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا** ﴾. [الكهف: ٢٨]

والأمور تقدر بقدرها .

هذا وقد زوج عمرو بن العاص ولده عبد الله بن عمرو[(٣)].

---

(١) أخـرج أبو داود (٥١٣٨) باسناد صـحـيح عن ابن عـمر ﷺ قـال : **كـانت تحـتي امـرأةٌ وكنت أحبها ، وكان عمر يكرهها فقال لي طلقها فأبيت ، فأتى عمر النبي ﷺ فذكر ذلك له فقـال النبي ﷺ : « طلقـها »** ، وأخرجه أيضا الترمـذي (١١٨٩) وقال هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجة (٢٠٨٨).

(٢) سيأتي قريباً إن شاء الله .

(٣) أخرج البخـاري (حديث ٥٠٥٢) من حديث عبد الله بن عـمرو ﷺ قال : **أنكحـني أبي امرأة ذات حسب** ... الحديث .

متابعة الأبناء وتفقد أحوالهم حتى بعد الكبر

ويجدر بالأبوين أن يتفقدا أحوال أبنائهم ويتابعا سيرتهم ويقوما معهم بما أوجبه الله عليهما من النصح والتذكير والإرشاد والحث على الخير والمعروف، واتقاء الشرور ، سواء كان الأبناء صغار أم كبار ، وقبل البلوغ وبعده، بل وبعد الزواج كذلك وهكذا كان أهل الفضل والصلاح يفعلون .

فالخليل إبراهيم عليه السلام يسافر مسافات طويلة لتفقد أحوال ولده إسماعيل والاطمئنان عليه، وينصحه بالذي يراه نافعاً له في دينه ودنياه .

أخرج البخاري ومسلم[1]من حديث ابن عباس ﷺ قال: «**أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقًا لتُعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ـ وهي تُرضعه ـ حتي وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: ياإبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء، فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها . فقالت له : آللَّه أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يُضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال:** ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ـ حتى بلغ ـ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧]، **وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل**

(١) البخاري (حديث ٣٣٦٤) .

وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ أو قال : يتلبط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتي جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي ﷺ : «فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا» فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: «صَه» ـ تريد نفسها ـ ثم تسمعت أيضا فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس قال النبي ﷺ : «يَرحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ ـ أو قال: لَوْ لَمْ تَغْرِف المَاءَ ـ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً» قال فشربت وأرضعت ولدها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فإن ها هنا بيت اللَّه يبنى هذا الغلام وأبوه وإن اللَّه لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتي مرت بهم رفقة من جُرهم ـ أو أهل بيت من جُرهُم ـ مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا ـ قال وأم إسماعيل عند الماء ـ فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا: نعم. قال ابن عباس قال النبي ﷺ : فَأَلْفَى ذَلِكَ أُمَّ

إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الأُنْسَ» فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم، فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم، وَأَنْفَسَهُمْ وأعجبهم حين شب، فلما أدرك زوَّجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوَّج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت إليه قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يُغَيِّرُ عتبةً بابه . فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً فقال : هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنَّا في جَهْد وَشدَّة قال : فهل أوصاك بشيء ؟ قالت : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقولَ غَيِّر عتبة بابك قال : ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوَّج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ماشاء اللَّه ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة ، وأثنت على اللَّه فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي ﷺ : «وَلَمْ يَكُنْ لَهُم يَومَئذ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فيه» قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلَّالم يوافقاه قال : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه يُثبِّت عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل قال : هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ـ وأثنت عليه ـ فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنا بخير قال : فأوصاك بشيء ؟ قالت : نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تُثبِّت عتبة بابك قال : ذاك أبي ، وأنت العتبة،

أمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء اللَّه ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريبًا من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل، إن اللَّه أمرني بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك قال : وتُعينُني ؟ قال : وأعينك قال : فإن اللَّه أمرني أن أبني ها هُنا بيتاً ـ وأشار إلى أكمة مُرتفعة على ما حولها ـ قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني . حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يُناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . [البقرة: ١٢٧] قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]».

ونبينا محمد ﷺ يذهب إلى بيت ابنته فاطمة رضي الله عنها ويحثها ويحث زوجها على فعل الخير .

أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث علي رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: «ألا تُصَلِّيَان؟» فقلت يا رسول اللَّه أنفسنا بيد اللَّه فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً ثم سمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه وهو يقول : ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤]».

وعمرو بن العاص رضي الله عنه يتفقد أحوال ابنه عبد الله بعد زواجه ويسأل زوجته عن أخبارهما ويرفع الأمر في ذلك إلى رسول الله ﷺ ، وها هو

---

(١) البخاري (حديث ١١٢٧) ومسلم (حديث ٧٧٥) .

الحديث بذلك .

أخرج البخاري[١] من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «أنكحني أبي امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشًا، ولم يفتِّش لنا كنفا منذ أتيناه. فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: القني به فلقيه بعد، فقال: «كَيفَ تَصُومُ؟» قلت: أصوم كل يوم قال «وكَيفَ تَخْتمُ؟» قلت: كل ليلة . قال: «صُمْ في كُلِّ شَهر ثَلاثَةً وَاقْرَإ القُرآنَ في كُلِّ شَهْرٍ» قال قلت: أطيق أكثر من ذلك قال: «صُم ثَلاثةَ أَيَّام في الجُمُعَة». قال قلت: أطيق أكثر من ذلك قال: «أَفْطر يَوْمَين وَصُم يَوْمًا» قال قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوم صَومَ دَاودَ، صيامَ يَوم وإفْطَارَ يَوم وَاقْرَأ في كُلِّ سَبْع لَيَال مَرَّةً» فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذاك أني كبرت وضعفت فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون اخف عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى وصام مثلهن،كراهية أن يترك شيئا فارق النبي ﷺ عليه».

وها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرسل خادماً تخدم ابنته بعد زواجها

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوجني الزبيروما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضحٍ[٣]

(١) البخاري (حديث ٥٠٥٢) .

(٢) البخاري (حديث ٥٢٢٤) ومسلم (حديث ٢١٨٢) .

(٣) الناضح من الإبل هو الذي يستقى عليه الماء .

وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرزُ غربهُ (١) وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبزُ وكان يخبز جاراتٌ لي من الأنصار ، وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه (٢) رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثُلثي فرسخ فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيتُ رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار ، فدعاني ثم قال « إخْ إخ » ليحملني خلفه فاستحييتُ أن أسير مع الرجال وذكرتُ الزبير وغَيْرتَه وكان أغْيَرَ الناس فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحيت فمضى فجئت الزبير فقلت : لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك ، فقال : والله لَحَمْلُك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه ، قالت : حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني » .

وعمر رضي الله عنه يوصي ابنته بحسن صحبة زوجها

وأخرج البخاري(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فذكر الحديث وفيه أن عمر قال: ... ثم جمعت عليَّ ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل، قالت نعم، فقلت قد خِبْت وخسرت، أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسول الله ﷺ فتهلكي ؟

(١) الغَرْب هو الدلو الكبير ، ومعنى أخرز غربه أي أخيطه إذا انقطع .

(٢) أقطعه : أي أعطاه .

(٣) البخاري · حديث (حديث ٥١٩١) .

لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه ، وسليني مابدا لك ، ولا يغرنك إن كانت جارتك أوْضأ منك وأحبّ إلى النبي ﷺ ، يريد عائشة ... الحديث» .

وليتابع الأب أبناءه ويتفقد أحوالهم ويتتبعهم في سائر النواحي الأخلاقية

ويحذرهم ويحث غيره على تحذيرهم بأسلوب نافع غيرمُضر من عموم الفواحش والكبائر كالزنا واللواط ومن مقدمات ذلك كالخلوة بالأجنبيات والمردان والنظر إلى الأفلام المثيرة والاستماع إلى الأغاني الخليعة التي تثير الكامن وتهيج على الفواحش ويبين لهم الأدلة من الكتاب والسنة على تحريم هذه الأفعال والقبائح في أسلوب ذكي مفيد نافع ليتلو عليهم ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا**﴾ . [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠]

وقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾ .

[الاسراء: ٣٢]

ويبين لهم من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتحذيراتهم لأقوامهم من هذه القبائح، فيبين لهم قصة قوم لوط ضمن سائر القصص التي ذكرها الله في كتابه، وكيف كانت عاقبة قوم لوط لما خالفوا نبيهم وعصوا أمر ربهم، يبين لهم ذلك بأسلوب يؤدي الغرض ولا يخدش الحياء وإن لم يكن

بوسعه ذلك دفع إليهم الكتب والشرائط التي تبين لهم عواقب هذه القبائح .

وكذلك فليحذرهم من السرقة مع بيان عقـوبتها في الشرع وبيان عقوبتها في الآخرة كذلك.

وأيضا يعلمهم الصدق وكيف أنه يـهدي إلي البر والبر يهدي إلى الجنة ، ويحذرهم من الكذب وكـيف أنه يهدي إلى الفـجور ، والفجـور يهدي إلى النار.

وليـحرص حـرصاً شـديداً كذلك على صـرف أولاده عن كل ما يضـرُّ بصحتـهم ويفسد أخلاقهم من المخدرات والسـجائر ويبين لهم أثرها وخطرها في الدين والدنيا وأضرارها علي البدن .

سلِّط على ابنك من يوجـه له هذه النصائح غـيرك حتى تتـعدد مـصادر النصح ومصادر الخير عنده فإذا لم يقبل من هذا قبل من ذاك ، وإذا قصَّر هذا في تعليمه وتذكيره أتمَّ ذاك .

التحذير من الافتتان بالأولاد

وذلك لأن الأولاد فتنة.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. [التغابن: ١٥]

وقال سبـحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. [التغابن : ١٤]

وقال سبحانه : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾. [الكهف: ٤٦]

وقال سبـحانه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾. [آل عمران: ١٤]

فلاشك بعد إيراد هذه النصوص ـ أن الولد فتنة .

والافتتان بالأولاد يحصل من وجوه منها :

أن رزق الله للعبد بالولد قد يحمله على التفاخر والتباهي على الناس وترك شكر نعمة الله عليه ، فيتكاثر بأولاده على الناس ويتعالى عليهم ويتكبر ويظلم فيؤول به ذلك إلى النار والعياذ بالله .

ومنها: أن الولد قد يحمل أباه على الكسب المحرم من أجله فيجتهد في جمع المال ومعاداة الناس وقطع الأرحام كل ذلك من أجل ولده .

ومنها: أن الولد يحمل أباه على البخل ويحمله على الجبن فيأتي الوالد كي يتصدق فيأتيه الشيطان ويقول له ولدك أولى وأحق فيمسك عن الإنفاق في أوجه البر وطرق الخير والإحسان من أجل الولد ويحمله أيضا على الجبن فتأتى مواقف يتعين على الرجل أن يكون فيها قوالاً بالحق متبعاً لسبيل الرشاد فيخشى من بطش الظالمين ويقول أبقى لولدي أرعاه وأربيه خيرٌ لي من كلمة حق وخيرٌ لي من الموت وأحب إليَّ من السجن!!

يأتي الوالد كي يُجاهد فينظر إلى ولده فيفتن به ويتخلف عن الجهاد ،

وقد يجور الرجل في تصرفاته مع أولاده فيفعل ما يفعله أهل الجهل والغباء الذين يحرمون البنات من الميراث ويطعمونه البنين .

قد يمرض الولد مرضاً شديداً فيجزع لذلك والده ويجهل ويعترض على

الشرع بأقواله وأفعاله ويعترض على أقدار الله عز وجل ولا يرضى بقضائه !!

وكم من ولدٍ قد مات فلطمت أمه الخدود وشقت الجيوب ودعت بدعوى الجاهلية !

وفضلاً عن ذلك فالولد في نفسه قد يكون شقياً فيرهق أبويه طغياناً وكفراً ، كما قال ربنا سبحانه : ﴿ **وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فخشينا أن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْراً** ﴾ . [الكهف : ٨٠]

وانظر إلى هذا الذي اغتر بأولاده ولم يقم بشكر نعمة الله عليه ، انظر إلى هذا الذي قال الله في شأنه : ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدوداً . وَبَنِينَ شُهُوداً . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيداً . سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً** ﴾ . [المدثر : ١١-١٧]

إنه رجل قد منَّ الله عليه بالأبناء وجعلهم شهوداً أي حضوراً حوله ، لا يحتاجون إلى سفرٍ من أجل اكتساب الرزق ، بل رزقهم دارٌ عليهم وهم حول أبيهم تقر بهم عين أبيهم ، ومع ذلك لم يشكر هذه النعمة بل كفر ، فكان من عاقبته أن قال الله في شأنه: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ**﴾ . [المدثر : ٢٦ ـ ٢٩]

فإياك يا عبد الله أن تتخلف عن شكر نعمة الله عليك. وإياك أن تتخلف عن طاعة الله بسبب الأولاد.

فعلى الأبوين أن يقوما بتربية أبنائهما على طاعة الله وتنشئتهم على مايرضي الله كل ذلك ابتغاء مرضات الله ولا ينشغلا بهما عن طاعة الله ولا

عن ذكر الله فقد حذر الله سبحانه وتعالى من الانشغال بالأولاد عن ذكر الله أيما تحذير ، قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ . [المنافقون: ٩]

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ . [التوبة : ٢٤]

واعقل وتفهم يا عبد الله هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال **قال رسول اللَّه ﷺ** : «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[1] .

ولتوصِ أبناءك عند موتك بما تراهم يحتاجون إليه[2] فرسول الله ﷺ يوصي ابنته فاطمة عند موته بالصبر والثبات .

أخرج البخاري ومسلم[3] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده جميعا لم يغادر منا واحدة فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي ، ولا واللَّه ما تخطئ مشيتها من مشية رسول اللَّه ﷺ فلما رآها رحَّب قال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثم أجلسها عن يمينه ـ أو عن شماله ـ ثم سارَّها .**

(١) البخاري (حديث ١٥) ومسلم (حديث ٤٤) .

(٢) ولا يجوز لك أن توصي لأحد الأبناء بشيء من المال غير الميراث ، فالأولاد ورثة ، ولا وصية لوارث .

(٣) البخاري (حديث ٦٢٨٥ ، ٦٢٨٦) ومسلم (حديث ٢٤٥٠) .

فبكت بكاء شديداً ، فلما رأى حزنها سارَّها الثانية فإذا هي تضحك فقلت لها - أنا من بين نسائه - خصَّك رسول اللَّه ﷺ بالسرِّ من بيننا ثم أنت تبكين فلما قام رسول اللَّه ﷺ سألتها عما سارَّك ؟ قالت : ما كنت لأفشي على رسول اللَّه ﷺ سرَّه ، فلما توفى قلت لها : عزمت عليك - بما لي عليك من الحق - لما أخبرتني قالت: أما الآن فنعم ، فأخبرتني قالت : أما حين سارَّني في الأمر الأول فإنه أخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة ، «وَإِنَّهُ قَدْ عَارَضَني به العَامَ مرَّتين، وَلا أرَى الأَجَلَ إلا قَد اقْتَرَبَ فَاتَّقي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ». قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت . فلما رأى جزعي سارني الثانية قال: «يَا فَاطمَةُ، أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُوني سَيِّدَةَ نسَاء المُؤْمنينَ؟ أو سَيِّدَةَ نسَاء هَذه الأُمَّةِ؟» .

وعبد الله والد جابر يوصي جابراً بإخوته عند الممات.

أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد اللَّه ﷺ قال: « لما حضر أُحدٌ دعاني أبي من الليل فقال : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب النبي ﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعزَّ عليَّ منك غير نفس رسول اللَّه ﷺ ، وإن عليَّ ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا فكان أول قتيل ، ودفن معه آخر في قبر ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر ، فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه» .

وجاءت وصية إبراهيم الخليل ﷺ ، وكذلك وصية يعقوب عليه السلام لأبنائهما متضمنة الأمر بالتوحيد والتمسك بالإسلام حتى الممات قال الله

(١) البخاري (حديث ١٣٥١) .

تعـالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين . ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون . أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ . [البقرة: ١٣٠-١٣٣]

وعمر يوصي ولده بسداد الدَّين، ففي صحيح البخاري[١] في قصة مقتل أمير المؤمنين عمر ﷺ أن عمر قال : يا عبد الله بن عمر انظر ما عليَّ من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه ، قال إن وفى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم ، وإلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال ... الحديث .

الحالة الصحية للأبناء وجملة من نصائح الأطباء

وعلى الأبوين مراعاة الحالة الصحية للأبناء وتفقدها .

فقد قال ﷺ أيضا: «المُؤْمنُ القَويُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إلَى اللَّه منَ المُؤْمن الضَّعيف وفي كُلٍّ خَير» [٢] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «إنَّ لولَدكَ عَليكَ حَقاً»[٣] .

وتقدم قوله صلوات الله وسلامه عليه: «الرَّجُلُ رَاعٍ في بَيْته وَهُوَ مَسْئُولٌ

---

(١) البخاري (حديث ٣٧٠٠).

(٢) مسلم (حديث ٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً .

(٣) أخرجه مسلم ص ٨١٤ .

عَنْ رَعِيَّتِه»[(١)] .

فجدير بالأبوين أن يحافظا على صحة وسلامة الأبناء ، ونسوق ها هنا جملة من نصائح أطباء فضلاء وتوجيهات أساتذة أمناء ـ بارك الله فيهم وفي علمهم ـ للآباء والأمهات لعل الله أن ينفع بها ، وقد تركنا الأمر في هذا لأهل هذه المهنة إذ هم بها أخبر وقد قال تعالى : ﴿ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُون** ﴾ . [الأنبياء : ٧]

وقال تعالى : ﴿ **فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً** ﴾ . [الفرقان : ٥٩]

وقد حث عليه الصلاة والسلام على التداوي بقوله: «**تَدَاوَوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إلا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيرَ دَاء وَاحِد الهَرَمُ**»[(٢)] .

وهذا كله من باب الأخذ بالأسباب، مع اعتقادنا الجازم ويقيننا الثابت أن الشافي هو الله، ولا شفاء إلا شفاؤه، كما قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين** ﴾ . [الشعراء : ٨٠]

وكما قال عليه الصلاة والسلام: «**اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شَافِيَ إلا أَنْتَ**»[(٣)] .

ثم بعد ذلك فها هي نصائح بعض إخواننا الأطباء الفضلاء نسأل الله أن ينفع بها المسلمين وأن يجعلها في موازين حسنات من كتبها وأسداها .

---

(١) صحيح، وقد تقدم .

(٢) صحيح، وقد تقدم .

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ١٠/٢٠٦) من طريق عبد العزيز قال دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت يا أبا حمزة اشتكيت؟ فقال أنس: ألا أرقيك برقية رسول الله ﷺ؟ قال: بلى قال: «اللهم رب الناس مُذهب الباس اشف أنت الشافي لا شافي إلا أنت شفاءً لا يغادر سقما».

توجيهات ونصائح طبية

كلمه الأخ الطبيب/ أحمد عبد الله ـ حفظه الله ـ

أستاذ طب الأطفال وأمراض الجهاز الهضمي والكبد للأطفال[1] بجامعة المنصورة.

كتب حفظه الله يقول:

نصائح طبية للأباء والأمهات من أجل تنشئة جيل صحيح:

من أجل تربيه جيل سوى يعلم حقوقه وواجباته يجب تحصينه منذ الصغر بأمور ثلاثة:

١ ـ تعليمه أمور دينه كل حسب مرحلة نموه .

٢ـ وقايته ضد الأمراض المختلفة وذلك بالتعرف على أعراضها وعلاماتها.

٣ ـ تعلم أمور دنياه ـ هندسه ـ طب ـ زراعة ـ. . . إلخ .

الشافي هو الله:

قال الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[الشعراء: ٨٠]

---

(١) هذا الاستطراد فى التعريف لم يكن بود أخى أحمد حفظه الله ، بل ولما سألته ماذا أكتب فى التعريف قال اكتب الفقير إلى ربه أحمد بن عبد الله ، ولكنى كتبت ما كتبته لإنزاله منزلته فهو حفظه الله من أطباء مصر المعدودين فى هذا المجال ، فجزاه الله خيراً على تواضعه ، وكان هذا أيضا رأى إخوانه من الأطباء المذكورين زادهم الله تواضعاً ورفعة .

وقال النبى ﷺ « **لكل داء دواء فإذا أصاب دواءٌ الدَّاءَ برأ بإذن الله عز وجل** » .

وأمراض الأطفال تختلف عن مثيلاتها فى البالغين من حيث الأعراض والمضاعفات مثال ذلك :

١ ـ أمراض الكلى .

٢ ـ أمراض المعدة .

٣ ـ أمراض الكبد .

والحديث سوف ينقسم إلى عدة مراحل :

١ ـ نصائح للأم قبل الولادة.

٢ ـ نصائح للأم عند الولادة.

٣ ـ نصائح حتى سن الطفولة.

الأمراض بصفه عامة:

١ ـ وراثية.

٢ ـ مكتسبة.

أعراض الأمراض

١ ـ الأمراض التى تصيب الأم ويكون لها تأثير ذو أهمية فى الطفل:

أ ـ ارتفاع الحرارة إذا استمرت مدة أكثر من ثلاثة أيام وصاحبها طفح جلدي: الحصبة الألمانية.

التأثير على الطفل:

* ضمور فى خلايا المخ ـ التخلف .

* التهاب فى الكبد .

* أنيميا شديدة .

ب ـ التهاب الكبد الوبائى فى الشهور الأخيرة من الحمل :

* نوع (ب) :

يصبح الطفل حاملا للفيروس مدة طويلة من عمره قد تؤدى إلى حدوث بعض السرطانات فى الكبد .

يمكن علاج هذه المشكلة بإعطاء المصل عند الولادة مباشرة .

ج ـ الامتناع كلية عن تناول الأدوية فى شهور الحمل الا فى الضرورة القصوى وتحت إشراف الأطباء المتخصصين .

٢ ـ الأعراض التى يجب الاهتمام بها عند الولادة :

أ ـ عدم أخذ الشهيق الأول بعد الولادة مباشرة .

ب ـ ظهور اللون الأصفر فى العين فى اليوم الأول .

ج ـ ظهور شحوب شديدة فى الوجه .

د ـ التأكد أن عملية الإخراج سواء للبول أوالبراز قد تمت بعد الميلاد أو على الأقصى فى خلال أربع وعشرين ساعة من الميلاد .

ث ـ القيء المستمر .

الأعراض ذات الأهمية فى الشهور الأولى من العمر :

١ ـ الصفراء : طبيعية ـ مرضية .

علامات الصفراء المرضية :

* البراز لون الجير .

* البول لون الشاى .

* قلق مستمر نتيجة أكلان فى الجلد .

* تأخر النمو .

٢ ـ البكاء الشديد مع الرضاعة الطبيعية :

* حساسية للبن الأم .

* ارتجاع الحامض من المعدة الى المريء .

٣ ـ الإسهال المستمر منذ الولادة ـ حساسية للبن الأم .

٤ ـ حساسية الصدر أو تـوقف النفس بالكلية ـ ارتجاع الحامض من المعدة إلى المريء.

٥ ـ معدلات النمو غير متناسبة مع السن:

* أمراض الغدد الصماء .

* أمراض سوء التغذية ـ نقص فى كمية اللبن .

٦ ـ تأخر المشى ـ الكلام ـ أمراض الجهاز العصبى .

٧ ـ النزلات المعوية:

* علامات خطرة - نقص فى كمية البول .

* الحرارة .

* صديد مع البراز .

* قئ مستمر .

٨ - ألام البطن المستمر :

قد تكون بسبب عضوي أو غير عضوي.

(كيف نفرق)؟

* هل توجد فى كل الأوقات أم خاصة فى الليل؟

* أيام الدراسة أم الإجازات.

* الشهية مفتوحة أم لا .

٩ - أعراض التهاب المسالك البولية:

غير مثالية:

* مرات البول مستمرة .

* مغص فى البطن .

١٠ - الالتهاب الكبدى الوبائى :

* أعراض ظاهرة ومستمرة .

* عادات سيئة بالنسبة للعلاج - الكورتيزون - التغذية .

* التطعيم ضد فيروس (ب) .

محظورات فى العام الأول من حياة الطفل :

١ ـ عدم شرب اللبن الحليب .

٢ ـ عدم إكراه الطفل على الأكل بصورة مستمرة .

٣ ـ الإقلال من الحلوى الكثيرة .

٤ ـ عدم المبالغة فى تأريخ المرض للطبيب بل يجب وصف المرض بدقة.

٥ ـ عدم الالتجاء إلى الصف الثانى فى الطابور الطبى ـ الممرضين وأمثالهم .

كلمة الأخ الطبيب / أحمد ستين(*)

أستاذ طب الأطفال والوراثة بكلية الطب جامعة المنصورة .

فى حالات الطفل المولود حديثا ينبه إلى الآتى :

* يفضل عدم وضع رباط على بطن الطفل أو المبالغة فى لف الطفل أو زيادة الملابس .

* عدم وضع الطفل فى جو شديد الحرارة أو شديد البرودة .

* عدم تعويد الطفل على الحمل أو الهزهزة عند البكاء .

* يفضل عدم الإسراع فى إرضاع الطفل وكذلك حمله أو هزهزته عند البكاء .

* يفضل نوم الطفل على الجانب الأيمن أو البطن مع الربت الخفيف على الظهر فى بعض الأحيان .

* عدم تعرض الطفل للضوء الشديد أو الضوضاء الشديدة .

* يفضل تهوية المكان مع العناية بعدم تعرض الطفل لتيارات الهواء المباشرة للوقاية من الزكام والنزلات الشعبية .

* عدم إرضاع الطفل فى وضع النوم بالنسبة للأم حرصا على عدم التهاب الأذن .

(*) الأستاذ الدكتور أحمد ستين حفظه الله كان الأول على جمهورية مصر العربية فى الثانوية العامة عام ١٩٧٣ م .

* تنظيم الرضعات وعدم إعطاء الطفل الثدى لمجرد البكاء .

* الحرص على تجشئ الطفل بعد الرضاعة.

* عمل حمام مائى دافئ يوميا للطفل مساء.

* يفضل بقاء الطفل جافا نظيفا مع إزالة الغيارات المبتلة بانتظام .

* عدم إكثار الأم من أكل البصل والثوم أو الأكل الذي يسبب الانتفاخات أو المشروبات المنبهة .

* ينبغى التأكد من عدم تعاطي الأم لبعض الأدوية التى قد تفرز فى اللبن.

* عرض الطفل على الطبيب المختص للفحص إن كان هذا البكاء مصحوبا بأعراض أخرى مثل الإمساك الشديد ، الانسداد المعوى ، القئ الشديد ، الحرارة المرتفعة، التشنجات العصبية. . . إلخ ويمكن إعطاؤه بعض المهدئات تبعا لتعليمات الطبيب .

* يجب معالجة التهاب الفم للمولود خاصة الالتهابات الفطرية التى قد تنتقل إلى حلمة الأم فتؤدي إلى ألام شديدة عند الرضاعة .

* يجب العناية بنظافة الجزء المقطوع من الحبل السرى للطفل .

* يجب العناية بعين المولود والمحافظة على عدم وجود التهابات بها مع العلم بأن الحول أو الاهتزاز فى العينين قد يكون طبيعيا فى السنة الأولى.

* من المفترض فى الطفل المولود أن يعطى أي سوائل خفيفة عند بكائه فى خلال الست ساعات الأولى فقط من العمر ثم يوضع على ثدي أمه بعد ذلك بانتظام عند البكاء حتى إن لم يمتلئ الثدى باللبن وذلك لتجهيز حلمة

الثدي بدرجة كافية للرضاعة و الانتفاع بالجزء الأول من اللبن وهو ما يطلق عليه السرسوب الذي مع كون كميته قليلة فهو غنى بالبروتين و بالخلايا و الأجسام المناعية التى تساعد فى حماية الطفل و نموه فى الفترة الأولى من العمر .

* يجب الابتعاد عن القلق و الوهم أن لبن الأم ليس كافيا لنمو الطفل.

* الحرص على عدم إدخال سوائل أخرى مع الرضعات حتى لا تؤدي إلى تعود الطفل عليها ورفضه لثدي أمه فيقل إدرار اللبن بصورة أكثر .

* ملاحظة وجود تحوصلات بيضاء على شفة المولود طبيعية و تنتج عن مص الطفل لثدى الأم .

* وجود لين فى براز الطفل المولود فى الأيام الأولى من العمر و خاصة مع كل رضعة من لبن الأم شئ طبيعي ولا يحتاج إلى إيقاف الرضاعة الطبيعية أو إعطاء الطفل الألبان الصناعية أو المضادات الحيوية بغير تأكد وهذا البراز يسمى البراز المؤقت .

* نزول براز أسود اللون شديد اللزوجة من الطفل فى اليوم الأول من العمر (العقى) طبيعي جدا لكن ينصح باستشارة الطبيب المختص عند تأخر هذا البراز بعد أربع وعشرين ساعة وخاصة إذا كان هناك انتفاخ فى البطن أو قئ أو أعراض أخرى مرضية .

* يلاحظ كثيرا وجود لون أصفر فى عين الطفل المولود و أحيانا أخرى فى الجلد و خاصة فى الأسبوع الأول من العمر و هذه هى ما يسمى بالصفراء الفسيولوجية العادية وهى تبدأ فى اليوم الثانى من العمر وتزيد بالتدريج

حتى اليوم السابع إلى العاشر ثم تتناقص حتى تختفي و كثيرا ما يصحب ذلك خروج براز أصفر لين وكذلك تلون الغيارات ببول الطفل وهذه ملحوظة عادية للطفل المولود و لكنه ينصح باستشارة الطبيب المختص فى الحالات الشديدة وخاصة إذا كانت مصحوبة بفقر دم أو وجود شحوب أو عصبية فى البكاء أو أعراض أخرى غير طبيعية تنبه على وجود أسباب مرضية يجب الإسراع بعلاجها بعد عمل التحاليل اللازمة .

* نزول بعض الإفرازات المصحوبة بالدم فى بعض الأحيان و ذلك للمواليد الإناث بعد أيام من الولادة أمر عادى جدا و ينتج عن نقص الهرمونات الأنثوية فى الجسم بعد الولادة مما يؤدى إلى هذا النموذج المصغر وغير المتكرر للدورة الشهرية فى البالغات .

* تورم الثديين فى الذكور أو الإناث عادي جدا وهو ينتج عن وجود هرمونات أنثوية زائدة من الأم أثناء الحمل و يختفى هذا الورم تدريجيا مع تناقص كمية الهرمونات بالجسم وعلى العكس يمكن إصابة الثديين بالالتهابات الشديدة عند محاولة المعالجة بالتدليك أو العصر وننصح فى هذه الحالات باستشارة الأطباء المختصين .

للمحافظة على الرضاعة الطبيعية وتغذية الطفل ينبه إلى الآتى:

* لبن الأم هو أحسن لبن يمكن أن يعطى للطفل وذلك لما فيه من الفائدة للطفل وكذلك لأمه فى حياتهما الحاضرة والمستقبلة (زيادة الروابط، الوقاية من الأمراض والسرطان. . . الخ).

* فى الأشهر الأخيرة من الحمل ينصح بتدليك الثدى وعمل تمارين للحلمة

لبروزها للخارج وتليينها وتحضيرها للرضاعة .

* بعد الولادة يستحسن ألا يعطى للطفل سوائل بها سكر ونضعه على ثدي أمه عند بكائه .

* يجب أن تجلس الأم جلسة مريحة للظهر وتضع الثدي فى فم الطفل بحيث يتمكن من الحلمة والجزء المحيط بها حرصا على عدم تشقق الحلمة.

* عدم تعصير الثدي أو الضغط عليه عند الرضاعة فهذا يزيد من احتقانه باللبن.

* يجب ألا يعطى ألبان صناعية أو طبيعية خارجية بالزجاجة فإن هذا يقلل من لبن الأم ويسبب ارتباكا للطفل وقد يجعله يرفض ثدي أمه.

* من الأقوال الشائعة أن لبن الأم قد يكون: خفيفًا لا يغذي الطفل، لبن حزن، يسبب للطفل مغصًا أو إسهالاً قليلاً، وهذه كلها ليس لها أساس إلا بالإثبات العلمي فنمو الطفل بطريقة طبيعية وزيادته فى الوزن يتعارض مع كل هذه المقولات.

* عند بدء الرضاعة بلبن الأم قد يكون هناك نوبات متكررة من البراز اللين، وهذا يحدث فى الشهور الأولى، وقد تسارع بعض الأمهات إلى إيقاف الرضاعة أو إعطاء الطفل ألبان ضد الإسهال أو علاجات مختلفة؛ اعتقادًا منهم أن هذه النوبات من الإسهال المرضي، وهذا خطأ بيِّن، فيجب فى هذه الحالات طمأنة الأم، ووزن الطفل، وفحصه، مع متابعة حالته فإذا كان الطفل ينمو بطريقة جيدة ولا يوجد أى أعراض لنقص الوزن أو الجفاف أو أعراض مرضية أخرى غير ليونة البراز يجب الاطمئنان أن حالة

الطفل طيبة ولا يحتاج لإيقاف اللبن أو أى أدوية أخرى .

* إذا كان هناك أمـر جبـري يستـدعي انفصال الطـفل عن أمه فتـرة مؤقـتة كخروج الأم للعمل مثلا يمـكن إعطاء الطفل وجبة بالملعقة أو الكوب بدلا من استعمال الزجاجة حـتى لا يؤدى ذلك إلى تقليل الرضاعة الطبيعية أو إيقافهـا ويستحب أن تكون هذه الوجبات غيـر غنية بالسكر لكى لا يحس الطفل بالشبع الشديد ويرفض الرضاعة .

* ينبغي مراعاة الحالة النفسية للأم وطمـأنتها وإزالة قلقها الموجود غالبا على طفلها الوليـد مع تجنب الانفعالات النفسـية فى المنزل وتشجـيعها عاطـفيا للمحافظة على إدرار اللبن وعدم نقصانه .

* يجب أن تعطى الأم غذاء متوازنًا غنيًا بالبـروتينات والكالسيوم لتعويض ما تفقده فى الولادة والرضاعة وكذلك لضمان إدرار اللبن بصورة طيبة لتغذية الطفل كما يجب أن تتجنب الأم أخـذ أى أدوية (أو حبوب منع الحمل) التى قد يكون لها تأثيـر ضار بالطفل أو تسبب فى نقص إدرار اللبن وذلك بعد استشارة الطبيب المختص للتأكد فى مثل هذه الحالات .

* الفطام الجزئي وهو تعويدْ الطفل على وجبات أخرى غير لبن الأم يجب أن يبدأ من الشهـر الرابع أو السادس من العمر ويعطى الـطفل سوائل أخرى غير اللبن مثل العـصائر (غير المحلاة بالسكر) من الشهـر الثانى من العمر مع مراعـاة عدم زيادة الكمـيات لكي لا تضـعف شهيـة الطفل ثم يعطى وجبـات شبه سـائلة مثل المهلبيـة السائلة (من النشـا أو الأرز المطحون) ـ الزبادي ـ الحبوب المطحونة أو الخضار أو الفواكه المهروسة من الشهر الرابع

من العمـر (٢ وجبة) وتـزداد بالتدريج فى القوام والكمـية وفى الشـهر الخامس يزاد صفار بيض ـ الجبن الطرية مع الأصناف السابقة ثم فى الشهر السادس يزداد الفول المدمـس أو الحمص المقشور والمهروس وكـبد الدجاج المسلوقة والمهروسـة وفى السابع والثامن والتاسع يضاف اللحـوم المهروسة وصدر الدجاج وظهر السمك المهروس والعـدس ثم من العاشر حتى نهاية السنة الأولى تزداد الكميات والأصناف حتى يعطى أكل عادي مثل الكبار .

* تعطى هذه الوجـبات بحـيث تحل محل الرضـاعة الطبـيعـية فى أوقـاتها وملخص هذا فى أن الطفل يرضع من أمه رضاعة كاملة فى خلال الـ ٤ـ٦ أشهـر الأولى من العمر ثم تـضاف وجبـات من الطعام (٢ وجبـة خلال الـ٤ـ١٠ أشهـر من العمر ثم ٣ وجـبات فى ١١ ـ١٢ أشهر من العـمر) وبعد السنة الأولى تكـون الرضاعة من ٢ ـ٣ مرات فـقط مع إعطاء الطفل الأكل العادي ويلاحظ ظهور الأضـراس من الأسنان للطفل فى هذا العمر مما يناسب تناول الأطعمة العادية .

* قد يتـمادى البعض فى إعطاء الطفل الرضاعـة الطبيعيـة (لبن الأم) فقط اعتقادا منهم فى أن لبن الأم هو أهم غذاء للطفل وذلك بالرغم من وجود الأسنان التى يستطيع أن يستعملها فى مضغ أطعمة أخرى غير اللبن ، كما قد يغالي البعض فى إرضاع الطفل لفـترات طويلة من العمر بدون إعطائه الوجبات الغـذائية الأخرى اللازمة أيضا لـنموه نموا صحيحـا سليما وهذه كلها من الأخطاء الشـائعة وينبغى أن يتعود الطفـل من الشهور الأولى من العمر (٤ ـ ٦) على أنواع أخرى من الأطعمة كما ذكرنا سابقا مع الحرص على توازن هذه الأنواع من حـيث الكميـة والقيـمة الغذائيـة مع لبن الأم

والجدير بالذكر أننا نلجـأ فى بعض الأحيان إلى الفطام المبكر للطفل الذى لا يقبل على الطعام بصورة جيدة ولا يريد إلا الرضاعة من أمه فقط .

فى حالات نقص الوزن وضعف الشهية فى الأطفال ينصح بالآتى:

* عدم التركيز على الأكل أمام الطفل .
* التشجيع والتحفيز للطفل عندما يأكل بطريقة جيدة .
* عدم إعطاء الطفل سكريات بكثرة فقد تفقده شهيته .
* البعد عن الملونات الصناعـية والمواد الكميائية الموجودة فـى أكياس الأطفال الملونة .
* تنظيم الوجبات والحرص على الاجتماع على الطعام .
* مراعاة الحالة النفسية العامة فى المنزل وخلوها من الانفعالات الزائدة .
* عدم إعطاء الطفل الطعام بالقوة أو الإكراه فهذا يعوده على كره الطعام.
* يمكن عقاب الطفل بحرمانه من وجبـة من وجبات الطعام ليعرف أن الأكل شئ يجب الحرص عليه .
* إعطاء الطفل الفرصة الكاملة للشعور بالجوع وطلب الطعام بنفسه .
* عدم الاهتـمام الشديد بعدم تقـبل الطفل لنوع ما من المأكولات فى عـمر معين ويمكن عرضه عليه مستقبلا .
* عدم التـركيز على السـوائل والأطعمة شـبه السائلة فـقد تسبب التـقلبات المعوية والقئ وخاصة إذا كان الطفل يتقبل المأكولات العادية مع والديه .

* عدم ربط الأمراض بالأكل إلا مع الدليل القاطع فإن منع الطفل من الأطعمة ذات القيمة العالية قد يضعف مناعته ويتسبب فى أمراض مزمنة .

* عدم التفاعل الزائد مع محاولات الطفل الاعتماد على نفسه فى الأكل أو اللعب قبل الأكل حتى ولو أدى ذلك لبعض الهرج والمرج .

* زيادة الحنان والاهتمام الزائد عن اللازم يمكن أن يأتى بتأثير عكسى فإحساس الطفل بأنه بؤرة يتجمع فيها كل اهتمامات العائلة مع إصرار الجميع لإجابة كل ما يطلبه يسبب العناد أيضا بالنسبة للأكل ورفضه هذا وذاك وإلقائه الطعام أو تقبله فقط للمشروبات السكرية والحلويات .

* يمكن الاعتماد على الشهية الطبيعية للطفل أثناء المرض فقد يكون هناك ضعفا فى الشهية فى أول فترات المرض فلا يجب الإصرار على إطعام الطفل وعند التحسن تعود الشهية للحالة الطبيعية لتعويض الجسم ما فقده فى فترة المرض فيجب عندها أن يعطى الطفل البروتينات مثل البقوليات المهروسة (الجبن الخالى من الدسم ، الزبادي. . . إلخ) مع الزيادة التدريجية إلى الأكل العادي.

* قد يكون هناك اختلافا واضحا بين الأطفال فى التكوين الجسمي وكذلك الشهية فيجب ألا تجزع الأم من ملاحظة أن طفلها أقل تكوينا أو شهية من غيره من الأطفال.

* الفحص الطبي وعمل التحاليل لمعرفة إذا كان يوجد أنيميا أو طفيليات أو غيرها لعلاجها .

لتعليم الطفل النظام والطاعة ينبه إلى الآتى :

* الطفل المدلل يكون نتيجة نقص النظام السلوكي وذلك إما نتيجة خوف الوالدين من شدة القسوة والحزن أن تؤدي إلى اكتئاب الطفل أو بسبب جهل الوالدين بتعلم النظام .

* الطفل المدلل غير آمن وهو مصدر رعب وإزعاج لكل الناس فيما عدا الوالدين ويحصل على كل حاجاته بكل الوسائل وأبسطها نوبات البكاء الهستيرية مع توقف التنفس .

* قد يظهر سلوكه السيئ عندما يختلط بأطفال آخرين فيظهر العداء للآخرين ويقوم بتصرفات غير اللائقة وقد يظهر ذلك فى الانتظام فى المدرسة والتصرفات الغير لائقة فى الأقوال وقد يتعرض للحوادث أو الانحراف .

* زيادة النظام أيضا عن الحد اللازم مضر أيضا وخاصة إذا كانت غير مطابقة لمستوى النمو العقلي عند الأطفال وخاصة إذا كانت بدافع حفظ ماء الوجه للوالدين أمام الآخرين أو الحرص على الطاعة لأتفه الأشياء أو الخوف من نقد الآخرين على عدم سيطرة الوالدين على الطفل .

* الطاعة الناتجة عن الاستضعاف لا يمكن أن تكون دائمة والعقاب المتكرر قد يضعف العلاقة بين الوالدين والأطفال وينشأ الطفل خجولا جدا وجبانا أيضا ويمكن أن تكون استجابتهم بالرفض أو التلكؤ أو عدم الاكتراث .

* تعلم النظام يجب أن يحاط بالحب والبعد عن التسرع أو التعب أو عدم الصبر مع وضع قواعد ونظم ليست فوق مستوى الطفل وأن تكون لها سبب معقول يفهمه الطفل وخاصة إذا كان سنه مناسبا فهذا يقلل من

العقاب شدته وكميته .

* يمكن أن يكون العقاب فى مجرد تغيير حدة الصوت أوضرب خفيف من غير اللجوء إلى الضرب المبرح والعنف الذي قد يعود على الطفل بدون فائدة .

* تعليم النظام يحتاج دائما إلى الثبات وعدم الاهتزاز فى القرارات التى قد تربك شخصية الأطفال وبخاصة التضارب الذى يحدث بين قرارات الوالدين والجدود الذين لهم قدر كبير من الحنان والعطف على أحفادهم .

* الطفل يجب أن يحب النظام لأنه يحب والديه ويجب أن يكون مثلهم فى القدوة ويجب أن يرضيهم ويطلب تشجيعهم له رغبة منه أن يكون إنسانا صالحا وليس الخوف من العقاب أو السخرية والتشجيع عن طريق الحب والمدح يمكن أن يحسن سلوكه أو عن طريق الجوائز العادلة وليس عن طريق الرشوة .

لتنمية القدرات العقلية والتعليمية للطفل ينبه إلى الآتى:

* يجب على الأم أن تحرص على تعويد الطفل منذ ولادته على التعلم واكتساب الخبرات وذلك مثلا عند عضه للثدى فتسارع بسحب الثدى مع إسماعه كلمة «لا» وكذلك بعض الكلمات مثل آسف، شكرًا، نعم. . . إلخ.

* عندما يشب الطفل ويبدأ فى الإدراك نحرك الشفاه دائما أمامه بالكلمات البسيطة مثل أبى وأمى مع تكرار هذه الكلمات أمامه باستمرار ومن ثم تزيد هذه الكلمات بالتدريج مع تجنب أى تحريف أو تشويه للكلمات اكتسابا للضحك والتسلية بالطفل .

* يجب دائمـا عند تناول الطـفل لأي شئ تكرار اسم هذا الشئ ومـحـاولة جذب الطفل لذكر هذا الشئ ولا يكتـفى بالإشارة للطفل للإسراع بإعطائه هذا الشئ.

* يسـتحب أن يكرر أسـماء الأشخـاص أمام شـفاه الطفل مـن الأقارب أو الجيران مع الإشارة عليهم مع تبسيط هذه الكلمات وعدم إجهاد أذن الطفل أولا بإسمـاع كلمات وأسماء مـعقده قـد تسبب فشـلا فى تعلم الكلمات وترديدها.

* يجب تقوية الدوافع لدى الطفل للتعلم والنطق الصـحيح وذلك بالتشجيع المستـمر عند نجـاح الطفل بالكلام وذلك بأبسط الوسـائل مثل الهـتاف له بالكلمات الطيبة أو تقبـيله أو إبداء الفرح والتهليل أمامه وعلى العكس من ذلك ينبغي عدم قـهر الطفل بالإرغام أو الضحك أو السـخرية من طريقة نطقه فإن ذلك قـد يسبب بالعكس تعقيدا للحالة النفـسية للطفل مما يؤدي إلى تأخر فى الكلام والتعلم.

* ينبغي عدم لفت نظر الطفل لصعوبتـه فى الكلام مثل التهتهة فى الكلام والصعـوبة فى بدء الحديث... إلـخ. بل ينبغي مـساعدته علـى نذكر الكلمات ونـطقها فى حنان مع تجـنب العنف والشدة تمامـا مع التدريب المستـمر على نطق بعض الكلمـات والتشـجيع بكل الوسـائل عند نجاح الطفل فى التـغلب على هذه الصعـوبة مع العلم بأن هذه الصعـوبة فى النطق غالبا مـا تكون من الأحوال المؤقتة المرتبطة بتطور الطفل فتـختفي بمرور الزمن.

* ينبغـى عدم التعليق علـى طريقة نطق الطفل كـالشكوى مثلا لـلآخرين من الأقارب والجيران من أن الطفل لا يسـتطيع أن يتكلم أن ينطق وكذلك ينبغي عدم تكرار الكلمـات المشوهة أمام أذن الطـفل لأن البعض يعتـقد أن الطفل عندما ينطق الاسم مـشوها فينبغي نطـقه بنفس الطريقة ليعـرفه الطفل وهذا خطأ كبير وقد يسبب أن يستمر هذا الاسم المشوه عند الطفل مدى حياته.

* ينبغي عدم المبـالغة فى تدليل الأطفال والاستجابة لكل رغـباتهم أو الإسراع دائمـا بإرضائهم عند البـكاء أو العصـبيـة مع عدم تـعريف الطفل للثـواب والعقـاب وقد يظهر ذلك كـثيرا فى تربيـة الجدود للأحفـاد حيث إن الحنان يتدفق من الجـد لحفيـده مما يسبب فى الزيادة فى التدلـيل وكذلك فى الطفل الوحيـد أو فى الآباء والأمهات المتـقدمين فى السن فيـجب النصح فى هذه الأحـوال على تعويد الطفل علـى كلمة « لا » فى بعض المواضع والحـرص على تنفـيذ ذلك وكـذلك عدم الإسراع فى إرضـاء الطفل لكل شـهواته ، ورغباته مع التشجـيع المستمر عند إتيان الطفل للأعمال الطيبـة المرغوب فيها وتوبيخه مع عدم العنف عند إتيانه للأعمال غير المرغوب فيها.

* ينبـغي دائما إيجـاد الدوافع للطفل للتعلم مـثل اللعب المفيـد مع تكرار أسماء الألعاب أمام الطفل وكذلك الاشتراك معه فى تكوين أفكار بسيطة مع محاولة تفهيم الطفل لبعض المواقف المرغوب فيها وغير المرغوب فيها وذلك لتنمية القدرة على اكـتساب المعلومات للطفل كما ينبغى تشـجيعه باستمرار عند محـاولته لتكوين رأى خاص أو إبداء أفكاره أمام الآخرين مع عدم التـهكم أو السخرية أو إيقـافه أو إبعاده بحـجة أنه صغـير ولا يعرف شيئاً.

* ينبغي عدم تعريض الطفل لسماع الكلمات المزرية أو الشتائم أو تشجيعه على تلفظ بعض هذه الكلمات بحجة أنها شئ مسلٍّ ولكن أن يسمع الطفل يسب أباه أو يتلفظ بمثل هذه الألفاظ فإنها قد تكون وبالا فى مستقبل الطفل الذى يتعود لسانه على الألفاظ البذيئة فلا يستطيع أن يتركها فيكون محلا للنقد لكل من حوله .

* ينبغي العناية بإحاطة الطفل بوسط متوازن من ناحية العوامل النفسية فلا يجب أن يحاط بجو من الحزن الشديد أو العنف أو الخوف وما إليه مما يؤثر فى تكوين عواطف الأطفال فقد يسبب ذلك خللا فى الحالة النفسية للطفل مما يؤثر على قدراته التعليمية وكذلك على كلامه .

* يجب أن نوجه النظر فى ذلك التأثير الشديد لبعض برامج التلفزيون على الطفل ومنها أفلام العنف والإثارة والرعب . . . الخ وهى فى منتهى الخطورة على حالة الطفل النفسية والطبية وكثيرا ما يشكو الآباء والأمهات من أن أولادهم ينتابهم حالة من الفزع أو الصراخ بالليل أو أن الطفل يأتي بحركات غريبة أو تصرفات لا تتناسب مع عمره فيجب أن نرجع إلى الوسط العائلي وإلى الجو المحيط بالطفل وبخاصة التلفزيون وكذلك إلى الحالة الأسرية بين الأب والأم التى يجب أن تخلو من المشاكل ومن الضجيج أو الشجار وبخاصة أمام الطفل وكذلك فقدان الطفل للعناية أو الحنان لغياب أحد الوالدين الذى قد يسبب بعض التأثيرت السلبية على الحالة العصبية والنفسية للطفل .

* عند تأخر الطفل فى الكلام أو الفهم ينبغي دائما الاطمئنان على أن حواس الطفل تعمل بطريقة طيبة فمثلا يجب عمل مقياس للسمع وكذلك قياس النظر

النظر . . . إلخ وكذلك أن وجود أى خلل فى هذه الحواس يعرض الطفل إلى ضعف الاستجابة والتفاعل مع البيئة المحيطة به فيتسبب ذلك فى ضعف اكتساب القدرة على الكلام أو التعليم .

فى حالات الحساسية والنزلات الشعبية المتكررة ينبه إلى الآتى:

* كثيرا مايصاب الأطفال وخاصة فى السنتين الأوليين من العمر بنوبات من الالتهاب الشعبى مما يظهر على شكل أعراض كالكحة (السعال) والنهجان والحرارة والقئ وكذلك التنفس بصوت مسموع فيسارع الوالدان بعرض الطفل على الطبيب الذى يسارع بدوره فى تشخيص المرض (حساسية بالصدر) وهذه الكلمة كثيرا ما تصيب أفكاره والأمهات أيضًا بحساسية شديدة ولكن فى هذه الحالة نفسيا وعاطفيا وتنعكس بالقلق النفسى على مستقبل هذا الطفل وعلى طريقة الحياة الأسرية بصورة سلبية .

* ونحب أن نذكر هذا أن كلمة (الحساسية) وإن كان بها بعض من الصحة لفظيا فهى كذلك قد تكون خطأ كبيرا فى أحيان كثيرة وذلك لأن كل أنسجة الطفل الصغير ذات حساسية خاصة للمؤثرات الخارجية وتختلف عن أنسجة الشخص البالغ الكامل النضج فالجهاز العصبي مثلا يكون حساسا للمؤثرات الخارجية أكثر منه فى البالغ ويظهر ذلك فى انفعال الطفل الشديد وكذلك فإن جلد الطفل ذو حساسية خاصة تختلف عن كبيرى السن ويظهر ذلك فيوجد تلون سريع أو التهابات شديدة عند تعرضه للحشرات مثلا وهكذا كما أن الجهاز المناعي للطفل لا يكون بدرجة النضج الكافية لحماية جسمه وكذلك فإن نمو الرئتين والشعب

الهوائية من أنسجة مثل الغضاريف والعضلات والأعصاب والغدد المخاطية وغيرها لا يكون متكاملا مما يؤدى إلى حدوث تفاعلات شديدة مع المؤثرات الخارجية مثل الدخان ـ التراب ـ تيارات الهواء وخاصة الباردة أو ذات الرطوبة العالية والالتهابات الفيروسية مثل البرد والأنفلونزا. . . الخ مما يتسبب هذا في إصابة الطفل بهذه النوبات التى قد تتكرر بتعرض الأطفال لنفس هذه المؤثرات وبخاصة التعرض المفاجئ مثل تغيير الجو المحيط من جو دافئ إلى جو بارد . وعادة ما تنتهي هذه النوبات بتقدم الطفل فى السن عند نضوج هذه الأجهزة بحيث تستطيع مقاومة هذه العوامل وعلميا يستحب تسمية مثل هذه الحالة « بالجهاز التنفسى شديد التفاعل » ولتقليل أو تجنب هذه النوبات يجب أن ننوه هنا إلى الآتى:

* ينبغي المحافظة على عدم تعرض مثل هؤلاء الأطفال لتغيرات الجو المفاجئة أو الأتربة وبخاصة تيارات الهواء الباردة أو الرطوبة العالية (ونذكر فى ذلك أيضا تكييفات الهواء أو المراوح المباشرة) .

* يمكن وضع كمامة أو قناع أو منديل على أنف وفم الطفل عند وجود ضرورة لتعرضه لمثل هذه المؤثرات مثل الخروج إلى المدرسة صباحا مبكرا أو الخروج ليلا عند التأخر فى زيارات أحد الأقارب .

* يستحب عدم تعرض الطفل مطلقا لدخان السجاير ولو بطريقة غير مباشرة عند أحد الأقارب فى حجرات أخرى من المنزل مثلا فإن ذلك يزيد من تعرض الأجهزة التعليمية للالتهابات ويقلل مقاومته لها بل ويكون تأثيره على غير المدخن وخاصة الطفل أكثر منه فى الشخص المدخن نفسه.

* يستحب عمل تمارين التنفس وكذلك التمارين التي تساعد على نمو

عضلات الصدر (تمارين فرد الصدر) وممارسة رياضة مثل السباحة وكذلك تمارين للنفخ مثل نفخ البلونات وذلك لتقوية الشعب وعضلات الصدر.

* وجود حساسية فعلا لنوع معين من المؤثرات مثل الريش ـ الشعر ـ الفرو ـ الصوف ـ القطن . . . الخ يمكن استنتاجه عند إصابة الطفل الكبير (بعد ٦ سنوات مثلا) بمثل هذه النوبات مع عدم إصابته بها في الماضي ويجب عمل التحاليل اللازمة لإثبات ذلك حتى يمكن تجنب التعرض لمثل هذا المؤثر الذي يسبب الحساسية للجهاز التنفسي .

* وجود حساسية لنوع معين من المأكولات نادر الحدوث جدا وقد أنكر كثير من العلماء وجود هذه العلاقة ونحن لا ننصح بتجنب الأطفال لأي نوع من المأكولات عند إصابتهم بهذه الحالة لأنَّ منع الأكلات مثل السمك والبيض واللبن والشيكولاته وغيرها كثيرا ما ينعكس على إصابة الطفل بسوء التغذية والهزال لعدم وجود هذه البروتينات اللازمة لنمو جسمه في هذه المرحلة من العمر بل إنَّ هذه الأطعمة قد تكسب الجسم النمو الطبيعي وكذلك المناعة الطبيعية ضد الإصابات الميكروبية التي قد تكون سببا في بعض هذه الحالات .

* ينبغي عدم التمادي في أخذ كثير من الأدوية وخاصة المضادات الحيوية التي توصف بكثرة في مثل هذه الحالات إلا إذا كانت مصحوبة مثلا بالالتهابات البكتيرية وكذلك عدم التمادي والمغالاة في إعطاء مركبات الكورتيزون إلا في الحالات الشديدة حسب وصف الطبيب وبأقل جرعة ممكنة يمكن بها السيطرة على مثل هذه الحالات ويمكن استعمال الأدوية التي توصف عن طريق الاستنشاق حيث إنها تكون غالبا آمنة وليس لها مضاعفات جانبية.

كلمة الأخ الطبيب / أسامة فوده

أخصائى الأمراض الجلدية والتناسلية بالمنصورة .

للأمهات : نصائح طبية فى تخصص الجلدية

أولاً: الاهتمام بصحة الأم الجسمانية والنفسية هو البداية الحقيقية للاهتمام بصحة الطفل الجسمانية والنفسية بصفة عامة ، وبصحة جلده وشعرة بصفة خاصة قبل وبعد ولادته .

جلد الطفل وملحقاته من الشعر والأظافر هو المرآة تعكس حالة جسمه وصحته فجدير بالأم مُتابعة ومُلاحظة أى تغيرات فى الجلد والشعر والأظافر .

نظافة الطفل:

* يجب على الأم الاهتمام باستحمام الطفل بصفة دورية للحفاظ على جلده وأعضائه بصحة جيدة والأفضل دائما استعمال الماء الفاتر ـ وليس الاستحمام فى حد ذاته هو سبب إصابة الطفل بالبرد ، ولكن السبب الحقيقي هو: عدم تجفيف جلد وشعر الطفل جيداً ، أو التعرض لتيارات الهواء ـ وأنسب المواعيد لاستحمام الطفل هو منتصف النهار أو فى المساء ويُستحسن أن يكون فى حجرة نومه ، ويكون الحمام قبل الرضاعة حتى لا تتأثر معدة الطفل بحركته خلال الحمام فيتقيأ الرضعة إذا كان الاستحمام بعدها . ويمكن استعمال بعض الشامبوهات الخاصة التي لاتؤذي العين عند التسرب إليها حتى لايكره الطفل الحمام.

* كذلك على الأم المُحافظة على ملابس الطفل جافة ونظيفة باستمرار حتى

تتجنب حدوث التهابات بالجلد .

التهاب منطقة الكافولة:

وللوقاية من ذلك ، يجب تجنب استعمال الملابس الداخلية المصنوعة من الألياف الصناعية أو أى شئ آخر يمنع جفاف البلل ، أو يمنع التهوية . لأنها قد تضر الجلد ضررا مباشراً كأن يحدث منها حساسية لمسية من مُكوناتها الصناعية ، أو أنها تتسبب فى قلة تهوية المكان وصعوبة التبخر مع وجود البكتيريا والفطريات ، فتحدث الالتهابات فى هذه المنطقة .

لهذا من المُستحب استعمال الكافولة (اللفة) القطنية وتغييرها باستمرار عندما تبتل . ويمكن استعمال غسول البرمنجنات المخفف عند استبدال الملابس المبللة .

الطفح الجلدي:

هناك طفح جلدي مصحوب بارتفاع درجة الحرارة مثل:

الجديري أو الجدري الكاذب أو الجدري المائي:

(يظهر فيه الطفح من أول بدء ارتفاع الحرارة ، ويظهر ثم يمتد إلى الرأس والأطراف ، ويظهر فى أشكال متعددة : حبوب حمراء وحويصلات مائية ، وبثور ، . . . وتستمر حوالي أسبوعين أو ثلاثة لتمام الشفاء .

الحمى القرمزية:

(يظهر فيه الطفح فى اليوم الثاني من بدء ارتفاع الحرارة، ويتميز الطفح ببهتان اللون حول الفم وأرنبة الأنف مع تورم واحمرار اللسان الذى يُصبح

شبيهاً بالفراولة ويتميـز أيضاً بوجود خطوط حمراء على ثنايا الركبة والمرفق ، وهذه الحالة تحدث بسبب الإصابة بالميكروبات السبحية ــ أى تُشبة السبحة ــ وهى تفرز سموم كميائية تُسبب هذا الطفح المميز) .

الحصبة:

(يظهر الطفح غالباً فى اليـوم الرابع من بدء ارتفاع الحرارة ، ويكون فى صورة بقع حـمراء ، ويظهر أولاً فى الوجه عنـد منابت الرأس ــ يبدأ خلف الأذن ثم ينزل إلى الرقـبـة، ثم يمتـد إلى باقى الجـسم خـلال ثلاثة أيام . ويكون مصحوباً بارتفاع شديد فى درجة الحـرارة يُصاحبه زكام ورشح وسعال وعطس والتهاب بالعينين مع نزول الدمـوع وعدم القدرة على النظر فى غرفة مضيئة ، وفى حالة الحصبة الألماني يُصاحب الطفح الوردى ــ الذى يظهر فى الوجه أولاً ثم ينتشـر بسرعة إلى جميع أنحاء الجـسم فى خلال يوم واحد ــ تضخم فى الغدد الليـمفاوية وبالذات فى الرأس والرقبـة مع ارتفاع بسيط فى درجة الحرارة ،وأعراض خفيفـة للبرد والرشح . وهنا يجب التنبيه على عدم تعرض الأمهـات الحوامل للمرضى المصابين بالحصبـة الألمانى لأن الإصابة بها فى الثـلاثة شهـور الأولى من الحـمل قد تُسـبب لهن مـضاعـفات خطيـرة وتشوهات فى الجنين بل وقد تؤدي إلى الإجهاض).

وفى كل أحوال الطفح الجلدي المصحوب بارتفاع فى درجة الحرارة يجب استـشارة الطبـيب على الفور لتحـديد التشـخيص المناسب وبالتـالى العلاج المناسب.

وهناك طفح جلدي غير مصحوب بارتفاع في درجة الحرارة مثل:

بعض أنواع الحساسية ومن أشهرها :

إكـزيما الأطـفـال : وهي في الأطفـال الرُضع تكون على شكل احـمرار والتهـاب بالجلد وقد تظهـر بعض الحبوب أو البـثور أو الفـقاقيع خـاصة في الوجه على الخـدود وظهر اليـدين ، أما في الأطفال الأكـبر سناً فـتظهر في شكل التـهابات في ثنيـات الجلد مـثل الرقبـة وتحت الإبطين وبين الفخـذين وخلف الركبتين مع حكة شديدة . والعـلاج سهل وميسور ـ باذن الله ـ مع مراعاة عدم اسـتعمال أي أدوية أو مراهم إلا باستـشارة الطبيب ، ولأن جلد الطفل في هذه المرحلة حـساس ورقيق فـيجب أن يكون التـعامل مـعه برفق وحكمة .

الأرتكاريا : وهي عبارة عن درنات حمراء تظهر في أي مكان في الجسم وسرعان ما تختفي دون أن تترك أي آثار لتظهر في مكان آخر ويُصاحبها حكة شديدة ، وقـد يحدث مـعهـا تورم حول العـينين وفي الشفـتين . وهي في الغالب قـد تنتج عن تناول بعض الأطعمـة مثل : البيض والسـمك والعدس والموز والمانجـو والفراولة والشيـكولاته والمعلبات وكل مـا يحتوي عـلى مواد حافظة (مثل الشـيبسي والكاراتيه وغير ذلك مما تعود عـليه الأطفال)، وأيضا قد تحـدث الأرتكاريا نتيـجة تعـاطي بعض الأدوية مثل السلفـا ومشـتقـاتها والبنسلين ومشتـقاته ، وغير ذلك من الأدوية . والعـلاج المبدئي ـ للحالات البسـيطة ـ لحين العـرض على الطبيب هو تناول دواء مـضاد للحـساسـية ، وتجنب مُسبباتها بقدر المُستطاع .

الأرتكاريا الحبيبية: وهي عبارة عن درنات حمراء تعلوها حويصلات مائية أو حبـوب أو بثور ، وتظهـر غالبـاً في الأطراف والوجه وكـذلك في بعض

الأماكن الداخلية مثل أسفل الظهر وفي منطقة الحزام ، ويُصاحبها أيضاً حكة شديدة ، وهي في الغالب تنتج عن لدغ الحشرات لهذا يجب أن تحرص على تجنب الأماكن التي تكثر فيها الحشرات وخاصة الناموس واستعمال ناموسية عند النوم كوسيلة طبيعية لتجنب الناموس مع تجنب استعمال المبيدات الحشرية في ذلك لضررها البالغ على الصغار والكبار .

ويجب في كل الأحوال العرض على الطبيب المختص للتشخيص السليم، ولتفرقة أنواع الحساسية المختلفة من أمراض أخرى مثل عدوى الجرب مثلاً ، وهذه الأخيرة تزداد في فصل الشتاء لقلة الاستحمام وتزاحم أفراد الأسرة تحت غطاء واحد ، ـ وننبه هنا أن هناك أنواع من العدوى منها ما يصيب بعض الناس ذوي الجلد الحساس بالرغم من اهتمامهم بالنظافة ـ ويُصاحب ذلك حكة شديدة خاصة عند التدفئة والنوم وبخاصة في أماكن التنيات والأعضاء التناسلية ، ويصيب هذا المرض معظم أفراد الأسرة وعلاج ذلك سهل ويسير ـ بإذن الله ـ باتباع تعليمات الطبيب بدقة ، وعلاج كل أفراد الأسرة والمخالطين في نفس الوقت وللفترة المناسبة مع الاهتمام بغلي الملابس والفرش والملايات أو كيها أو عزلها وتطهيرها .

حمو النيل: الذي يظهر أساساً في فصل الصيف ، وهو عبارة عن حبوب صغيرة حمراء لامعة . تحدث نتيجة تراكم العرق على الجلد فيسد مسام الغدد العرقية ويتجمع بداخلها مُحدثاً حمو النيل ، ويشعر به الطفل وكأنه وخز الإبر فيبكي ، وقد تحدث مضاعفات مثل الحصف والدمامل ، والوقاية خير من العلاج ، وذلك يتأتى بـ :

المساعدة على تقليل إفراز العرق عند الطفل :

بتخفيف الملابس جداً خلال الصيف، وأن تكون هذه الملابس مصنوعة من القطن حتى تمتص العرق من على جلد الطفل فتمنع انسداد الغدد العرقية، بعكس الملابس المصنوعة من الألياف الصناعية ، وكذلك تهوية المكان جيداً مع الإكثار من الاستحمام بالماء الفاتر أكثر من مرة في اليوم.

ونحذر كل أم من استعمال بودرة «حمو النيل» فهي تزيد من انسداد مسام الجلد وتساعد على زيادة حمو النيل .

ولأن الجلد هو مركز للإحساس ، ليس فقط الإحساس المادي مثل الألم والحرارة والبرودة ولكنه أيضاً مركز للإحساس المعنوي والروحي كما قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾ . [الزمر: ٢٣]

لهذا يجب ألا تغفل الأم عن حقيقة تأثر الطفل بالحالة النفسية والعصبية حتى قبل الولادة وهو جنين في بطنها ، وانعكاس ذلك على صحته بصفة عامة وعلى حدوث بعض الأعراض المُعبرة عن ذلك في جلده وشعره وأظافره مثل : شد الشعر العصبي ، الحكة حول فتحة الشرج والأعضاء التناسلية (مع استبعاد الأسباب العضوية مثل وجود ديدان أو التهابات) ، قضم الأظافر ومص الأصابع (مما يؤدي إلى تشوهها وحدوث الالتهابات حولها) وقد يُصاحب هذه الأعراض ظواهر نفسية أخرى مثل اضطرابات النوم والتفزع والكوابيس والبكاء غير الطبيعي ، وغير ذلك من الظواهر .

والحمد لله رب العالمين

كلمة الأخ الطبيب / هشام المشد

ماجستير أنف وأذن وحنجرة

إرشادات للأمهات في الأنف والأذن والحنجرة

* يجب أن تضع الأم رضيعها أثناء الرضاعة في وضع مائل بحيث تكون رأسه أعلى من جسمه ، ولا يكون في وضع أفقي كأن ترضعه وهو نائم بجوارها كما تفعل كثير من الأمهات ، وذلك حتى لا يتسرب اللبن إلى الأذن الوسطى محدثا التهاباً بها .

* كثيرا ما يصاب الرضيع بارتفاع في درجة الحرارة وقيء وإسهال ، وتشخص الحالة خطأ على أنها نزلة معوية ، ولكن الأم قوية الملاحظة قد تلاحظ كثرة شد الطفل لأذنه ، فهو يشير من حيث لا يدري إلى السبب الحقيقي لمرضه ، وغالبا ما يكون ذلك التهابا بالأذن الوسطى ، عندئذ يجب أن تسرع الأم بعلاجه عند طبيب مختص .

* إذا لاحظت الأم نزول سائل صديدي من الأذن ـ وهو غير الافراز الشمعي الطبيعي الأصفر أو البني ـ يجب عليها أن تمنع دخول الماء إلى الأذن عند استحمام الطفل وذلك بوضع قطعة قطن مشبعة بالزيت أو الفازلين في أذنه وذلك حتى يتم علاجه .

* عندما يصاب الطفل بنزيف من الأنف ، على الأم ألا تنزعج لأنه في كثير من الأحيان يكون الأمر بسيط ولا يدعو للقلق ، ولكنها تسارع فتُجلس الطفل في وضع تكون رأسه لأعلى ووجهه لأسفل (مثل وضع

التشهد في الصلاة مثلا) ولا تجعله ينام على ظهره كما تفعل بعض الأمهات ، ثم تضع قطعة من القطن في الفتحة التي ينزل منها الدم وتضغط بأصابعها برفق على الأنف من الخارج لمدة ٣ ـ ٥ دقائق حتى يقف النزيف ولا مانع من استخدام كمادات باردة على رأسه .

* كثير من الأطفال يُدخلون بعض الأجسام الغريبة في آذانهم أو أنوفهم أو حتى يبتلعون هذه الأجسام ، وهذا يحتاج إلى بعض العناية من الأم كالتالي :

١ ـ بالنسبة للأنف غالباً تكون حبة فول أو قطعة أستيكة ، وعلى الأم أن تضع قليلا من الشطة أمام أنف صغيرها حتي إذا همَّ بالعطس تضغط على فتحة الأنف الأخرى فيندفع الجسم الغريب من الأنف مع تيار الهواء .

٢ ـ بالنسبة للأشياء التي يبتلعها الطفل وتكون عادة عملة معدنية ، عليها أن تسارع بإمساك الطفل من قدميه ورأسه لأسفل وتضرب بخفة على ظهره ، فربما يندفع الجسم إلى الخارج .

٣ ـ بالنسبة للأجسام الغريبة في الأذن أو في حالة فشل المحاولات السابقة على الأم أن تعرض الطفل على مختص ولا تحاول إخراجها بنفسها لأنها غالبا سوف تدفعها أكثر إلى الداخل .

* قد يولد قليل ـ ولله الحمد ـ من الأطفال بعيوب تخليقية تستلزم التدخل الطبي ، ولأهمية توقيت بدء العلاج نلفت نظر الأمهات إلى أكثرها شيوعاً وتأثيراً على صحة الصغير :

١ ـ **الشفة الأرنبية:** تُجرى عملية جراحية لإصلاحها في الشهر الثالث،

وإذا كانت مصحوبة بشق في سقف الفم فيجب علاجه في الشهر الثامن عشر وذلك ليتمكن الطفل من النطق السليم والذي غالباً ما يبدأ في هذه السن، وإلى أن يتم العلاج يجب إرضاع الطفل باستخدام قطارة .

٢ ـ نقص السمع: مشكلة خطيرة يجب على الأم اكتشافها وعلاجها مبكراً حتى لا تؤثر على سلامة نطق الصغير ، وهناك بعض الأشياء التي قد يؤدي حدوثها إلى هذا النقص ، ومن ثم تساعد الأم على اكتشافه أو على الأقل توقع حدوثه ، منها زواج الأقارب ، طول مدة الولادة واستخدام الجفت أو الشفاط ، تغير لون الوليد إلى الزرقة ، إصابته بالحمى الشوكية أو الصفراء ، استخدام بعض المضادات الحيوية (مثل الجاراميسين. . .) لمدٍ طويلة .

فإذا تأكدت الأم أو حتي شكت في أن صغيرها يعاني من نقص السمع فعليها أن تبادر بعرضه على الطبيب المختص وعلاجه إما طبياً أو جراحياً أو باستخدام السماعة ، وهذه الأخيرة يجب على الأم ألا تستنكف من استخدام ابنها أو ابنتها للسماعة لأنها مثل النظارة تماماً ، تكبر الصوت كما أن هذه تكبر الصورة ، ولأن هذا ـ نقصد نقص السمع ـ من قضاء الله الذي من صميم الإيمان الرضا به ، ومن غير شك فإن الطفل الذي يسمع ولو باستخدام السماعة أحسن حالاً من الذي لا يسمع ومن ثم لا ينطق. . . !!

ثم نصيحة أخيرة... تستطيع كل أم حماية صغارها ـ بل والكبار ـ من متاعب كثيرة في الأنف والجيوب الأنفية إذا التزموا بهدي الإسلام في الوضوء. وذلك بغسل الأنف ثلاث مرات والمبالغة في إدخال الماء ثم استنثاره بقوة فيخرج الماء من الأنف محملاً بما قد يوجد في الأنف من أتربة وجراثيم.

استغفار الوالد لأبنائه

ويجدر بالأب أن يكثر من الاستغـفار لأبنائه ويطلب من الله المغفرة لهم سواء للذنوب التي اقتـرفوها في حق أنفسهم أو في حـقه ، ويعينهم على رد المظالم التي ظلموا بها الناس .

وقد قال يعقوب عليه السلام لبنيه : ﴿**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ . [يوسف: ٩٨]

وختامـًا

نشكر الله سبحانه وتعـالى على ما منَّ به وأنعم وأفاض به وأكرم ، فله الحمد والشكـر والثناء الحسن على نعمه التي لا تحـصى وآلائه التي لا تُعد له الحمد على عموم النعم و الحمد له على كل حال .

له الحـمد على نعـمـة الإسلام والإيمان رضـينا بالله ربا وبالإسـلام دينا وبمحمد رسولاً .

وسبحانك يا ربنا ما أعظمك ومـا أحلمك وما أرحمك إذا أوصيتنا بأبنائنا فقلت، وقولك الحق: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾ . [النساء: ١١]

وسبـحانك اللـهم ربنا وما أحلمك ومـا أرحمك إذا أوصـيت أبناءنا بنا فقلت وقولك الحق: ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ . [الاسراء: ٢٣ ، ٢٤]

فحمداً لك وشكراً يا إلهي على هذا الدين القـيم ، حمداً لك يارب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك لك الحمد ياربنا حمداً كثيراً طيباً مباركا فيـه ملء السمـوات وملء الأرض وملء ما شئت من شـيء بعد ، أنت أهل الثناء والمجد ، أنت أهل لأن تحـمد ، وأهل لأن تشكر وأهل لأن تعـبد أنت وحدك ربي لا شريك لك لك الأسماء الحسنى والصفات العلى .

ثم هنيئاً لهـؤلاء الآباء الذين آمنوا بك ربي واستقامـوا على كتابك وسنة نبيك ﷺ وقادوا أولادهم إلى درج الجنان .

هنيئـا لكم ياأهل الفضل والصـلاح، يا من علمتم أولادكم كـتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ في صغرهم ووواليتـموهم بالنصح والتذكير والإرشاد طول حياتهم ، فأشرقت وجوههم وأضاءت بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

شكر الله صنيعك أيها الأب وأنت أيتها الأم.

شكر الله صنيع من درَّب أولاده على الطاعات وحثهم على فعل المعروف ونهاهم على كل منكرٍ وقبيح.

هنيئا لك يا من صحبت أبناءك إلى المساجد وحلق العلم وبيت الله الحرام ومسجد الرسول ﷺ .

جزاك الله خـيراً أيهـا الأب الحليم الرحيم الأواه المنيب وأنت أيتـها الأم رحمة الله وبركاته عليكما وعلى كل أبٍ صالح وكل أمٍّ صالحة ، يسعيان في استنقاذ الأبناء من النار!!

بشراك أيها الأب وأنت أيتهـا الأم وبشراكما باستغفار ولدكـما لكما بعد الممات!

بشراك يوم القـيامة جنات تجـري من تحتهـا الأنهار أنتـما ومن صلح من الذرية.

وسـلام الله عليـكمـا في الأولين والآخـرين وفي المـلأ الأعلى إلى يوم الدين.

وإلى الآباء الغلاظِ الشداد ألا فاتقوا الله في الأبناء !

إلى كل أب جلفٍ جافٍ، إلى كل أب عتلٍ جواظ زنيم.

ألا فاحـذر احذر عاقبـة جلافتك وجفـائك واعلم أنك ستجني ثمـرتها مرارة وستحصدها حصاداً مُراً .

إلى الآباء المهملين الذين ضيعـوا أولادهم وشردوهم ، ألا فاعلموا أنكم مسؤولون أمام الله عن تضييع رعاياكم ، وستجازون بسوء صنيعكم سوءًا.

إلى الآباء الذين انغمسوا في الشهوات والملذات وتركوا الأبناء حفاة عراةً عالةً يتكففون الناس .

إلى من دربوا أبناءهم على الرذيلة وأرضعوهم الفواحش .

احذروا مغبة صنيعكم و﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

ألا فتوبة إلى الله وأوبة وإنـابة إليه ورجعة قبل الممـات وفقنا الله وإياكم لكل خير ، وجنبنا وإياكم كل زلل .

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

الفهرست